وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
معهد الثقافة الشعبية
قسم الأنتروبولوجيا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأنتروبولوجيا بعنوان:

فلسفـــة الاختـــلاف

عند الأمير عبد القادر الجزائري

(دراسة أنتروبولوجية)

لجنة المناقشة:

أ.د/ عبد الحق زريوح أستاذ التعليم العالي،جامعة تلمسان ــ رئيسا.
أ.د/ سعيدي محمد،أستاذ التعليم العالي،جامعة تلمسان ــ مشرفا.
د / محمد بلعربي،أستاذ محاضر (ب) جامعة تلمسان ــ عضوا.
د / الغالي بن لباد،أستاذ محاضر (ب) جامعة تلمسان ــ عضوا.

إعداد الطالب: فرعون حمو

إشراف الأستاذ: أ. د سعيدي محمد

السنة الجامعية: 2010/2009

شكـــر وتقديـــــر

أتقدم بالشكر والامتنان إلى المحترم الفاضل السيد المشـــرف الأســـتاذ الدكتور سعيدي محمد.
وإلى الأفاضل السادة الأساتذة المناقشين على تحملهم عناء قراءة هـــذه الرسالة ومناقشتها.

إهـــــــداء

وأرفـــع....وعلى استحياء تام هذا العمل هديـــــة إلى ســـيدي الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي الحاتمي الأندلسي.
والى تلميذه وشارحه ومترجمه مولانا العارف بالله الأمـــير عبـــد القادر الحسني الجزائري.
والى سيدتي الفاضلة والدتي الحاجة : علو دهار.
والى سيدي الوالد الحاج : يوسف فرعون.
والى زوجتي نورية بلدغم وأبنائي يوسف ومحمد جواد والى كـــل إخواني وأخواتي وأصدقائي.

مقدمـــة

في البدء كان الاختلاف....ولا يزال موضوعه يُشكل أزمة فعلية حادة في الخطاب الأنتروبولوجي المعاصر وفي الراهن الثقافي والسياسي العالمي. فإشكالية الاختلاف طرحت نفسها بقوة في كل ثقافة إنسانية بل هي واقع يخترق كل اجتماع بشري،إذ لا يوجد مجتمع يخلو من التعدد والتنوع، ولا أمة تعرى من الانقسام والفرقة. وتكفى نظرة عابرة إلى ما يحدث الآن في العالم من تطرف يمينا ويسارا لنتأكد من أهمية موضوع بحث الاختلاف وفلسفته.فلعل مشكلة المشاكل عند البشرية اليوم هي مشكلة الاختلاف،وفن إدارته، وحسن تدبيره.

وبعد حروب ضارية وصراعات دموية مريرة خاضتها بعض الأمم والشعوب ،انتهى مُفكروها ومُنظِّروها في نهاية الأمر إلى بلورة رؤية موضوعية للاختلاف.وإلى الاعتراف بقانونيته وإعطائه صبغة ثقافية رسمية، وقراءة سريعة في بيان الجمعية العامة للأمم المتحدة *unesco* الصادر في عام 2002م،والتي أعلنت يوم 21 ماي اليوم العالمي للتنوع الثقافي من أجل الحوار والتنمية، ونظرة أخرى إلى محتوى بيان الإعلان الإسلامي حول التنوع الثقافي للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ايسيسكو *isesco*). ليتبين للباحث أن البشرية تسعى اليوم إلى اعتماد قيم الانفتاح والتسامح والنسبية والتعددية وحقوق الإنسان، وأن الاختلاف أصبح هو جوهر الديمقراطية وروحها.

وناهيك على أن يكون موضوع الأنتروبولوجيا الأساسي أو ربما الوحيد هو دراسة ظاهرة الاختلاف بين بني الإنسان كما يرى شيخ الأنتروبولوجين المعاصرين كلود ليفي ستراوس، فإن الأهمية الإستراتيجية التي يحظى بها مفهوم الاختلاف في الفكر الغربي تعود إلى أنه "انطلاقا من الاختلاف ومن تاريخه يمكننا معرفة من وأين نحن،وما يمكن أن تكون عليه حدود عصرنا " كما يقول جاك دريدا.

لكن تحويل الاختلاف الثقافي بين الثقافات ، إلى ثقافة في الاختلاف.يحتاج إلى طرح فلسفة الاختلاف على مشرحة البحث والتحليل.لمعرفة محدداتها وتجلياتها وشخصياتها ورموزها. لتتأصل ثقافة الاختلاف وفلسفته كقيم عَالِمة *savante* ثم تترجم إجرائيا في واقع الناس إلى ثقافة سلوكية شعبية ليتحقق السلام العالمي وتسود شراكة الكينونة بين سكان الأرض. في زمن القرية العالمية الواحدة أو في زمن الغرفة العالمية الواحدة،التي " تقلص فيها العالم وانكمشت المسافات وتكاثفت عمليات التواصل والتبادل على المستوى النفسي والأخلاقي،وأصبحت الأرض أكثر صغراً" على حد تشخيص ليفي ستراوس.

وبحثنا يندرج ضمن هذا المسعى ...فهو محاولة رصد وحفر في ثنايا تراث شخصية ملحمية ارتبط اسمها دائما باسم تأسيس دولة كبيرة هي دولة الجزائر... لإبراز وجهة نظر هذه الشخصية الجزائرية حول موضوع الاختلاف وتبيان إضافاتها وإسهاماتها الفكرية لإثراء الثقافة الإنسانية.

وبالرغم من أن شخصية مثل شخصية الأمير عبد القادر الجزائري لا يمكن أن تختصرها الدراسات والتعريفات... والكتابة عنه مجازفة... إلا أننا اخترناه على من سواه. ليكون موضوعا

للبحث...لأنه يمثل في نظرنا استثناءا تاريخيا قلَّ نظيره في العالم الإسلامي، ونصوصه ومواقفه تمثل أيضا تميزا فريدا من ناحية التأصيل والتمثيل معا ، لا سيما فيما يتعلق بالتنظير والتأسيس لموضوع الاختلاف وفلسفته؟؟.

ولقد كان الأمير الجزائري صوفيا –وصوفيا كبيرا–.وشكلت مواقفه التاريخية والإنسانية محطة كبرى، كان يجب أن نتوقف عندها لتحليلها واستخلاص العبر منها والنظر في منطلقاتها النظرية والعقائدية واستنطاق منظومتها القيمية المرتبطة دلاليا بالرؤية الصوفية العرفانية الأكبرية (نسبة إلى الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي) ومعرفة إستتباعاتها الإبستمولوجية على صعيد الفكر والواقع.

والرؤية الصوفية مثلت دوما وعبر التاريخ ذروة الرؤية الإنسانية المنفتحة والمتسامحة.والمعترفة بحقّ الكينونة والوجود وحق الاختلاف وقبول الأخر.

كما أن التصوف الإسلامي هو رأسمال رمزي استراتيجي ،يمكن أن يساعد على إعادة تقييم القيم ويمكن أن يساعد على تجاوز مشكلة التمييز العنصري والعرقي والخروج من المركزيات الإثنية *Ethno-centrisme* ومن التمركزات الثقافية *Culturo-centrisme* ويُسهّل عملية التصالح والحوار بين الثقافات والحضارات.كما أن البحث في التراث الصوفي هو نوع من البحث والتنقيب في الثقافة الشعبية لارتباط التصوف بواقع الشعوب.ومن هنا أهمية هذه الدراسة.

واتجهنا لدراسة فلسفة الاختلاف عند الأمير عبد القادر بدوافع معرفية ذاتية بحكم التخصص الأصلي القاعدي في العلوم الشرعية، فمن خلال قراءتنا لما كتبه الأمير بنفسه وما كُتب عن الأمير،ظهر لنا البعد الإنساني الإسلامي في مشروعه ولمسنا في شخصيته مبادئ وقناعات هي من مقومات الشخصية الجزائرية بل هي احدي مقومات الإنسان العالمي المنفتح على كل الثقافات والحضارات والديانات.على أن هناك دوافع موضوعية نذكر منها:

1 – محاولة تدعيم المسار الذي دعت إليه وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بضرورة الاهتمام بعلماء الجزائر ومفكريها.

2– إثراء الدراسات حول الحوار بين الحضارات والثقافات. وتدعيم لجهود المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة– ايسيسكو*isesco*– ومنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة اليونسكو *unesco* .

3 – قلة البحث حول " الأمير الصوفي"، ونقصد بذلك ندرة البحوث الأكاديمية التي تتعلق بالجانب الصوفي العرفاني للرجل،وما وقع بين أيدينا من كتابات لم تتعدى دراسة نتاج الرجل في حدود الدراسة السياسة أو العسكرية أو الأدبيـــة. باستثنـــاء دراسات برينو إتيان *Bruno Étienne* وبعض نصوص ميشال شود كيفيتش *Michel Chodkiewicz*.وكتاب عبد القادر:انسجام المتناقضات،لأحمد بويردان *Abd el-Kader : L'harmonie des contraires*

4– محاولة تصحيح أحكام تعميمية خاطئة أصدرها الأنتروبولوجي الكبير كلود ليفي شـــتراوس حين صرح وقال"إن المسلمين لا يستطيعون احتمال وجود الأخر كأخر" وقوله" اللقاءات القصيرة التي جمعتني بالعالم العربي رسخت في نفسي نفورا و كراهية يتعذر استئصالها" وقولـــه " لقـــد أصابتنا عدوى العنف الإسلامي".

أما أهـــداف هذا البحـــــث فيمكن تلخيصها بما يلي:

1 – التعريف ببعد مهم من أبعاد شخصية" الأمير عبد القادر" وكتابه المواقف.

2 – محاولة جمع ما تفرق من أفكار"الأمير عبد القادر"في مسألة الاختلاف وفلسفـــته.

3 – التعرف على مدى إسهامات" الأمير عبد القادر" في إثراء الفكر البشـــــري.

4 – التأكيد على أن للجزائر شخصيات علمية من الطراز الإنساني العالمي.

أما فيما يتعلق بمجال الدراسة، فإننا جعلنا كتاب"المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف" التي كتبه "الأمير عبد القادر الجزائري" مجالا ومادة أساسية للبحث، وكذلك ما كـــُتب عن الأمير من مصنفات ومقالات.وأما حدود الدراسة, فأننا تناولنا حياة الأمير كلها بالبحـــث فـــي الفتـــرة الممتدة بين شهر رجب سنة 1222هـــ/1807م. إلى 19 رجب 1300هـــ/ 24 ماي 1882م. وركزنا أكثر على الفترة الممتدة بين ربيع الثاني من سنة 1272هـــ الموافق1856م وهي الوقت المحدد الـــذي شرع فيه الأمير في تدوين كتاب المواقف.

وفي هذا البحث حاول الباحث اختبار صحة الفرضيات الآتية:

الفرضية الأولى: الأمير عبد القادر استطاع أن يؤسس نظريا وعمليا لحق الاختلاف.

الفرضية الثانية: الأمير أرسى وأعد نظرية تؤشر إلى إمكانية وجود قيم أخلاقية كونية مطلقة تســـاعد على تدبير اختلافات البشر وإمكانية التعايش السلمي مع هذه الاختلافات.

الفرضية الثالثة: مشروع الأمير يشكل أرضية معرفية علمية تأسيسية تساعد على الخروج مـــن نفـــق مشكلة الهوية المغلقة الذي تعيشه البشرية في الوقت الراهن.

وانطلاقا من أن منهج البحث هـــــو"الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحديـــد عملياتـــه حتـــى يصـــل إلـــى نتيجـــة معقولة".وبما أن طبيعة الموضوع تتحكم إلى حد بعيد في نوع المنهج المتبع فإننا اســـتخدمنا المـــنهج التاريخي حينما تعرضنا للإلمام بالعصر الذي عاش فيه "عبد القادر الجزائري" وحياته، قصد معرفـــة

الأطر المكانية والزمانية التي أثرت في فكر الرجل، واستخدمنا إلى جانب ذلك المنهج الاستقرائي حينما تعلق الأمر بدراسة أفكار"الأمير"وتحليلها ومقارنتها بأفكار غيره كلما اقتضى المقام ذلك.

– وإذا كانت المهمة الكبرى أو ربما الوحيدة للأنثروبولوجيا حسب ما قرره كلود ليفي ستراوس هي تأويل وتحليل الاختلافات بين البشر ؟؟

– هل يمكن الحديث فعلا عن تبلور نظرية لفلسفة الاختلاف داخل التراث الصوفي ولدى الأمير عبد القادر الجزائري ؟ وهل يمتلك الأمير عبد القادر حقا: رؤية بارادغمية نوعية للإنسان؟ كيف يحلل الأمير عبد القادر الجزائري انطلاقا من رؤيته الصوفية الاختلافات الأنطولوجية والعقائدية والثقافية بين بني البشر؟ إلى ماذا يرجعها وكيف يتأولها ؟

تلك هي الأسئلة الكبرى التي تؤطر هذا البحث ؟؟؟ والتي سوف يحاول الباحث الإجابة عليها ؟؟ ومناقشتها بتفصيل ؟؟؟

وأما عن هيكل البحث العام،فإنه يقوم على **مقدمة** و**مدخل** تناولنا فيه الاختلاف مفهوما وتاريخا،وعلاقة الأنتروبووجيا بالاختلاف.

وفي **الفصل الأول** تعرضنا إلى ببليوغرافيا الأمير عبد القادر(حياته– مؤلفاته مراحل تصوفه).

و**الفصل الثاني** حاولنا فيه تفكيك بنية "الاختلاف" عند الأمير،من خلال التعرض إلى دلائلية فلسفة الاختلاف عنده و جينيالوجيا هذه الفلسفة ومحدداتها.والى قواعد التأصيل الابستيمولوجي لفلسفة الاختلاف عند الأمير عبد القادر.

وأما **الفصل الثالث** فخصصناه للحديث عن تجليات فلسفة الاختلاف ونتائجها، من خلال الإشارة إلى:

- الألوهية كمظهر للاختلاف الأنطولوجي.
- الحقيقة المحمدية كمحدد للاختلاف.
- الإنسان الكامل كاستراتيجية لفلسفة الاختلاف عند الأمير.
- الهوية والاختلاف عند الأمير.
- في اختلاف الأديان والمعتقدات.
- الاختلاف في حياة الأمير العملية.

وأمّا **الخاتمة**، فكانت حوصلة لنتائج البحث، فيما يتصّل بموضوع الاختلاف وفلسفته عند الأمير الجزائري.

مدخـــــل

أولا : – الاختلاف موقعيته ...وتاريخية المفهوم.

ثانيا:– الأنتروبولوجيا ....والاختلاف.

أولا: الاخــتلاف: موقعيته و تاريخية المفهوم.

صراع الهويات والحضارات سمة العصر الحاضر/ الأنتروبولوجيا وهوس البحث (عن وفي) الهوية والاختلاف / الصيرورة التاريخية لفلسفة الاختلاف في فكر الحداثة وما بعد الحداثة / فلسفة الاختلاف تصبح تيارا فكريا مستقلا له رموزه وشخصياته / فكر الاختلاف يصير مقننا وشرعيا ومعترفا به / منطق الهوية يتحكم ويؤطر كل الأنساق العقائدية والثقافية (هو ما يجمعهم وهو عين ما يفرقهم) من مهام البحث الأنتروبولوجي تفكيك الهويات الدوغمائية الإنكفائية وتقويض المركزيات الإثنية والترويج لقيم النسبية الثقافية لتحقيق الشراكة بين بني البشر.

يقدم الإستراتيجي الأمريكي صامويل هنتغتون *Samuel Huntington* قراءة للواقع الدولي المعاصر مشيرا إلى موقعية وخطورة فلسفة الاختلاف والهوية فيقول:"أصبحت الهوية الثقافية هي العامل الرئيسي في تحديد صداقات دولة ما وعداواتها،وبينما كانت دولة ما تستطيع أن تتجنب الانحياز أثناء الحرب الباردة ،إلا أنها لا يمكن أن تفقد هويتها.،سؤال:إلى أي جانب أنت؟ حل محله سؤال من أنت؟؟ وعلى كل دولة أن تجد له إجابة،هذه الإجابة هي هويتها الثقافية وهي التي تحدد مكان الدولة في السياسة العالمية كما تحدد أصدقائها وأعدائها"[1] ويضيف" في عالم اليوم أدى التحسن الذي حدث في مجالات الانتقال والاتصال إلى تفاعلات وعلاقات أكثر تكراراً واتساعاً وتناسقاً وشمولاً بين شعوب من حضارات مختلفة،ونتيجة لذلك أصبحت هوياتهم الحضارية أكثر بروزا. الفرنسيون والألمان والبلجيك والهولنديون يتزايد تفكيرهم في أنفسهم كأوروبيين،مسلمو الشرق الأوسط يتوحدون ويهرعون لمساعدة البوسنيين والشيشان،الصينيون في آسيا كلها يوحدون مصالحهم،الروس يتوحدون مع الصرب والشعوب الأرثوذوكسية الأخرى ويدعمونها،هذه الحدود الأوسع للهوية الحضارية تعني وعياً أعمق بالاختلافات الحضارية والحاجة إلى حماية ما يميز"نحن"عن" هم"[2].

ففي عصرنا الحاضر أضحت استراتجيات الدول،صداقاتها وعداواتها وعلاقاتها فيما بينها تتحدد وبالدرجة الأولى من خلال فلسفة الاختلاف والهوية الثقافية.ونظريات هنتغتون عن صدام الحضارات كما يرى روجيه غارودي *Roger Garaudy* تمثل الأساس النظري لذلك التوجه

[1]- صامويل هنتغتون، صراع الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب تقديم صالح قنصوه، الطبعة الثانية،1999 م،ص 203.

[2]- محمد بن سعد التميمي،العولمة وقضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة،الطبعة الأولى،1422هـ ،2001م. ص244.

الاستراتيجي العالمي الجديد.كشفت استنتاجاته عن: هيمنة صدام الحضارات على السياسة العالمية. وخطوط الاختلاف بين الحضارات ستكون خطوط جبهة المستقبل[3].

إنها إشكالية الاختلاف وحضور النزعة – الهوياتية– كمعطى فاعل ولاعب على الساحة المحليـــة والدولية وتمركز الصراعات في الداخل والخارج حول الاختلاف و الهوية [4].

لعل إحدى المفارقات الأساسية لهذا العصر الذي نعيشه هي هذا التناسب العكسي بين ثورة الإعلام والتواصل وانفتاح الفضاءات المغلقة من جهة، وانبعاث الخصوصيات،والهويات الصغيرة،وكل أشكال الارتداد إلى الذات، وبموازاة ذلك استفاقة أشكال النزاع والصراع بين الثقافات من جهة أخرى[5].

وإذا كان الفكر الفلسفي قد عالج منذ البداية الإغريقية مسألة الهوية بوصفها أحد مبادئ المنطق ومقولة من مقولات الكينونة فان هذه المسالة قد تعدت اليوم نطاق البحث الفلسفي الصرف لتطل على المجال المعرفي برمته ولتصبح إشكالية تميز كل ثقافة بالذات. كما تعدت صعيد النظر لتغدو أزمة تعيشها الجماعات الثقافية في صميمها،إنها تقع اليوم على أكثر من مفترق كما يرى كلود ليفي ستراوس[6]. فهي تهم مختلف الميادين العلمية من الرياضيات حتى الإثنولوجيا مرورا بالفلسفة والألسنية والتحليل النفسي وهي تهم كل المجتمعات التي تدرسها الإثنولوجيا سواء اختص الأمر بجماعة بدائية أو بمجتمع تكنولوجي على رغم ما بين هذه المجتمعات من تباين ثقافي أو اختلاف جغرافي كما تهم بشكل خاص المشتغلين في الحقل الأنتروبولوجي الذين ينسب إليهم هوس الهوية أي هاجس البحث عن الشبيه والمماثل .ولا شك أن هذا الاهتمام الذي يبديه الفكر بمسألة الهوية يعبر عن أزمة هوية لا يتورع ليفي ستراوس عن اعتبراها الداء الجديد الذي يميز عصرنا...وهذا كله أدى إلى طرح مسألة

---

[3]- روجيه غارودي،محاكمة الصهيونية الإسرائيلية ،دار الشروق،الطبعة الثالثة 2002م-1434هـ ،ص 173.

[4]- حتى في هذه اللحظات التاريخية التي يكتب في سياقها هذا البحث، موضوع الهوية والاختلاف لم يفقد راهنيته وخطورته فلا زال موضوع الهوية يشكل هاجسا مؤرقا في العصر الحالي وها هي فرنسا الجمهورية تنصب وزارة كاملة متخصصة في علاج مشكلة الهوية والاختلاف .

Ministre de l'Immigration, de l'Intégration, de l'Identité nationale et du Développement solidaire.

و يقترح وزير الهجرة والإدماج والهوية الوطنية ايريك بوسون *Éric Besson* فتح نقاش وطني واسع حول تحديد معنى الهوية والاختلاف عند الفرنسيين يمتد لأربعة أشهر كاملة من 02 نوفمبر وينتهى يوم 28 فيفري 2009 / 2010 م .

- انظر نص البيان الوزاري في موقع وزارة الهجرة الفرنسية على الانترنت على

.http://www.immigration.gouv.fr/spip.php

[5] - محمد سبيلا مقال الحوار بين الثقافات: العوائق و شروط الإمكان .

- http://www.mohamed-sabila.com/maqal7.html

[6]-*" Le thème de l'identité se situe non pas seulement à un carrefour mais à plusieurs. Il intéresse pratiquement toutes les disciplines et il intéresse aussi toutes les sociétés qu'étudient les ethnologues" (C. Lévi-Strauss). L'identité, Collectif Auteurs Claude Lévi-Strauss , Jean-Marie Benoist ,Michel Serres ,Françoise Héritier , Puf 2007.p 10-11.*

الهوية لاحقا، وإعادة النظر في إشكاليتها خاصة مع جيل ثورة الطلاب 1968،والنزوع القوي إلى التباين والاختلاف،اختلاف الثقافات بعضها عن بعض،وهذا ما حدا بجان ماري بنوا *Jean-Marie Benoist* إلى القول، بأن مسألة الاختلاف تخترق عصرنا الحالي[7] .إننا أصبحنا في عصر« التنوع والاختلاف والتشظي والتفتت » [8] .

بل لقد أصبح الاختلاف تيارا فكريا متميزا وطيفا معرفيا يكاد يكون متقارباً ينتمي إليه مفكرون وباحثون غربيون اشتركوا كلهم في انتقاد الهوية والمركزية الغربية أمثال جاك دريدا *Jacques Derrida* ميشال فوكو *Michel Foucault*،جيل دولوز *Gilles Deleuze*،جان فرانسوا ليوتار *Jean-François Lyotard*، جوليا كريستفا *Julia Kristeva*،مارتن هايدغر *Martin Heidegger* وغيرهم.

ويمكن اعتبار مقالة هايدغر «الهوية والاختلاف»[9] وثيقة مرجعية لتيار فلسفة الاختلاف،حيث أوضح هايدغر في هذه المقالة كيف طغى مفهوم الهوية على الفلسفة الغربية منذ أفلاطون،وكيف أن الكثير والمتعدد لا يمكن إدراكه إلا من خلال هذا المفهوم.فالفلسفة"من أفلاطون إلى هيغل هي فلسفة الحضور،ونعني بذلك أن الوعي لا يعترف إلا بما يحضر في الوعي لديه فيتخذ شكل الدلالة والمعنى والقانون والهوية،فيتطابق هكذا مقولاته ما يعني أن فكر الإنسان هو مركز الكون غير أن الانقلاب الذي حصل في صف الفلسفة منذ هايدغر ومنه انطلق دريدا يقول بفلسفة الغياب ...الفلسفة التي تقول بالأخر المغاير الذي لا يفتأ ينأى عبر صيرورة الاختلاف" [10].

---

[7] - علي حرب،الهوية والغيرية في المقال الفلسفي، دراسات عربية ، العدد الرابع، ص76.

" Une question de la différence parcourt notre temps. La différence de la culture et de la nature, la différence entre les cultures et les codes nationaux ou régionaux se sont réaffirmés... Une hantise traverse notre temps, celle du repli de chacun sur son territoire, sur ce qui fait sa différence, c'est-à-dire son identité séparée, propre... Le remède commun consistera à généraliser l'idée de nature humaine, à proclamer une unité de l'homme et de ses valeurs, voire une déclaration de ses droits... Mais si l'ambition, en elle-même excellente, de cette universalisation salvatrice s'énonce à partir d'un lieu occidental... n'est-elle pas à son tour en danger de tomber dans le piège de l'ethnocentrisme ? (J-M. Benoist) - L'identité, Collectif Auteurs.Claude.Lévi-Strauss , Jean-Marie.Benoist ,Michel Serres ,Françoise Héritier , Puf 2007.p95.

[8] - مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة، حوارات منتقاة من الفكر الألماني المعاصر،ترجمة محمد الشيخ، ياسر الطائي، دار الطليعة، بيروت،1996م، ص12.

[9]- *M .Heidegger ,Identité et différence, Gillimard.1979,*

[10]- عادل عبد الله،التفكيكية إرادة الاختلاف وسلطة العقل،دار الحصاد للنشر والتوزيع،سوريا دمشق،الطبعة الأولى،2000م ،ص13.

و« فلسفة الاختلاف» وصف مستمد من النقد الموجه لفكر الهوية كما تطور هذا النقد عند أدورنو [11] وعند غيره من المفكرين [12].كجيل دولوز الذي نقرأ له أن " فلسفة الاختلاف مرتبطة بغياب الأساس" وأن" الاختلاف وراء كل شيء لكن لا يوجد أي شيء وراء الاختلاف".[13]

وفكر الاختلاف يرمي ليس إلى القضاء على التفرّد وتذويب الأنا، كما يؤكد عبد السلام بن عبد العالي وإنّما إلى أن يغدو التفرّد ضعيفا أمام قوّة التعدّد، والتوحّد ضيقا أمام شساعة التنوّع، والاقتصار على الأنا فقرا أمام غنى الآخر، والانطواء على الذات سدا أمام انفتاح الآفاق، والانغلاق على النّفس حدّا أمام لانهائية الأبعاد الممكنة [14].

وأن نفكر في الاختلاف، يعني أن لا نفكر بمنطق الهوية [15]،وأن لا نرجع الآخر والمتعدد إلى المثل والشبيه، لهذا فإنه من غير المعقول أن نفهم تيار الاختلاف، كتيار واحدي ومحدد المعالم. ففكر الاختلاف لا يمكنه إلا أن يكون مختلفا ومخالفا وليس وأحديا. حيث لا معنى للاختلاف دون هوية طالما أن الاختلاف ناتج أصلاً عن اختلاف الهوية مع ذاتها في الوقت الذي تكون فيه مساوية لذاتها.[16]

إن فكر الحداثة الغربية يمكن أن يختصر بكونه الانتقال من مركزية الله *théo-centrisme* إلى مركزية الإنسان *Anthropo-centrisme*. وجوهر الحداثة قام على تقديس مركزية العقل لدى الإنسان،والعقل الأرسطي[17] في حد ذاته قائم على مبدأ الهوية، ومبدأ الهوية قائم على الثالث المرفوع

---

[11]- *Theodor Wiesengrund-Adorno* تيودور فون ادرنو(1903-1969)رائد من رواد مدرسة فرانكفورت- معهد العلوم الاجتماعية- وقد اشتهر بدراسته للفن والمجتمع الرأسمالي.انتقل إلى سويسرا ثم إلى الولايات المتحدة الأميركية بعد صعود الحزب النازي إلى سدة الحكم في ألمانيا*http://fr.wikipedia.org/wiki/Theodor_W._Adorno* .

[12]- اشترك الفيلسوف الألماني تيودور أدورنو مع هور كهايمر (1895- 1973) في تأليف كتاب "جدل التنوير".

[13]- جيل دولوز، الاختلاف والتكرار، ترجمة: وفاء شعبان، المنظمة العربية للترجمة، توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، 2009،ص57ص80.

[14]- عبد السلام بنعبد العالي ،خوف على الهوية، أم تخوف من الاختلاف؟ مقال منشور على موقع مجلة الأوان الفلسفية. *http://www.alawan.org/spip.php?page=forum&id_article=242*

[15]- منطق الهوية قائم أصلا في بنيته الأساسية على منطق أرسطو وتحدد لنا الباحثة كلار فاغنر- ريمي *Claire Wagner Remy* البنية الأساسية لهذا الفكر،عندما تقول: " يرجع الفضل لأرسطو في إرساء المبادئ الأساسية الثلاث التي تشكل قاعدة ما نسميه المنطق الكلاسيكي،والتي يقوم عليها كل صرح المنطق العلمي:1- مبدأ الهوية:" أ هو أ"، وهي تحصيل حاصل.2- مبدأ عدم التناقض: " أ، لا يمكنها أن تكون "لا أ"، أي "الشيء لا يمكن أن يكون هو ونقيضه". فالأضداد لا يمكن أن تتعايش في نفس الشيء.3- مبدأ الثالث المرفوع (*Tiers-exclu*):" س هي أ أو (حصرا) ليست أ" يعني " أن يكون الشيء بالضرورة إما مؤكد أو منفي".

ClaireWagner-Remy -'intelligence et son miroir.Voyages autour de l'intelligence artificielle, Lausanne, éd, col. Mise au point",1990, p9.

[16]- رشيد بوطيب،ماذا تعني فلسفة الاختلاف؟،جريدة الشرق الأوسط ،العدد 8360،الصادر يوم الخميس 30 رجب 1422 هـ 18، أكتوبر،2001 م.

[17]- إن المنهج الأرسطي المرتكز على مسلّمة الثالث المرفوع *axiome du tiers exclu* يشكل الخلفية المنهجية لكل المدارس الأنتروبولوجية .ولعل هذا هو العائق الإبستمولوجي المنهجي الأكبر الذي جعل هذه المدارس عاجزة عن

أي قائم على تأصيل الثنائيات والضديات،فكان منطقيا وطبيعيا أن تظهر هوية المركزية الغربية ويحدث الصراع والصدام الاستعماري المعروف بين التمركز الغربي من جهة والثقافات الغيرية من جهة ثانية.

الأمر الذي حدا بفلاسفة الاختلاف لتوجيه انتقادات لاذعة لـــ" فلسفة الذات والهوية "باعتبارها أداة لتهميش الآخر سواء كان هذا الآخر– كتابة دريدا–[18] أو– رغبة دولوز[19]– أو– حمقى فوكو[20]– .في عملية زحزحة كبرى لمفهوم (الذات) فجاء جوهر فلسفة ما بعد الحداثة هو التشكيك في العقلانية وخلخلة التمركز حول الذات الغربية الذي أصبح بمثابة الإرث الاحتكاري التنويري الغربي. إن دعائم ما بعد الحداثة تقوم على أساس تفضيل انتشار فلسفة الاختلاف أكثر من إنتاج الثنائيات الضدية.

وكان روني غينو [21] *René Guenon* المفكر الفرنسي– المسلم فيما بعد – من الأوائل الذين وجهوا نقدا واسعا للحداثة الغربية ، وفضل" روني غينون" التوقف عند السمة الأكثر بروزا في جدول خصائص الحداثة،والتي كان يسميها " الضياع في التعدد " *la dispersion dans la multiplicité*, ونسيان الوحدة .ويرى غينو أن هذه السمة لا تفهم على حقيقتها إلا حين نستعرض التخصصات التي تفرعت منها المعارف، والسبل التي شقت في العلوم، حتى انتهى الأمر أخيرا بالتخصص إلى ضرب من ضروب الجهل. أطلق عليه "روني غينون" تسميته المعرفة الجاهلة *Le savoir ignorant* غير أن هذا التعدد لم يزد الإنسان معرفة بنفسه بل زاده جهلا بها، وحيرة أمام العوالم التي تنفتح أمامه كلما غاص في أغوار نفسه.إن ما ينقص هذه المعرفة المنشطرة،وهو غياب مبدأ علوي موحد.. أي أن تعمل جميع المعارف على التلاقي عند عتبة هذا المبدأ المحدود الذي يجعل منها وسيلة لخدمة معرفة ذات هدف أسمى منها. كأن يكون المبدأ الموحد هو "معرفة الله". إن الضياع في التعدد سينتهي بالعقل إلى حالة من التيهان في صحراء خالية من المعالم والحدود حسب تحليل روني غينون[22].

استيعاب الظاهرة الروحية تمام الاستيعاب ومنعها من النفاذ إلى عمق هذه التجربة الصوفية وفهمها من الداخل. وكما يقول الدكتور محمد أركون" إن منطق الثالث المرفوع (منطق الصحة واللاصحة) يبدو عندئذ تافها لا أهمية له" الفكر الإسلامي قراءة علمية،ترجمة وتحقيق هاشم صالح ،المركز الثقافي العربي ،الطبعة الثانية،1996، ص 58 .

[18]- *Jacques Derrida , L'écriture et la différence, Seuil,* 1967.

[19]- *Gilles Deleuze, Différence et répétition, Presses Universitaires de France, Paris, 1968.*

[20]-*Michel-foucaul, Histoire de la folie à l'âge classique. Folie et déraison, Gallimard, Paris, 1972.*

[21]-*René Guénon, né le 15 novembre 1886 à Blois en France et mort le 7 janvier 1951 au Caire en Égypte, est un métaphysicien français.*
http://fr.wikipedia.org/wiki/Ren%C3%A9_Gu%C3%A9non

[22] -*"le caractère le plus visible de l'époque moderne (c'est la dispersion dans la multiplicité, et dans une multiplicité qui n'est plus unifiée par la conscience d'aucun principe supérieur*". *René guenon , la crise du monde moderne, Paris, Gallimard, 1946, p 48.*

هذه بعض الإشكاليات التي طرحتها مشكلة الهوية والاختلاف في التجربة الغربية. أما في الفضاء العربي الإسلامي فالأمر أخطر وأصعب فقد شهد العالم العربي والإسلامي تنامي مشكلة الهويات والاختلاف منذ عصر النهضة الذي ابتدأ بسؤال"من نحن" وسؤال العلاقة مع الأخر؟؟ ولماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟؟ [23] .

" وفي كل الحالات فان من كتبوا في الموضوع في السياق الإسلامي يقصدون بالاختلاف ما يحصل بين المسلمين من تباين في وجهات النظر فيما يتعلق بأمور دينهم في المقام الأول وفي الموقف من الشعوب والثقافات أو الأديان الأخرى في المقام الثاني "[24].

وأزمة الاختلاف والهوية في العالم العربي الإسلامي طرحت خلال العقود الثلاثة الأخيرة بصيغ واصطلاحات عديدة،كالأصالة والمعاصرة،أو الهوية والنظام العالمي الجديد،أو التراث في مواجهة متطلبات العصر،ولماذا تأخرنا تقدم غيرنا ؟؟ وفي أكثر الحالات كانت تطرح الآراء ووجهات النظر في صورة أقرب للتساؤلات التي لا تجد لها إجابات حاسمة.

ففي ختام ندوة "الهوية والتراث" التي عقدت بالقاهرة عام1983م،جاء في البيان الذي يلخص أعمالها أنها " لم تصل إلى تعريف لمفهومي الهوية والتراث، ولا إلى تحديد دقيق لمكونات كل منهما "[25] وأن هذه الندوة " أثارت العديد من التساؤلات والاستفسارات،وكان أهمها ما يتعلق بقضايا أزمة المجتمع العربي،الهوية والتراث،المشروع الحضاري العربي "[26].

وأزمة الهوية في العالم العربي عبرت عن نفسها من خلال الظهور المفاجئ على المسرح الإقليمي والمحلي للمكبوت الإثتني والعشائري والديني والمذهبي والقومي، فعلى طول العالم الإسلامي والعربي شكلت الهوية عاملاً أساسياً في إلهاب الصراعات والصدامات كظهور الهويات العرقية (الأمازيغ العرب،الأكراد، الفرس،الأحباش) وظهور الهويات العقائدية (الحركات الإسلامية السياسية بكل أطيافها) وعودة ظاهرة الاختلافات المذهبية والطائفية بقوة، كاختلافات المسلمين مع بعضهم،شيعة سنة إباضية صوفية سلفية،واختلافات المسيحين مع بعضهم كاثوليك أرذثوكس وبروتستنت.

والذي يستلفت الباحث المراقب لأزمة الهوية أن هذه الأنساق الثقافية والحضارية والمذهبية المتصارعة محكومة بألية النرجسية الثقافية والحضارية والمذهبية نفسيا، ومحكومة بمنطق الفرقة

---

[23] - سؤال هو في الأصل عنوان كتاب، كتبه الأمير شكيب أرسلان سنة 1939م -1358 هـ ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر ، الطبعة الأولى ،1939م -1358 هـ.

[24] - سعد البازعي،الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء المغرب،الطبعة الأولى ،2008م، ص16.

[25]- سهير لطفي، ندوة الهوية والتراث، المركز الإقليمي العربي للبحوث والتوثيق،بيروت،دار الكلمة،1984م،ص 153.

[26]- نفسه ،ص 138.

الناجية ومنطق الاصطفاء والاستعلاء إيديولوجيا. ومحكومة بالاعتقاد بالمركزية الحضارية والتفوق المذهبي والعرقي معرفيا.

وأن ما يجمع كل هذه الطوائف والأديان والمذاهب هو عين ما يفرقهم.إن ما يجمعهم كلهم هو التفكير بآلية ذهنية استئصاليه مشتركة هي منطق الهوية [27].فكل طائفة من الطوائف وكل دين من الأديان يعتقد أنه وحده الدين الصحيح وما عداه كفر وهرطقة وخروج عن الجادة.

ومنطق الهوية يؤدي حتما إلى منطق الفرقة الناجية الذي تدعيه كل هذه الملل، والذي يظهر بتسميات مختلفة مثل فكرة " شعب الله المختار" *le peuple élu* – عند اليهود[28] أو دعوى أنهم وحدهم فقط أصحاب (الطريق والحق والحياة)كما عند المسيحيين[29] أو تسمية " خير أمة أخرجت للناس"عند المسلمين[30]،أو تسمية "الأمة المركزية *chimg kuo* "عند الصينيين[31].

ولعل هذا ما أشار إليه الأنتروبولوجي الفرنسي جيرار لوكلرك *Gérard Leclerc* حين قال :" علينا في أبسط الأشياء أن نعيد التفكير في الإشكالية التاريخية والسوسيولوجية للشعور بالمركزية إن ما أطلق عليه اسم الإتنية المركزية (العرقية) *ethnocentrisme* لم يكن صنيع الأوروبيين المحتلين وحدهم بل كان صنيع العرب والصينيين والهندوس بل صنيع أهل الاسكيمو وهنود الأمازون"[32].

والتقوقع داخل هذه المركزيات هو الذي يطرح مشكل التعايش بين هذه الأنساق العقائدية ويهدد البشرية بالحروب والنزاعات.

ويمكن أن نخلص إلى أن العلاقة مع الهوية– وفق تحليل مارتن هايدغر– هي ما يتيح للاختلاف أن يتجلّى ويظهر.

والجماعات البشرية اليوم تعيش أزمة صراع هويات إنكفائية ،و تعيش تناحر مركزيات إتنية وعقائدية. وهذه الصراعات أصبحت شاخصة للعيان على المستوي المحلي أو الإقليمي أو العالمي.

إن الأزمة الحقيقية في تصور الباحث لا تكمن في مباني الهوايات ومرتكزاتها ولكن في العلاقة المفترضة بين الذوات البشرية وبين هذه الهويات.

---

[27] -هو منطق يتأسس على مبدأ عدم التناقض وعلى مبدأ الثالث المرفوع الأمر الذي يؤدي منطقيا إلى إبعاد المختلف واتخاذه عدوا والصراع معه. .

[28]- جاء في التوراة في سفر التثنية:(7-6) "إيّاك يا إسرائيل قد اختارك الرب إلهُك لتكون له شعبًا خاصًّا من جميع الشّعوب الذين على وجه الأرض "

[29] - جاء في إنجيل يوحنا 6:14 . قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي» .

[30] - جاء في القرآن الكريم قوله تعالى "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ" سورة آل عمران الآية 110.

[31]- جيرار ليكلرك، العولمة الثقافية الحضارات على المحك، ترجمة جورج كتورة،دار الكتاب الجديد المتحدة الطبعة الأولى ،2004م ، ص24 .

[32] - نفسه، ص57 .

الأزمة تكمن في نمط العلاقة الواجب إقامتها مع الهوية،وفي وجوب إعادة النظر في نوعية الإدراك الإنتمائي للهوية الفردية أو الجماعية وإعادة بنائها من جديد[33].

إن إحدى وظائف البحث الأنتروبولوجي المعاصر هي تفكيك مرتكزات الهويات المغلقة الدوغمائية الأرثوذكسية والبحث عن محدداتها وتجلياتها،قصد تجاوزها.

ومن مهامه أيضا تشخيص البدائل وطرح استراتجيات جديدة لهوية متسامحة ومنفتحة ،والترويج لقيم النسبية الثقافية التي تساهم في إحلال التعايش السلمي بين بني البشر،كما هو مُنظَرٌ له في الكتابات والمدونات الصوفية خاصة في كتابات الأمير عبد القادر الجزائري.

ولا ينبغي أن يثنينا الطابع الميتافيزيقي لنصوص التصوف من استنطاقها وطرحها للمعالجة العلمية،أليست مهام الدرس الأنتروبولوجي أو السوسيولوجي في الأخير إلا " في تحويل مشكلات ميتافيزيقية إلى مشكلات قابلة لأن تعالج معالجة علمية " كما يقول بيار بورديو[34].

[33] - *La reconstruction d une nouvelle perception identitaire.*

[34] - *Pierre bourdieu, question de sociologie,paris.1980, p 49.*

ثانيا: الأنتروبولوجيا...والاختلاف.

الأنتروبولوجيا علم المقارنات والمقاربات بين اختلاف الثقافات/ المدارس الأنتروبولوجية وإشكالية اختلاف الثقافات/ الأنتروبولوجيا والاستعمار/ تفكيك العلاقة بين الأنتروبولوجيا وفلسفة الاختلاف/الأنتروبولوجيا والنسبية الثقافية.

يكاد يكون علم الأنتروبولوجيا هو العلم الوحيد الذي ينفرد بمهمة المقارنة بين اختلاف الثقافات،ولذلك أكد كلود ليفي ستراوس بأن الأنتروبولوجيا هي اختصاص هدفه الأول- أو ربما- الوحيد هو تحليل وتأويل الاختلافات[35] .وحين يناقش الأنتروبولوجي الأمريكي ألفريد لويس كروبر *Alfred Louis Kroeber* هوية ومهمة الأنتروبولوجيا التي دار حولها جدل طويل آنذاك، ينتهي إلى القول بأن الهدف الأساسي للأنثروبولوجيا هو التمييز بين النماذج والأنماط الثقافية المختلفة،وليس الوصول إلى التجريدات العامة أو القوانين،وهذا ما انتهى إليه أيضاً روبرت بوروفسكي *Robert Borofsky* الذي اعتقد أن علم الأنتروبولوجيا يتضمن في جوهره مقارنة وتحليلاً لأوجه الاختلاف والتماثل في الثقافات[36].

وكتبت الباحثة الأنتروبولوجية الأمريكية مارغرت ميد (1901-1979) *M.mead* محددة وظيفة الأنتروبولوجيا والأنتروبولوجيين قائلة:"نحن نصف الخصائص الإنسانية،البيولوجية والثقافية،للنوع البشري عبر الأزمان وفي سائر الأماكن ونحلل الصفات البيولوجية والثقافية المحلية،كأنساق مترابطة ومتغيرة،وذلك عن طريق نماذج ومقاييس ومناهج متطورة. كما نهتم بوصف وتحليل النظم الاجتماعية والتكنولوجيا،ونعني أيضا ببحث الإدراك العقلي للإنسان، وابتكاراته ومعتقداته ووسائل اتصالاته. وبصفة عامة،فنحن الأنثروبولوجيين نسعى لربط وتفسير نتائج دراساتنا في إطار نظريات التطور،أو مفهوم الوحدة النفسية المشتركة بين البشر.إن التخصصات الأنتروبولوجية التي قد تتضارب مع بعضها،هي في ذاتها مبعث الحركة والتطور في هذا العلم الجديد،وهي التي تثير الانتباه،وتعمل على

---

[35]-*"L'anthropologie est une discipline dont le but premier, sinon le seul, est d'analyser et d'interpréter les différences",Claude Lévi-Strauss. Anthropologie structurale, Paris, Plon, 1958 , nombreuses rééd. Pocket, 1997, p19.*

[36]- زكي الميلاد،الثقافة و الأنتروبولوجيا،قراءة في نظرية الأنثروبولوجيين،مجلة الكلمة،الصادرة يوم 06 أفريل 2004م ،1425هـ العدد44.

الإبداع والتجديد،هذا وتجدر الإشارة إلى أن جزءا لا بأس به من عمل الأنثروبولوجيين يوجه نحو القضايا العملية في مجالات الصحة والإدارة والتنمية الاقتصادية ومجالات الحياة الأخرى"[37].

ومنذ زمن مبكر استرعت ظاهرة الاختلاف الثقافي بين الشعوب انتباه علماء الأنتروبولوجيا فعملوا على الحفر في أصول الثقافات وعلى فحص بنياتها الداخلية، ومراقبة حركياتها الخارجية.ومع اتساع الاهتمام بظاهرة التنوع الثقافي تعددت مواقف الأنتروبولوجين من الاختلاف الثقافي تبعا لاختلاف مدارسهم ومناهجهم،وخلال العقود الأربعة الأولى من القرن العشرين تبلورت وسادت- كما يقول الباحث حسين فهيم في كتابه قصة الأنتروبولوجيا- ثلاثة اتجاهات رئيسية،هي:

الاتجاه التاريخي- التجزيئ ***Le particularisme historique***

الاتجاه البنائي–الوظيفي *Le Fonctionnalisme structurel*

الاتجاه التاريخي- النفسي (التشكيليون ***Configurationalists***)[38] .

إضافة إلى الاتجاه التطوري الذي كان سابقا لهذه الاتجاهات كلها.

والمدرسة التطورية *l'évolutionnisme* هي أقدم وأول المدارس الأنتروبولوجية التي تأسست على يد لويس مورغان ***Lewis Henry Morgan***[39] وادوارد تايلور *Edward Tylor* وهربرت سبنسر *Herbert Spencer*[40] وجيمس فريزر *James George Frazer*.

وتقوم نظرية هذه المدرسة على أساس فكرة التقدم الزمني الخطي الإنساني،وتطور الثقافات وفق مراحل محددة، فالثقافات تتباين وتختلف لأنها تشكل أوضاعا مختلفة في مراحل التقدم الإنساني وقد سادت هذه الأفكار التطورية إبان النصف الثاني من القرن التاسع عشر[41] .وتشابه الثقافات في هذه المدرسة يرجع إلى التشابه في العقل البشري الذي يعمل بالطريقة نفسها في الظروف المتشابهة، كما يذهب إلى ذلك إدوارد تايلور *Tylor* الذي أطلق على هذا التشابه الوحدة النفسية للجنس البشري،فكل المجتمعات حسب رأيه لها القدرات العقلية نفسها،وعندما تواجه هذه المجتمعات معضلات متشابهة

---

[37]- حسين فهيم،قصة الأنتروبولوجيا فصول في تاريخ علم الإنسان، المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب، الكويت ،1986م ،(سلسة عالم المعرفة 98) ،ص14.

[38]- نفسه،،ص121.

[39]- *Dans ancient society (*1877*), Lewis Morgan développa la théorie évolutionniste dont il fut le plus fervent défenseur, en avançant l'idée que l'évolution de l'humanité suit un schéma unique, caractérisé par trois stades successifs la sauvagerie, la barbarie et la civilisation.http://fr.wikipedia.org/wiki/Lewis_Henry_Morgan#Travaux_sur_les_syst.C3.A8mes_de_parent.C3.A9*

[40]- الذي كان يقول" ليس هنالك أنواع عديدة من التطور تجمع بينها سمات معينة مشتركة وإنما هنالك تطور واحد يمضي في كل الاتجاهات وله الاسم ذاته "

- أنجر فوج ،الانتخاب الثقافي، ترجمة شوقي جلال ،المجلس الأعلى للثقافة العدد209، الطبعة الأولى، 2005م ، ص22.

[41] - حسين فهيم ،قصة الأنتروبولوجيا ،مرجع سابق، ص121.

فإنها تصل إلى معالجات متشابهة. وكان تايلور يرى أن العقل البشري يعمل في الشروط المتشابهة بشكل واحد في أي مكان.وبما أنه من ورثة عصر الأنوار فقد انضم أيضاً إلى المفهوم العالمي للثقافة الذي نادى به فلاسفة القرن الثامن عشر[42].يقول تايلور" إن التاريخ في مجاله الدقيق بامتياز وكذا الإتنوغرافيا يتحدان لبيان أن المؤسسات التي تثبت أنها الأفضل والأكفأ في العالم تجب تدريجيا الأقل ملائمة وتحل محلها ويحدد هذا الصراع الأبدي المسار العام للثقافة الناجم عن ذلك"[43].

ويخلص الباحث في الأنتروبولوجيا جيرار ليكلرك *Gérard Leclerc* إلى أن" بناء النظريات التي يطلق عليها اسم النظريات التطورية (هي) إحدى الطرق التي حاولت أوروبا بواسطتها أن تفهم التنوع الثقافي في العالم الذي اعترفت به إبان التوسع الاستعماري كما كانت جزءا من عامل التوحد الثقافي الذي تأتي مباشرة عن هذا التوسع،في إطار مقاربة كهذه يمكن ترتيب المجموعات البشرية تبعا لخط زمني طويل يمثل في الوقت نفسه سلما للتقدم بحيث يظهر هذا الخط وقد انتقل ببطء من حالة التوحش إلى البربرية ثم إلى المرحلة المتحضرة. قام علماء الاجتماع والإتنولوجيون في القرن التاسع عشر لا سيما مورغان تايلور سبنسر وسواهم بمعارضة كل شئ ضمن توبولوجيا ثنائية تجعل المجتمعات البدائية في مواجهة مع الحضارة،تفترض التطورية إن الاختلاف بين الثقافات أو بين الحضارات هي اختلافات ناجمة أساسا عن الموقف المتقدم نسبيا عن طريق التقدم التقني الوحيد انه طريق وحيد لا يمكن تحاشيه"[44].

وفي إنجلترا ظهرت المدرسة الانتشارية *diffusionnisme* التي أرجعت نشأة الحضارة الإنسانية كلها إلى مصدر أو مركز واحد، وعن طريق الاحتكاك الثقافي بين الشعوب سواء عن طريق التجارة أو الغزوات أو الهجرة،انتشرت عناصر تلك الحضارة المركزية أو الرئيسة واتسعت دائرة وجودها، وتزعم هذه المدرسة عالم التشريح البريطاني أليوت سميث (1871 - 1937 م) *E.Smith* وكان مهتما بالآثار والهيكل البشرية[45]،ومعه أيضا تلميذه وليام بيري (1888-1949م) *W.J.Perry* اللذان رأيا أن الحضارة الإنسانية نشأت وازدهرت على ضفاف نهر النيل في مصر القديمة منذ حوالي خمسة آلاف[46].

---

[42] -دوني كوش،مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية،ترجمة قاسم المقداد،منشورات اتحاد الكتاب العرب،2002، ص21-22.

[43] - أنجر فوج،الانتخاب الثقافي،ترجمة شوقي جلال،المجلس الأعلى للثقافة العدد209،الطبعة الأولى،2005 م،ص20.

[44] - جيرار ليكلرك،العولمة الثقافية الحضارات على المحك،ترجمة جورج كتورة،دار الكتاب الجديد المتحدة الطبعة الأولى،2004م،ص 35 .

[45] - يعتبر أليوت سميث أحد مؤسسي نظرية "مصر الأم *Egypt the motherland*" أي أن الحضارة المصرية هي الأم التي وُلدت منها كل حضارات العالم.

[46] - حسين فهيم ، قصة الأنتروبولوجيا ،مرجع سابق، ،ص 123 .

- Elliot_Smith,.disais que: "Les premiers cultivateurs de la terre en Egypte sont en fait de jeter les bases non seulement de l'agriculture et l'irrigation, mais de tous les arts et

إلا أن فريقا من الألمان والنمساويين وعلى رأسهم فريتز جرايبنو (1934–1877م) وولهم شميدت(1954-1868) *Wilhelm Schmidt* رفضوا فكرة المنشأ الواحد للحضارة الإنسانية التي هي أقرب إلى الخيال أكثر من كونها علمية الأساس (على حد تعبيرجان بواريه *Jean Poirier*)، وافترضوا وجود عدة مراكز حضارية أساسية في جهات متفرقة من العالم. وأنه نشأ عن التقاء الحضارات مع بعضها البعض،نوع من الدوائر الثقافية وحدثت بعض عمليات الانصهار والتشكيلات المختلفة،الأمر الذي يفسر أوجه الاختلاف عن تلك الثقافات المركزية أو الأساسية.[47].

ونشأ الاتجاه البنائي– الوظيفي لدراسة الثقافات الإنسانية،في الوقت الذي ظهرت فيه نظريات الانتشار الثقافي في كل من أمريكا وأوروبا كرد فعل عنيف إزاء النزعة التطورية..... إذ ركز على دراسة الثقافات كل على حدة في واقعها وزمنها الحالي. فالوظيفية إذن ليست دراسة متزامنة وإنما آنية،ولذلك اختلفت كلية عن الدراسات التاريخية التي اعتمد عليها كل من التطوريين والانتشاريين على حد سواء....تبلور الاتجاه البنائي– الوظيفي في مجال الأنتروبولوجيا عن طريق الأفكار والكتابات التي طرحهما كل من العالمين البريطانيين برونسلو مالينوفسكي (*Bronisław Malinowski*1884-1942) و راد كليف براون (1955 - 1881) *Radcliffe -Brown*[48].

أما رأي المدرسة البنيوية الأنتروبولوجية بزعامة كلود لفي ستراوس حول مسألة الاختلاف الثقافي بين الشعوب والأمم فانتهت وبعد مقارنة علاقات القرابة والأساطير عند "البدائيين" إلى أنها ينتهي دائما إلى نفس المشكل الأساسي، فاستخلص لفي ستراوس أن وراء تنوع الثقافات توجد وحدة نفسية للإنسانية،إذ هنالك عناصر أساسية مشتركة للإنسانية،والحضارات لا تقوم إلا بتركيب هذه العناصر المشتركة في تشكيلات مختلفة.

ولذلك لاحظ ستراوس أن بين الثقافات البعيدة عن بعضها البعض تشابهات، وهي تشابهات لا تُعزى بالضرورة إلى التواصل بين الحضارات خاصة إذا ما تبيّنا وجود حضارات يصعب تصور الاتصال فيما بينها نظرا لانزوائها وتباعدها عن بعضها البعض مثلما هو شأن حضارة "الأنكا" في "البيرو" و"الداهومي" في "إفريقيا".ويلاحظ "كلود لفي ستراوس"،انطلاقا من دراسته للأساطير والقواعد الاجتماعية لمختلف الثقافات نواة أساسية تمثل لا متغيرات بنيوية *des invariants structurels* في كلّ بقاع العالم مثل علاقات المحرمات *Prohibition de l'inceste* ، فهذا الممنوع يحضر في كلّ

---

l'artisanat, l'organisation sociale et les croyances religieuses qui sont devenus partie intégrante de la civilisation qui s'est construite jusqu'à soixante siècles auparavant et dans les siècles plus tard, a été diffusé à travers le monde" .
http://en.wikipedia.org/wiki/Grafton_Elliot_Smith

[47]- حسين فهيم، قصة الأنتروبولوجيا مرجع سابق،ص124.

[48] - نفسه ،ص128.

المجتمعات ويمثل لا متغير بنيوي يسمح في كلّ المجتمعات من التحول من الإنسان البيولوجي إلى الإنسان الاجتماعي. ومن هذا المنطلق يقرّ "لفي ستراوس" أنه:"ليس هناك حضارة بدائية وأخرى متطورة"،بل هناك إجابات مختلفة لمشكلات أساسية ومتماثلة،وما يسميه العنصريون بالمتوحشين هم أيضا يفكرون وفكرهم ليس أقلّ مرتبة من فكر الغربيين بل هو فقط فكر يشتغل بطريقة مختلفة عن فكر الغربيين.

ومن هذا المنطلق فإن الحضارة العالمية لا يمكن أن توجد إلا كفكرة،من حيث أنها: "تحالف للثقافات التي تحتفظ كلّ واحدة منها بخصوصيتها".لذلك يدعونا "كلود لفي ستراوس"إلى التسامح مع الثقافات الأخرى وأن نتعلم تقبّل اختلافات الإنسانية،ذلك ما يسميه بالنسبية الثقافية، فليس هناك ثقافة لها الحق في النظر إلى ذاتها باعتبارها أرقى من الثقافات الأخرى،ولذلك يقول"كلود لفي ستراوس" :" إن البربري هو من يعتقد في وجود البربرية"[49].

فمن وجهة النظر الأنتروبولوجية ليس هناك سلّم مفاضلة بين الثقافات وإنما هناك تنوّع نسبي بين الثقافات ومفهوم التفوق الثقافي ليس إلاّ وليد الأحكام المسبقة الذي تمثله المركزية الإثنية أو الميل لاعتبار ثقافتنا الخاصة نموذجا للإنسان.

وفي كتابه" العرق أو–السلالة– والتاريخ[50] " ينتقد ستراوس بقوة التصور العنصري الذي يربط بين ظاهرة التعدد والاختلاف الثقافي،وبين الاختلاف العرقي السلالي،ربطا ضروريا،ويحاول تقويض الادعاءات العلمية التي يستند إليها، وقد اعتمد ليفي ستراوس لذلك التصور على الأفكار الرئيسية الثلاث الآتية :

أ– نفي وجود أية علاقة مباشرة وضرورية بين تقدم وازدهار الثقافات البشرية، وبين ما يدعى بالتفوق والامتياز العرقي .

ب– إبراز الطابع النسبي للقيم والمعايير التي يتم بواسطتها تصنيف البشرية في خانات التقدم والتخلف.

ج– التأكد على أن الازدهار الحضاري والثقافي،لا يمكن أن يتحقق إلا في ظروف تلاقح الثقافات وتفتحها على بعضها بعضا.فالتواصل والتعاون بين المجتمعات البشرية من خلال ثقافاتها يعد مصدرا للإثراء المتبادل[51].

---

[49]-" *le barbare, c'est celui qui croit à la barbarie "Claude Lévi-Strauss, Race et histoire, Éd. Denoël-Gonthier, coll. Médiations, 1968, p. 19.*

[50]- *Claude Lévi-Strauss, Race et Histoire, Paris,Gonthier ,1977.*

[51]- عبد الرزاق الداوي،موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر،هيدغر ليفي ستراوس ميشيل فوكو، دار الطليعة للطباعة والنشر، ص 96 .

وبحث الأنتروبولوجيا والاختلاف لا يخرج عن بحث علاقة السلطة بالمعرفة، لأن المعرفة كانت دائما عنصرا أساسيا في علاقات القوة، فلم تكن المعرفة في تاريخها خارج علاقات القوة ورهاناتها وأهدافها وغايتها. لقد اثبت ميشال فوكو *Michel Foucault* من خلال الحفر الذي قام به في تاريخ العقل الغربي الأوروبي أن تاريخ المعرفة كان مرتبطا دوما بتاريخ ميكروفيزياء السلطة،فالسلطة تمحورت دائما حول المعرفة والمعرفة لم تتمفصل عن السلطة، فكل منهما يستدعى الأخر ويحيل إليه،فالمعرفة تمهد الأرضية للسلطة،والسلطة تفترض علاقات القوة.

وإذا كانت الأنتروبولوجيا هي خطاب مميز حول ثقافة الأخر/المختلف .أوهي العلم الذي يدرس الإنسان، ويدرس أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بينه وبين الكائنات الحيّة الأخرى من جهة،وأوجه الشبه والاختلاف بين الإنسان وأخيه الإنسان من جهة أخرى[52] .فان كلود ليفي ستراوس نفسه يعترف بالعلاقة الملتبسة بين الأنتروبوجيا والاختلاف حين يقول:" لقد كان العصر الذي نسميه بعصر النهضة عصر ولادة فعلية للاستعمار والإناسة معا ثم نشأ بين هذه وذاك حوار ملتبس ابتدأ بالمجابهة بينهما عند انبثاقهما عن أصلهما المشترك واستمر بعد ذلك طيلة أربعة قرون،ولو أن الاستعمار لم يوجد لكان من الممكن أن يكون ازدهار الإناسة أقل تباطؤا، ولكن كان من الممكن أيضا أن لا تندفع الإناسة كما هو حالها اليوم باتجاه إعادة النظر في الإنسان برمته عبر كل مثل من أمثلته المخصوصة لقد بلغ علمنا سن الرشد عندما بدا الإنسان الغربي يعي أن لا سبيل إلى إدراك نفسه ما دام على سطح الأرض عرق واحد أو شعب واحد يعالج من قبله بمثابة الموضوع حينئذ فقط تمكنت الإناسة من توكيد نفسها بوصفها ما هي عليه: مشروع يجدد عصر النهضة ويكفر عن سيئاته في سبيل نشر الإنسية على قد الإنسانية ومقاسها "[53].فهذا اعتراف من ليفي ستراوس بأن الاستعمار والأنتروبولوجيا ولدا توأمين ثم نشأ بينهما حوار ملتبس وصراع دام أربعة قرون وفي هذا النص أيضا تظهر تبريرية ستراوس وإشادته بالاستعمار[54] في تطوير الأنتروبولوجيا باتجاه إعادة النظر في مفهوم الإنسان برمته وإدراك الإنسان الغربي ضرورة الاعتراف بالاختلاف بين الأعراق والثقافات والحضارات وشعوره بالذنب ووجوب التكفير عن ذلك بنشر الفكر الإنسي والإناسي.

---

[52] - عيسى الشمّاس،مـدخل إلى علم الإنسان (الأنتروبولوجيا) ،من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق – 2004، ص35.

[53]- كلود ليفي ستراوس،الإناسة البنيانية،ترجمة حسن قبسي ،مركز الإنماء العربي،1990،القسم الثاني،ص 30.

[54]- شهد فكر كلود ليفي ستراوس تطورا وتناقضا ملحوظا حول شجب الاستعمار فمثلا نقرأ له رأيا في الاستعمار يثير الغرابة يقول "بالطبع كنت بحرارة مع إزالة الاستعمار واستقلال الشعوب التي يدرسها علماء الأنام ولكن اليوم لم اعد متأكدا من أنني كنت على حق تماما، وليس على كل المستويات في أي حال لان الناس الذين يهتم بأمرهم علماء الأنام أعنى الأقليات العرقية هي اليوم وفي مجتمعات استردت دون شك سيادتها الوطنية في وضع غالبا ما يكون اشد مأساوية مما كانوا عليه في الفترة الاستعمارية " د.الزواوي بغورة، المنهج البنيوي، بحث في الأصول والمبادئ والتطبيقات،دار الهدى عين مليلة الجزائر،ص 204.

ولكن في ذات الوقت كان عالم الأنتروبولوجيا ليفي بريل *Lucien Lévy-Bruhl* قبل كلود ليفي ستراوس يبلور مصطلح العقلية البدائية «*la mentalité primitive*» لكي يبرر الاستعمار بشكل غير مباشر. ففي رأيه إن الغرب هو وحده الذي توصل إلى الفكر العقلاني أو المنطقي،وأما بقية الشعوب فلا تزال تعيش في مرحلة العقلية ما قبل المنطقية *la pensée pré-logique* وبالتالي فما عليها إلا أن تمر بنفس المراحل التطورية لكي تلحق بالغرب. وبما أنها لا تستطيع أن تفعل ذلك لوحدها، فإنه ينبغي على الغرب أن يساعدها أي أن يستعمرها!.

لقد اهتم المجتمع الغربي الذي نشأت فيه الأنتروبولوجيا وتطورت اهتماما كبيرا،بظاهرة الاختلاف الثقافي بين الشعوب البشرية، ولعله كان ينتظر من علماء الأنتروبولوجيا أن يثبتوا له ،من خلال رحالاتهم ودراستهم وأبحاثهم،أن التعدد والاختلاف في أشكال الثقافة البشرية،يعكس اختلافا طبيعيا وواقعيا، بين الشعوب وعقليتها. أي أن هناك غيرية *Alterite* مطلقة تميز ثقافة المتوحش والبدائي عن ثقافة المتحضر،وبالتالي تميز الغرب عن باقي المجتمعات البشرية.وعلى ما يبدو فان الأنتروبولوجيا البنيوية اختارت أن تسير في الاتجاه المعاكس لذلك الاتجاه،وفضلت الدفاع عن فكرة أن هنالك بشرية واحدة مهما تعددت وتنوعت ثقافاتها[55] .يسجل ادوارد سعيد شهادته قائلا " فقد كان ينظر إلى الثقافة الغربية على أنها المعيار المناسب للتفريق بين ما للغرب وما لغيره وبين من هم من الجنس الأعلى ومن هم من الجنس الأدنى ولم يبق ذلك اسر الأفكار المجردة إنما شمل علوم اللغة والتاريخ والأعراق والفلسفة و الانترولوجيا وحتى علماء الأحياء، وكلها وظفت في إبراز هذا التمايز "[56].وندين لـــ" فرانس بواس" *Franz Boas* "بالتأسيس الأنتروبولوجي الموسع لمفهوم "النسبية الثقافية".حتى ولو لم يكن هو أول من اخترع هذا المصطلح الذي لم يظهر إلا لاحقاً،أو يكون هو أول من فكر بالنسبية الثقافية.

لكن يمكن أن نقرر أن أعمال بواس كلها تشكل محاولة للتفكير في قضية الاختلاف.فهو يعتبر أن الاختلاف الأساسي القائم بين الجماعات البشرية هو اختلاف ثقافي وليس اختلافاً عرقيّاً.وبما أنه درس الأنثروبولوجيا الفيزيائية فقد أولى هذا الفرع اهتماماً كبيراً، لكن اهتمامه انصب على تفكيك ما كان يشكل في تلك الفترة مفهوماً رئيسياً وهو مفهوم "العرق".والنسبية الثقافية عنده هي أولاً– وربما أكثر من أي شيء آخر– مبدأ منهجي.

ولقد اعتمد بواس على مفهوم الثقافة الذي كان يبدو له الأصلح لبيان تنوع البشرية.وهو لا يرى أي اختلاف "طبيعي"(بيولوجي) بين البدائيين والمتحضرين إلا الاختلاف الثقافي.وهو بالتالي اختلاف

[55]- *Dan super, Le structuralisme en anthropologie , paris, seuil ,1973,p 120.*

[56]- إدوارد سعيد، العالم والنص والناقد، ترجمة عبد الكريم محفوظ، مجلة الاداب االأجنبية، دمشق،العدد101-102، ص.13

مكتسب وليس غريزياً..وكان بواس آخر رجال العلم الاجتماعيين الذين تخلوا عن مفهوم "العرق" في تفسير التصرفات البشرية. ولذا لم يسبقه أي باحث أبداً في موضوع دراسة الثقافات الخاصة بشكل مستقل.لأنه يعتبر أنّ كل ثقافة تمثّل كلاً فريداً،وانصب جهده على البحث عن أسباب هذه الوحدة.ومن هنا اهتمامه ليس بوصف الوقائع الثقافية وحسب بل أيضاً فهمها من خلال إعادة وصلها بالمجموع الذي ترتبط به.

وفي اعتقاد نسبية الثقافات قال مالونفسكي "إن هذه الرحلة بالنسبة لي ذات تأثير لا يقدر بثمن وتكمن أهميتها في تعزيز وجهة النظر القائلة بان الثقافات كلها أمور نسبية وأن الشر والخير بالنسبة لأي إنسان إنما يكمنان داخل ثقافة قلبه هو، والتي أجدها،أولا أجدها، هنا تماما كما هي الحال في وسطنا نحن" [57].ونتج عن هذا الاتجاه الانتشاري بصفة عامة،أن بدأ الأنتروبولوجيون ينظرون إلى الثقافات الإنسانية باعتبار أن لها كيانات مستقلة من حيث المنشأ والتطور والملامح الرئيسة التي تميزها عن غيرها ،وذلك على عكس التطوريين الذين رأوا أن الثقافات متشابهة،وأن الاختلاف الوحيد بينها يكمن فقط في درجة تطورها التكنولوجي والاقتصادي. باعتبار" أن النسبية تنفي كل شمولية لأنها تنطلق من فرضية مسبقة تقوم على اعتبار أن كل تعبير وكل اعتقاد يفقد كل معنى وكل صلاحية إن كان خارج سياق استعماله "[58].وبهذا يرجع الفضل إلى المدرسة الانتشارية في طرح فكرة تعدد وتنوع الثقافات والنسبية الثقافية التي أصبحت منذ ذلك الحين من أهم المفهومات الرئيسة في الفكر الأنتروبولوجي وتطوره ، سواء في الولايات المتحدة الأمريكية أو خارجها. وقد لاقى هذا ا لمصطلح رواجا وقبولا خاصة في عصر كانت فكرة النسبية عند أينشتاين في العلوم الطبيعية[59].فمن وجهة النظر الأنتروبولوجية يمثل مفهوم "النسبية الثقافية " في حقيقة الأمر دعوة إلى الأخذ بضرورة تنوع الشعوب،واحترامها،ومحاولة دراستها وتفهمها والوصول إلى أوجه التشابه والاختلاف بين الثقافات "إذبتنا نعلم أن الفروقات السطحية بين البشر تخفي ورائها وحدة عميقة تجمعهم" كما يقول كلود ليفي ستروس[60] .

[57]- حسين فهيم،قصة الأنتروبولوجيا ،مرجع سابق، ص26.

[58] - بيار بونت وميشال ايزار،معجم الإثنولوجيا الأنتروبولوجيا،ترجمة وإشراف محمد الصمد،الطبعة الأولى،1427هـ 2006م. ص910.

[59] - حسين فهيم،قصة الأنتروبولوجيا ،مرجع سابق ، ص126.

[60] - كلود ليفي ستراوس،الإناسة البنيانية ،ترجمة حسن قبسي،مركز الإنماء العربي،1990،القسم الثاني ، ص 54.

الفصل الأول:

- بيبيوغرافيا حياة الأمير-

أولا-أهمية البعد الثقافي والروحي في فهم فكر الأمير ومواقفه .

ثاني- التاريخ الشخصي: كرونولوجيا محطات حياته الكبرى .

ثالث- التاريخ المعرفي: مصادر ثقافة الأمير عبد القادر.

رابعا - التاريخ الروحي: مراحل تصوف الأمير.

خامسا- تجليات ثقافة الأمير: (مؤلفات الأمير)

سادسا- حول كتاب المواقف وصحة نسبته للأمير عبد القادر .

أولا: أهمية البعد الثقافي والروحي في فهم فكر الأمير ومواقفه :

إذا كان بعض علماء الأنتروبولوجيا يُعَرِّفون الثقافة بأنها "جميع مخططات الحياة التي تكونت على مدى التاريخ بما في ذلك المخططات الضمنية والصريحة والعقلية واللاعقلية وغير العقلية وهي توجد في أي وقت كموجهات لسلوك الناس عند الحاجة"[1]...أو أن الثقافة هي- على حد تعبير ادوارد هيريوت *Edouard Herriot* – "ما يبقي عندما يتم نسيان كل شئ" [2].فان تكوين الأمير عبد القادر ومخططات ثقافته التي تلقاها وهو صغير قد أثرت ولعبت دورا واضحا في توجيه سلوكه وهو كبير وهي التي أطرت حياته وبلورت مواقفه كلها.ويجب على الباحث الكشف عن مخطاطات هذه الثقافة التي تشبع بها الأمير،لأنها مسؤولة بطريق مباشر عن صناعة رؤيته للوجود وللحياة .وشكلت الخلفية اللاشعورية لكل سلوكاته ومواقفه فيما بعد[3].

ومن هنا أهمية معرفة البُعد الثقافي والروحي كمنطلق مرجعي لفهم حياة الأمير وتاريخه،لأن صورة الأمير العسكري أخفت وسترت صورة الأمير المتصوف والمثقف في كثير من الكتابات التي تناولت مقاومة الأمير من خلال الفعل الحربي أو السياسي أو الأدبي. والتي انطلقت من قراءات تجزيئية تقطيعية-وربما- تشويهة لأحداث التاريخ.وأخذت بالجزء وتناست قراءة الحدث التاريخي كاملا في جميع سياقاته.

وإذا كان الفعل السياسي أو العسكري الجهادي للأمير أمكن معرفته و توثيقه لأنه كان ظاهر للعيان وأدركه معاصروه إلا أن الفعل الروحي للأمير باطن مخفي يصعب معرفته والاطلاع عليها إلا عند أقرب المقربين أوعند المتخصصين.ولم يجانب الحقيقة والصواب الباحث برينو إتيان *Bruno Étienne* المتخصص في الأنتروبولوجيا الدينية[4] حينما قال" أن حياة الأمير عبد القادر وأعماله تدعونا أكثر من أي شئ أخر إلى كتابة تأويلية عنها أكثر منها إلى كتابة سيرة حياة أي أن الآمر يقتضي فهم الكاتب أكثر من فهمه لنفسه وهذا يتطلب صياغة مجددة لمراحل تكون أعماله،وتعود الصعوبة الخاصة لتتبع حياة الأمير عبد القادر إلى احتجاب شخصيته الحقيقية وراء الأسطورة الوطنية الجزائرية،بينما كانت حياته الفعلية كلها نوعا من السر الروحي حتى وهو يمارس دوره في تسيير الشؤون العامة،فهو

---

[1]- رالف بيلز وهاري هويجر،مقدمة في الأنتروبولوجيا العامة،ترجمة محمد الجوهري،دار النهضة،مصر، القاهرة،1976م، ص162.

[2]- محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي،مركز دراسات الوحدة العربية ،الطبعة الثامنة ،2002م،ص 36.

[3]- لمعرفة أهمية وخطورة الثقافة التي يتلقها الإنسان في بداية حياته على مستقبل حياته، يرجى الرجوع إلى كتاب.
- tout se joue avant 6 ans, Fitzhugh Dodson, Editeur, Marabout 2006.

[4]*-Bruno Étienne est un sociologue et politologue français né en 1937 à La Tronche(Isère) et mort à Aix-en-Provence le 4 mars 20091. Il était spécialiste de l'Algérie, de l'islam et de l'anthropologie du fait religieux. - http://fr.wikipedia.org/wiki/Bruno_Étienne*

في صميمه كأنه غائب عن العالم،وهذا ما كان ماكس فيبير *Max Weber*[5]يدعوه بالنموذج المثالي للبراعة الدينية[6]: أن تكون في صميم الحياة الاجتماعية وأنت خارج عنها. ويظهر هذا الالتباس بسهولة في المؤلفات التي كتبت عنه باللغة الفرنسية أم باللغة العربية أو بغيرهما مما يمكن من القيام بدراسة مضاعفة عن عبد القادر: دراسته كأمير وقائد ثورة معروف نسبيا،ثم دراسته كانسان له حياته الخاصة التي يجب أن تفهم وفق مقولات المبدأ الذي وطده الإسلام الصوفي، وساهم عبد القادر نفسه في تطويره،وهو مبدأ الباطنية[7].

لذلك إن فهم وتفهم مواقف الأمير السياسية والاجتماعية والعسكرية ينبغي أن يمر حتما عبر فهم الثقافات والعقائد الدينية الصوفية التي أطرت عقل الأمير عبد القادر والتي صنعت تفكيره وتعبيره وتدبيره." وكما هو الأمر دائما مع عبد القادر يجب إجراء قراءة مضاعفة خفية وظاهرة إذ انه في اللحظة التي يبدو فيها أكثر ما يكون جليا هو أكثر خفاء "[8].

خاصة وأن" تصوف عبد القادر لا يرفض العالم إنما يبغي حياة صامتة ضمنه، قادرة على وقاية نوع من التخفي الروحي في الوقت ذاته الذي يقوم فيه بدور فعال وكأنه غائب عنه"[9].

ولذلك يقرر أبو القاسم سعد الله " إن الطابع الأسطوري لظهور الأمير قد بدا منذ نعومة أظافره فقد كانت تظهر عليه علامات خاصة ميزته عن جميع إخوته فجعلت والده يوجه له عناية خاصة ويؤثره على غيره،وقد ظهرت هذه العناية في الثقافة والتوجيه.وكان محي الدين يراقب ابنه عن كثب ويتوسم فيه علامات غامضة وقد روى تشرشل عدة قصص عن علاقة الأب بابنه سواء في الجزائر أو في بغداد عند ضريح عبد القادر الجيلاني....إن الدارس لحياة الأمير يصادفه الجواب على هذا السؤال: هل كان الأمير رجل دين أو رجل دولة أو كان هما معا؟ وقد أجاب الكثيرون، كل حسب ما تهيأ له.ولكن الغموض ما يزال يحيط بالموضوع.إن بعضهم يعتبر الأمير في كل تحركاته مدفوعا بعامل ديني قوي وان الظروف والأحداث فقط هي التي أجبرته على الدخول في المعركة ضد الفرنسيين وان دوره الحقيقي لم يكن إقامة دولة بل العبادة والتجرد والبعد عن هذا العالم"[10].

---

[5]-*Max Weber. (21 avril 1864-14 juin 1920), sociologue et économiste allemand, l'un des fondateurs de la sociologie moderne.. http://fr.wikipedia.org/wiki/Max_Weber.*

[6]-*Un idéal-type est un concept sociologique défini par Max Weber. Il vise, pour Weber, à bâtir un modèle d'un phénomène social qu'on cherche à étudier pour ses qualités intrinsèques. L'idéal-type sera par la suite réutilisé par des théoriciens des organisations pour étalonner des études empiriques consacrées à la bureaucratie.. http://fr.wikipedia.org/wiki/Idéal-type.*

[7] - برينو اتيان،عبد القادر الجزائري،ترجمة المهندس ميشيل خوري،دار الفارابي،الطبعة الثانية،الجزائر،2001م، ص12.

[8] - نفس المرجع،ص406.

[9] - نفس المرجع ،ص406.

[10] - أبو القاسم سعد الله،مقدمة كتاب حياة الأمير عبد القادر،تشرشل.شارل هنري،الطبعة الثانية،الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982 م،ص 15.

ثانيا:التاريخ الشخصي: كرونولوجيا محطات حياته الكبرى.

يتفق أغلب المؤرخين[11] على أن ولادة الأمير عبد القادر كانت يوم الجمعة في الثالث والعشرين من رجب سنة اثنين وعشرين ومائتين وألف للهجرة 1222هـ،الموافق لشهر ماي سنة سبعة وثمانمائة وألف للميلاد 1807م[12].أن نسبه إدريسي حسني شريف [13].

تربى الأمير في حجر والده الذي مال إليه ميلا خاصا فتعهد أمر تربيته بنفسه وأحاطه برأفته وحنوه فكان بذلك موضوع اهتمام خاص وعطف مميز.

– في الرابعة من عمره التحق عبد القادر بمدرسة والده محي الدين في القيطنة عام 1227هـ–1812م[14].

– في الثانية عشر من عمره حفظ القران ودرس الحديث وأصول الشريعة[15].

– في الرابعة عشرة من العمر حصل على تسمية حافظ [16] وفي هذه السن أرسله والده إلى مدينة وهران[17] بقي فيها سنتين من1821م–إلى 1823م.

– في الخامسة عشرة تزوج ابنة عمه لالة خيرة [18].

– في السابعة عشرة من عمره اشتهر بشدة البأس وقوة البدن والفروسية [19].

– سجن مع والده محي الدين في إقامة جبرية بوهران مدة سنتين من 1823م إلى 1825م من صفر 1239هـ إلى ربيع الثاني 1241هـ[20] .

---

[11] - اعتمدنا كثيرا في ترجمة حياة الأمير عبد القادر على ما كتبه الأمير محمد باشا كبير أبناء الأمير لأنه "محل سره ورب البيت ادري بما فيه" كما قال محمد باشا عن نفسه في علاقته بابيه عبد القادر في مقدمة كتابه تحفة الزائر، وباعتباره عاش مع أبيه اغلب الأحداث والوقائع و" يعتبر كتاب "تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر"الذي ألفه محمد بن الأمير عبد القادر حتى الآن أفضل ترجمة شخصية الأمير باللغة العربية " كما يؤكد الدكتور أبو القاسم سعد الله.

[12]- كالأمير محمد باشا كبير أبناء الأمير في كتابه تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر،شرح وتعليق د ممدوح حقي، الطبعة الثانية منشورات دار اليقظة، بيروت1384ه-1964م، ص932. وعبد الرزاق البيطار في كتابه حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر،طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق 1962 باعتناء الشيخ محمد بهجة البيطار سبط المؤلف المجلد 2 ج1ص389.، وتشرشل و الحفناوي وزيدان وشيخو والشطي والبغدادي،انظر كتاب فؤاد صالح السيد،الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا،المؤسسة الوطنية للكتاب،1985، ص33.

[13] - محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر،شرح وتعليق د. ممدوح حقي، الطبعة الثانية منشورات دار اليقظة، بيروت1384ه1964م،ص93، وذكر انه تلقى هذا النسب الشريف عن والده الأمير عبد القادر.

[14] - محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر،ج 2 ص304.

[15]- تشرشل، حياة الأمير عبد القادر،مرجع سابق،ص39.

[16]- محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق،ص932.

[17]- وفيها وضعته الحكومة التركية في الإقامة الجبرية كما يذكر ذلك د.يحي بوعزيز في كتابه الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري ص18.

[18]- تشرشل.شارل هنري،حياة الأمير عبد القادر،ترجمه وقدم له أبو القاسم سعد الله،الطبعة الثانية الجزائر،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1982 م، ص41.

[19]- جرجي زيدان،مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر،طبعة مطبعة الهلال مصر سنة 1922 ،ج1ص182.

[20] - تشرشل.شارل هنري: حياة الأمير عبد القادر مرجع سابق، ص44.

– أفرجت الحكومة التركية عن الأمير وعن والده وأذنت لهما بأداء فريضة الحج عام 1241هـ 1825 م [21].

– غادر محي الدين وولده عبد القادر وهران في ربيع الثاني 1241هـ 1825م ووصلا تونس مارين بالمدية وقسنطينة...ثم الإسكندرية والقاهرة [22].

– وصولهما إلى مكة أديا فريضة الحج ثم قصدا المدينة المنورة لزيارة الحضرة النبوية الشريفة ومنها توجها إلى دمشق بصحبة الركب الشامي[23].

– ثم سافرا إلى بغداد ومكثا ثلاثة أشهر فيها ثم عادا إلى دمشق ومنها إلى مكة والمدينة حيث أديا فريضة الحج للمرة الثانية[24].

– وفي يوم تاريخي مشهود حلا بقريتهما بالقيطنة ونزلا في قبيلة هاشم حاملين لقب الحاج الشريف وكان ذلك في أوائل عام 1243 هـ 1827 م بعد غياب طويل دام سنتين [25].

– 5 يوليو 1830 م الموافق 7 ذي القعدة 1380هـ احتلال فرنسا لأرض الجزائر[26].

– في السابع والعشرين من نوفمبر سنة اثنين وثلاثين وثمانمائة وألف ميلادية27/ نوفمبر/1832م. والموافق للثالث من رجب سنة ثمان وأربعين ومائتين وألف هجرية03/ رجب/1248هـ يتم تحرر وثيقة مكتوبة لبيعة السيد عبد القادر ابن محي الجزائري أميرا للبلاد بيعة أولى خاصة[27].

– في الرابع من فبراير سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة 24/براير/1883م والموافق لثلاثة عشر رمضان سنة ثمان وأربعين ومائتين وألف 13/رمضان/1248 هـ تتم البيعة الثانية العامة للأمير[28].

– في سبتمبر 1883م الأمير عبد القادر يعلن الجهاد ويبـــدأ رسميا حربه ضد فرنسا [29].

---

[21] - فؤاد صالح السيد،الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1985،ص99-100. ص 38.

[22] - نفس المرجع،ص 38 .

[23] - نفس المرجع،ص99-100.

[24]- عبد الرزاق البيطار،حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر،تحقيق محمد بهجة البيطار، الطبعة الأولى،1961م،ج3 ص/396.و.محمد بن عبد القادر الجزائري،تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر،المطبعة التجارية ،الإسكندرية 1903 م، ج2ص 81.

[25]- فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا، مرجع سابق،.ص42 .

[26]- أبو القاسم سعد الله ،الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، الطبعة الأولى،1992. ص 525. وان كان بعض العسكريين الفرنسيين أنذاك لا يعتبر غزو فرنسا للجزائر استعمارا بل يراها حربا فوضوية غير منظمة.

Dans la session de 1835, M. Thiers définissait ainsi le système jusqu'alors suivi en Algérie « Ce n'est pas de la colonisation; ce n'est pas de la grande occupation, ce n'est pas de la petite ; ce n'est pas de la paix, ce n'est pas de la guerre : c'est de la guerre mal faite. ». Alex bellemare, Abd-el-kader sa vie politique et militaire, librairie de l hachette et cie, paris, 1863, p116..

[27]- محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق،ج 1 ص99.

[28]- محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق ،ج1 ص 103. لكن هنالك بعض المؤرخين يذكرون أن الأمير تعرض لمعارضة بعض أفراد عائلته قد «أبوا المبايعة وعلى الخصوص شيعة عمه علي أبي طالب، فإنه كان يتصدى لمقاومته، ولاقى الأمير من شقاق عائلته ما أفسد عليه كثيراً من الأعمال...» انظر،محمد السنوسي،الرحلة الحجازية،الجزء الثالث،تحقيق علي الشنوفي،الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1978،ج الثالث، ص213.ص188.

– في هذه الفترة فرنسا تحاول إغراء الأمير بالأموال كي يلقي سلاحه ....يصرح الأمير قائلا " وفي هذه المدة عرضت (الدولة) الفرنساوية علي مقدمات كثيرة ووهي ترك السلاح مقابل شروط وزيادة على ذلك كان عرض علي الماريشال بيجو *Bugeaud* [30] بالواسطة مليونا لأترك السلاح فلم اقبل ذلك منه محافظة على عهدي ودیني"[31].

– في الثامن والعشرين من شهر فبراير سنة أربع وثلاثين وألف. 28/ فبراير /1834 م. السابع عشر من شوال سنة تسع وأربعين ومائتين 17/شوال/1247هـ أول انتصار دبلوماسي للأمير عبد القادر[32] فرنسا تعترف بسلطة الأمير ودولته وتبرم معاهدة دي ميشال *Le Traité Desmichels ou Traité de Paix* [33] معه .[34] التي تم بموجبها" رفع الحصار عن وهران و مستغانم و أرزيو وسلكت الطرق إليها من الداخلية وتعينت الوكلاء فيها من قبل الأمير" [35] ودولة فرنسا وتم تعيين السفراء بين الدولتين[36].

– يوم الأحد سنة تسع وأربعين ومائتين 1247هـ 1834 م يتوفي والد الأمير عبد القادر السيد محي الدين.[37].

– في أول شهر جويلية سنة ست وثلاثين وثمانمائة وألف. 01/جويلية/1836 م. الرابع عشر من ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين14/ ربيع الأول/1252. الأمير عبد القادر ينتصر على الجيش الفرنسي في معركة المقطع بقيادة الجنرال تريزيل[38] ويقال الجنرال من منصبه بسبب هزيمته أمام الأمير.

---

[29] - محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق ،ج2 ص 14.

[30]-*Thomas Robert Bugeaud, marquis de La Piconnerie, duc d'Isly, maréchal de France, né à Limoges le 15 octobre 1784, mort à Paris le 10 juin 1849.. http://fr.wikipedia.org/wiki/Thomas-Robert_Bugeaud.* -

[31]- محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق ،ج2 ص 14.

[32]- يقول أبو القاسم سعد عن معاهدة دي ميشال " يظهر منها أنها كانت أول انتصار دبلوماسي حققه الأمير فقد اعترف به كأمير للمؤمنين وهو تعبير كما لاحظ شارل كوكنبوت *cocempot* بحق، لا يستعمله إلا الخلفاء ذوو السلطة الروحية والسياسية وأقرت مبدأ تبادل القناصل بحيث يرسل هو ثلاثة قناصل إلى ثلاثة موانئ رئيسية كانت في يد الفرنسيين وهي وعران أرزيو و مستغانم أما الفرنسيون فيرسلون قنصلا واحدا إلى مدينة معسكر عاصمة الإمارة كما نصت على تبادل الأسرى وحرية العمل بالدين الإسلامي وحرية التجارة وضرورة تبادل المجرمين الهاربين وبالجملة نصت فإنها قد نصت على سيادة الأمير ومكانته " تشرشل.شارل هنري: حياة الأمير عبد القادر، ترجمه وقدم له أبو القاسم سعد الله،الطبعة الثانية، الجزائر،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1982 م،ص17.

[33]- *Louis Alexis Desmichels, général français, né à Digne le 13 mars 1779, mort en 1845. http://fr.wikipedia.org/wiki/Louis_Alexis_Desmichels*

[34]- محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق،ج1ص 106. المصادر التاريخية الفرنسية تذكر أن معاهدة دي ميشال كانت في يوم 04/جويلية /1884م.

[35] - محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق، ج1ص 117.

[36] - الأمير محمد باشا ينقل عن أبيه الأمير عبد القادر أن سبب عزل الجنرال دي ميشال انه بلغ دولته بان مراده الدخول في الإسلام فعزلوه حالا وولو مكانه الجنرال تريزيل– انظر تحفة الزائرج1 ص 142.143.

[37] - محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق،ج2 ص 304.

[38] - نفسه ،ج1ص 151.

– الأمير ينظم جيشه ودولته ويوسع سلطنته في بلاد المغرب الأوسط [39]وينشئ الأمير مؤسسة تشريعية يترأسها مجلس الشورى الأعلى الذي يتكون من 11 عضو من الفقهاء ويعين القضاة [40]،ويؤسس نظارة الخارجية المكلفة بالتمثيل الدبلوماسي والعلاقات الخارجية وينشئ المستشفيات ويعين أطباء وجراحين لتطبيب رعيته الأمير يضرب النقود. يسك العملة و ينظم الخزينة ويجبي الضرائب ويصنع بصنع الأسلحة و الذخيرة [41].

– في أول يونيو سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة وألف 01/جوان/ 1838 م،السادس من ربيع الأول سنة أربع وخمسين ومائتين 06/ ربيع الأول/1254 هـــ الموافق.[42] يعقد الأمير عبد القادر معاهدة التافنة مع الجنرال بيجو. بعد أن تغيرت موازين القوى،داخليا وإقليميا وأثرت سلبا على مجريات مقاومة الأمير فلم يعد ينازل الفرنسيين فحسب بل انشغل أيضا بالمتمردين عليه، فتوالت النكسات خاصة بعد أن انتهج الفرنسيون أسلوب الأرض المحروقة.

– الفترة الممتدة من نوفمبر1839م إلى ديسمبر1847م كانت حاسمة في تاريخ مقاومة الأمير وكفاحه[43] فبعد أن تم نقض معاهدة التافنة أواخر عام1839م،ركز الفرنسيون كل قواتهم وجندوها ضده فانتزعوا منه عاصمته معسكر ومعظم مدن الناحية الغربية مثل تلمسان وسعيدة وتاكدمت واضطر الأمير أن ينسحب إلى الجنوب بعاصمته المتنقلة التي تدعى الزمالة وفي يوم 16 ماي 1843 ضاعت زمالته هذه في معركة عين طاقين بجبال عمور في غيابه هو وكان ذلك ضربة قاضية له ولقواته وأنصاره[44].

– في16 من شهر ماي سنة 1843م،،سقوط عاصمة الأمير،وهي من الأحداث التي كان لها وقع سيء على تاريخ الأمير؛بل هي من أخطر الضربات التي وجهت للمقاومة الوطنية آنذاك وأشدها ضرراً،

---

[39] - محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق،،ج1ص 117.

[40] - نفس المصدر،ج1ص 135.

[41] - نفس المصدر ،ج1 ص 171.

[42] - نفس المصدر،ج1 ص 178.

[43] - يؤرخ أبو حامد العربي المشرفي الذي كان شاهد عيان على تلك الفترة وعاصر معارك الأمير عبد القادر قائلا :"وسل عن تردده في الميدان (بيجو) وأحبار الرهبان، وسل عن تردده في الصفوف أودية "سيك" وشعاب"خروف"، وسل نصارى مستغانم، وكم أخذ لهم من أسارى في الغنائم، وسل ثنية "مُزايا" وما نال في قتالها من المزايا، وسل بسيط "متيجة" وكم ظهرت لهم فيه من نتيجة، معارك سهل متيجة، وسل"وادي الزيتون" وكم سفك من دم في روضة الهتون، وسل جبال"زواوة" الشوامخ والأطواد الرواسخ، عن دخوله على العدو فيها دخول النواسخ، وسل جبال أحواز "الجزائر" و"شرشال..." ويعتبر كتاب ذخيرة الأواخر من أهم المصادر التي تحدثت عن جزائر ما بعد الاحتلال، ومن المراجع العربية الجزائرية الأساسية للتعرف على الحياة العلمية والثقافية في تلك الفترة، فقد ترجم فيه لعدد كبير من العلماء (أكثر من عشرين ترجمة) منهم ترجمة خاصة بالأمير عبد القادر. اهتم المشرفي بالأحداث التاريخية التي عايش بعضها وسمع عن بعضها الآخر: ثورة درقاوة، ثورة التيجاني، دخول الاحتلال الفرنسي، مبايعة محي الدين، مقاومة الأمير عبد القادر، مما يضفي على كلامه أهمية خاصة باعتباره شاهد عيان على هذه الأحداث الخ.

http://www.djelfa.info/vb/showthread.php?t=71601-

[44]- د.يحي بوعزيز،د ميكيل دو ايبائزا،الجديد في علاقات الأمير عبد القادر مع اسبانيا وحكامها العسكريين بمليلية،دار البعث، الطبعة الأولى ،1402-1962 م ، ص 14.

يقول عنها ابنه محمد: «وبالجملة فإنها (واقعة سقوط الزمالة) كانت من أعظم الوقائع التي لا تؤدي العبارة تفصيلها ولا يُدْرِكُ اللسان تحصيلها...» [45].

– في أواخر عام 1847م انقلبت موازين القوة عند الأمير. حينما تحالف ضده أمير مراكش وحاربه وتعقبه وأصبح الأمير يتحسب من قبائل الريف المتوحشين أكثر من الفرنسيين كما صرح الأمير فيما بعد و كما ساءت ظروف أهله في معسكر.ففكر وشاور و استخار الله في إلقاء السلاح[46].

– في15 كانون الأول1847م،7 محرم 1264هـ الأمير يجتمع مع أمه ويشاورها طويلا في مسالة إنهاء المقاومة[47].

– في 1847م الأمير الجزائري يستسلم،بعدما ضاقت به السبل و أصبح الاستمرار في الكفاح أقرب إلى الانتحار،بعد أن خذله المحيط القريب و البعيد[48]. وبعدما إستحصل الأمير على العهد الوثيق والوعد الأكيد [49] من الجنرال لامورسيار*Lamoricière* [50] والدوك دو مال ابن ملك فرنسا ***le duc d'Aumale*** [51] اللذان تعهدا للأمير في جامع الغزوات بالسماح الأمير يذهب إلى القسطنطنية أو عكا أو الإسكندرية مقابل إنهاء المقاومة [52].

---

[45]- محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق ،ج1 ص 280.

[46]- نفس المصدر، ج2 ص 14.

[47]- جواد المرابط ، التصوف والأمير عبد القادر ، وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007.ص77.

[48]- وعندما عَرَض الأمير أمر الصلح مع الفرنسيين، فيما سيسمى بمعاهدة تافنا (1837)، حدث اختلاف في المجلس الذي جمعه الأمير، بين معارض لعقد الصلح ومؤيد، تدخل عمه علي أبو طالب مؤيداً لفكرة الأمير بعقد الصلح وذلك في خطبة سجلها محمد ابن الأمير في كتابه المعروف. فبعد أن يذكر تسلط الفرنسيين على البلاد واضطراب الأمر يضيف قائلاً: «...فأظهر الله تعالى بلطفه، بدر الدين ومؤيد كلمة المؤمنين ابن أخي هذا، السيد عبد القادر بن محيي الدين، فبذل الجهد في الذب عن الدين والوطن وأتى في ذلك من العجائب والغرائب ما هو به قمِن، فكم من حروب أضرمها وكم من كروب أزالها عن المسلمين وأطفأ أوارها... فالنظر أيها السادة، إنما هو للإمام لا لغيره، وكيف تذهبون إلى أن عدم قبول الصلح أولى من قبوله! مع علمكم بقلة الأنصار والأعوان وكثرة المشاغبين والمفسدين في الأقطار والأوطان...!» محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، ص: 176.

[49]- محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق ،ج2ص 14.

[50] -*Christophe Louis Léon Juchault de Lamoricière (ou La Moricière) est un général et homme politique français né à Saint-Philbert-de-Grand-Lieu (Loire-Atlantique) le 5 février 1806, décédé au château de Prouzel, près d'Amiens le 11 septembre 1865. http://fr.wikipedia.org/wiki/Christophe_Louis_Léon_Juchault_de_Lamoricière*

[51]-*Henri Eugène Philippe Louis d'Orléans, prince du sang, prince d'Orléans, duc d'Aumale, est un militaire et un homme politique français, né à Paris le 16 janvier 1822 et mort au domaine du Zucco àGiardinello (Sicile) le 7 mai 1897. Il fut l'un des premiers bibliophiles et collectionneurs d'art ancien de son époque.*

. http://fr.wikipedia.org/wiki/Henri_d'Orléans_(1822-1897)

[52] - محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق،ج1ص 93 وينقل المؤرخ الفرنسي الاكس بلامار كلام الأمير في هذا المجلس نصا .

« J'aurais voulu faire plus tôt ce que je fais aujourd'hui, j'ai attendu l'heure marquée par Dieu. Le général m'a donné une parole sur laquelle je me suis fié ; je ne crains pas qu'elle soit violée par le fils d'un grand roi comme celui des Français. ». ». Alex bellemare, Abd-el-kader sa vie politique et militaire, librairie de l hachette et cie, paris, 1863, p317..

– "ولكن الفرنسيين لم يفوا بوعدهم؛ فقد سجنوه خمس سنوات في سجون مختلفة بما فيها قصر أمبواز، وبعد أسابيع من تولي نابليون الثالث بعث إليه الأمير برسالة في 23 ديسمبر 1848 م مذكرا له بوعد فرنسا، وسجن الإنجليز لنابليون الأول، وسجنه هو نفسه (نابليون الثالث) بأمر لوي فيليب طالبا الاستجابة لرغبته في الذهاب إلى مصر أو سورية. وقد ذهب إلى استانبول ثم دمشق حيث توفي بها في مايو 1883م 1300هـ "[53].

– في أول يناير سنة 1848م،الرابع والعشرون من محرم سنة أربع وستين وألف ومائتين 24/محرم/1264هـ،أرست البارجة التي كانت تقل الأمير وأصحابه في مرسى طولون فبينما الأمير ينتظر إقلاعها ومسيرها إلى الشرق إذ دخل عليه حاكم طولون واخبره انه مأمور بنزوله في برج لاملاك إلى أن يأتي الأمر من باريس فحينئذ أحس الأمير بالخديعة ولم يسعه إلا النزول "[54].

– في الواحد والعشرين من أبريل1848 م السابع عشر من جمادى الأولى1264هـ نقلوه بمن بقي معه إلى سراية بو *Pau*[55] ولما خافوا من فراره نقلوه إلى أمبواز ...فأقام فيها أربع سنين لا يروع وان لم يكن أمنا ولم يتجدد له كرب وان كان في باطنه كامنا[56].

– في الرابع والعشرين من ديسمبر سنة 1848م،24/ديسمبر/1848م،29 من صفر سنة خمس وستين ومائتين 29/صفر/1265هـ،انعقد مجلس خصوصي للنظر في أمر الأمير وكان رئيس هذا المجلس البرنس لويس نابليون الثالث رئيس الجمهورية والمارشال بيجو وشانكرني من أعضاء المجلس فتكلموا في قضية الأمير واختلفت الآراء واظهر البرنس نابليون ميله إلى صحة العهد ووجوب الوفاء به فأيده الماريشال بيجو في جماعة من الأعيان وخالفه الباقون وكانوا أكثر عددا فلم يسع الرئيس إلا السكوت[57].

– في الثامن والعشرين من كانون الثاني سنة تسع وأربعين وثمانمائة 28/ كانون الثاني /1849م،الخامس من ربيع الأول سنة خمس وستين ومائتين 05/ ربيع الأول/ 1265هـ الموافق الماريشال بيجو *Bugeaud*[58] يرسل رسالة إلى الأمير يعرض فيها عليه البقاء في فرنسا مع منحه الأملاك والأراضي كبقية نبلاء فرنسا ويجيبه الأمير برسالة حازمة جازمة قائلا : لو جمعت فرنسا

---

[53]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الحديث ،معهد الدراسات العربية ، القاهرة ،1976 ، جـ 2 ص 43/48.

[54] - محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق ،،ج2ص 5.

[55]-*Pau est une commune française, chef-lieu du département français des Pyrénées-Atlantiques et située dans la région Aquitaine. http://fr.wikipedia.org/wiki/Pau*

[56] - محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق ،ج2ص12-13.

[57] - نفس المصدر،ج2ص 26.

[58] - *Bugeaud écrit a L'émir "Je voudrais que tu te décidasses à adopter la France pour patrie et à demander au gouvernement de te rendre propriétaire pour toi, ta famille et ta descendance, d'une belle terre où tu aurais une existence égale à celle de nos hommes les plus considérables, où tu pourrais pratiquer ta religion et élever tes enfants comme tu l'entendrais",Alex bellemare, Abd-el-kader sa vie politique et militaire, librairie de l hachette et cie, paris, 1863,, P 374.*

سائر أموالها ثم خيرتني بين أخذها وأكون عبدا وبين أن أكون حرا فقيرا معدما لاخترت أن أكون حرا فقيرا فلا تراجعوني بمثل ذلك الخطاب فانه ليس عندي بعد هذا الخطاب جواب[59].

– في يوم الثلاثاء السادس عشر من أكتوبر تشرين الأول سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة 16/أكتوبر/1852م،ثالث المحرم سنة تسع وستين ومائتين 03/محرم1269هـ ويزور نابليون الثالث الأمير في معتقل أمبواز ويسلمه وثيقة إطلاق سراحه و الأمير يقدم له والدته فيقبل البرنس الفرنسي يدها ويسألها الدعاء[60].

– في27/أكتوبر/1852م الأمير في باريس بدعوة رسمية من برنس فرنسا نابليون الثالث.[61]

– الأمير يزور مصنع السلاح ويزور المطبعة الكبرى في باريس ويبدي إعجابه الكبير بها ويصرح بعد زيارته "رأيت البارحة صناعة المدافع التي تهدم بها الحصون والقلاع وفي هذا اليوم رأيت الحروف التي تغلب بها أسرة الملوك وتخرب دولهم وهم لا يشعرون"[62].

– في أول ربيع الأول سنة تسع وستين ومائتين 1269هـ– 1852م يسافر الأمير عيد القادر بأهله ومن معه من أمواز إلى الأستانة بتركيا[63].

– يوم الجمعة وثامن يناير سنة ثلاث وخمسين ا08/ يناير/1853م،الثامن والعشرين من ربيع الأول سنة تسع وستين 28/ربيع الأول/1269هـ يصل الأمير القسطنطينية عاصمة الخلافة الإسلامية العثمانية ويزور ضريح الصحابي أبي أيوب الأنصاري ويلتقي مع شيخ الإسلام العلامة عارف حكمت ويزور الصدر الأعظم مصطفى رشيد باشا ويحضى بزيارة حضرة السلطان الغازي عبد المجيد خان[64].

– يوم الاثنين السابع من ربيع الثاني سنة تسع وستين 07/ربيع الثاني/1269هـ فيفري 1853م يصل الأمير إلى بروسة *BROUSSE* [65].

---

[59]- محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق ، ج2ص 27.

"Si tous les trésors de la terre pouvaient tenir et se trouver réunis dans le pan de mon bournous, et qu'on me proposât de les mettre en balance avec ma liberté, je choisirais ma liberté. Je ne demande ni grâce, ni faveur ; je demande l'exécution des engagements pris envers moi. J'avais demandé une parole française ; un général français me l'a donnée sans restriction ; un autre général, fils de roi, l'a confirmée ; la France était liée vis-à-vis de moi comme moi vis-à-vis d'elle. Aujourd'hui, vouloir revenir là-dessus, c'est vouloir l'impossible. Votre parole, je ne vous la rends pas ; je mourrai avec elle pour votre déshonneur. Les peuples et les rois sauront, par mon exemple, quelle confiance on peut désormais avoir dans la parole française" Alex bellemare, Abd-el-kader sa vie politique et militaire, librairie de l hachette et cie, paris, 1863, P 376.

[60] - محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق،ج 2 ص38.

[61] - نفس المصدر، ج2 ص39.

[62] - نفس المصدر ، ج2 ص44.

[63] - نفس المصدر ، ج2 ص48.

[64] - محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق ، ج2 ص51.

[65] - نفس المصدر، ج2 ص53.

– امتدت إقامة الأمير في بروسة ما يقارب من السنتين والنصف من 1269هـ إلى 1272هـ من 1853م إلى 1855م في هذه الفترة يكتب الأمير كتاب ذكرى العاقل وتنبيه الغافل وقدمه إلى المجمع العلمي الفرنسي في باريس بعد أن انتهى من تأليفه يوم 14 رمضان 1271هـ الموافق لـ31/ أيار/1854 م[66].

– في أول ذي الحجة سنة إحدى وسبعين 01/ ذي الحجة/1271هـ يعود الأمير من بروسة إلى الأستانة بعد الزلازل الكبير الذي حدث فيها ويقرر الأمير الإقامة النهائية في دمشق ثم يعود من الأستانة إلى باريس في الثامن عشر منه ويلتقي ثانية بالإمبراطور الفرنسي ثم يرجع الأمير إلى الأستانة ثانية ويستأذن من الباب العالي للانتقال من بروسة إلى دمشق فيوافق الخليفة ويأمر والي دمشق محمود نديم باشا أن يستعد لملاقاة الأمير عبد القادر في دمشق وإعداد محل لائق به وبعائلته ومن معه [67].

– في خامس ربيع الثاني سنة اثنين وسبعين ومائتين 1272هـ 1855م يصل الأمير إلى بيروت على متن باخرة فرنسية ومعه مائتي نفس ، فهرعت بيروت وأهاليها لاستقباله وعلى رأسهم والي بيروت وامق باشا واحتفلوا به احتفالا عظيما مع أمراء آل أرسلان حكام الدروز في جبل لبنان ونزل الأمير ضيفا على الكولونال تشرتشل ثم يصل الأمير إلى دمشق ويستقبله واليها محمود نديم باشا وعزت باشا رئيس العسكرية والأعيان والأشراف ثم يصل إلى دمر ثم الصالحية وينزل عند ضريح الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي وتبرك به ثم توجه إلى المحل المعد لنزوله بدار عزت باشا[68].

– في اثني عشر شوال سنة اثنين وسبعين 1272 هـ 1855م لما فرغ الأمير من لوازم السكنى القي في دمشق عصا الترحال واتخذها دار إقامة في الحال والاستقبال[69].

– في سنة ثلاث وسبعين ومائتين 1273 هـ 1856م يزور الأمير صفد بلدة نبي الله يعقوب ووقف على جب سيدنا يوسف ومر على حطين ثم توجه إلى يافا و بها حضر مولد نبي الله روبيل وشارك آهل يافا في احتفالهم ثم توجه إلى زيارة سيدنا إبراهيم الخليل وأقام في أعتابه ثلاثة أيام ثم توجه إلى القدس الشريف لزيارة المسجد الأقصى ونزل في دار ناظر أوقاف سيدي أبي مدين الغوث وزار (كنيسة) القيامة وبيت لحم وقبر سيدنا موسى ثم توجه إلى بحيرة لوط عليه السلام لزيارة مسجد

-BROUSSE-Ville du nord-ouest de l'Anatolie, chef-lieu du département homonyme, Brousse (en turc Bursa) s'étend au pied de l'Ulu Dag (Olympe de Bithynie), sur une colline de travertin, vers 250 mètres d'altitude. Connue dans l'Antiquité sous le nom de Prusa ad Olympum, la cité tient son nom de l'un des rois de Bithynie nommé Prusias.

- http://www.universalis.fr/encyclopedie/brousse-ville/

[66] - فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر متصوفا وشاعر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر1985،ص 97

[67] - محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق، ج2 ص 64-65.

[68] - نفس المصدر ، ج2 ص66.

[69] - نفسه ،ج2 ص67.

الياقطين ومنها إلى نابلس واستوعب من بلاد فلسطين كافة الأماكن المباركة والمعالم المقدسة ثم زار قبر معاذ ابن جبل في الغور وقبر أبي عبيدة ابن الجراح ثم رجع إلى دمشق وزار قبر الإمام النووي[70].

– في جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين ومائتين 1272هـ يتدخل الأمير لحل قضية مدرسة الأشرفية التي كانت قديما مدرسة العلماء الأعلام أمثال الحافظ ابن الصلاح والإمام أبو شامة والإمام النووي والحافظ المزي والحافظ السبكي والعلامة ابن حجر العسقلاني ويشترى الأمير الدار من مسيحي ويوقفها ويرجع ريعها للمدرسة [71].

– إرهاصات وقائع جبل لبنان في سنة خمس وخمسين ومائتين1255هـ وأربعين وثمانمائة 1848م بين الدروز والمسيحيين[72].

– تجدد الفتنة سنة خمس وسبعين ومائتين وتسع وخمسين وثمانمائة 1275هـ/1859م.وكان الأمير عندما بلغه خبر استعداد الدروز لقتال النصارى وتجمهرهم كتب إليهم يحذرهم سوء عاقبة أمرهم من جهة الدولة العلية ويرشدهم إلى ترك ما عولوا عليه[73].

– استغاث المسيحيون بالأمير فأرسل إليهم فرقا من المغاربة لحمايتهم من الذعار ولما غصت دور الأمير بالنصارى مع تعددها واتساعها اخذ يرسلهم إلى القلعة....فاجتمع عند الأمير في القلعة نحو الخمسة عشر إلف نفس من المسيحين وكان الأمير يقوم بنفقات الجميع واستمرت الفتنة قائمة ونارها موقدة أربعة عشر يوما كل ذلك والأمير مشتغل بأخذ الوسائل ليتوصل إلى إطفائها باذلا جهده في حسم أسبابها ولم يدخل إلى بيته في أيامها[74].

– في أول صفر سنة سبع وسبعين ومائتين وألف السلطان العثماني الصدر الأعظم فؤاد باشا يتوج الأمير بالنيشان المجيدي العالي الشأن من الرتبة الأولى[75].

– في31 أغسطس سنة 1860م الأمبرطور الفرنسي يتوج صدر الأمير بنيشان اليجون دونور المرصع من الرتبة الأولى[76].

– في الثاني عشر من أكتوبر سنة إحدى وستين وثمانمائة12/أكتوبر/1261هـ إمبراطور وملك بروسيا الكسندر الثاني يمنح الأمير نيشان صليب النسر الأحمر من الطبقة الأولى[77].

---

[70] - محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق،،ج 2 ص78.
[71] - نفس المصدر، ج2 ص 15.
[72] - نفس المصدر ، ج2 ص 92.
[73] - نفس المصدر، ج2 ص 93.
[74] - نفس المصدر ، ج2 ص 94.
[75] - نفس المصدر ج2 ص 96.
[76] - نفس المصدر ج2 ص 99.
[77] - نفس المصدر ، ج2 ص 99.

– في سبتمبر سنة ستين وثمانمائة 1860 م ملك ايطاليا يكرم الأمير بالشريطة الكبرى نيشان موريس والعاذر وهو من أقدم نياشين الخيولية والفروسية [78].

– في سبتمبر سنة ستين وثمانمائة 1860 م مللك اليونان يعطى الأمير عبد القادر النيشان الكبير رتبة أولى من صنف المخلص[79].

– في الرابع والعشرين من أغسطس سنة ستين وثمانمائة 1860 م بعثت ملكة انجلترا بندقية هدية للأمير وكذا تبرق الجمعية الفروماسونية إلى الأمير برسالة شكر وتهنئة لفعله[80].

– في أخر سنة ثمان وسبعين وثمانمائة 1878 م تتوفي والدة الأمير السيدة الجليلة السيدة الزهرا بنت محمد بن دوخة الحسينية فحزن الأمير عليها حزنا كبيرا، فانه كان يخدمها بنفسه ويغتنم مشاهدتها ومجالستها والقيام بشؤونها أناء الليل وأطراف النهار حتى توفيت[81] .

– في أول رجب سنة تسع وسبعين ركب الأمير البحر من بيروت إلى الإسكندرية فاستقبلته أعيان الحكومة وقناصل الدول ومنها توجه لزيارة المشهد الحسيني وضريح الإمام الشافعي[82].

– ومن قناة السويس توجه الأمير إلى جدة ونزل بالمدرسة المجاورة للمسجد الحرام من الناحية الجنوبية واعتمر[83] وبعد أن أدى الحج وأتم المناسك ،توجه إلى الطائف وأقام بها نحو ثلاثة أشهر ثم رجع إلى مكة المشرفة في السابع والعشرين من ذي الحجة سنة ثمانين ومائتين[84].

– في السادس والعشرين من رجب سنة ثمانين ومائتين يتوجه الأمير إلى المدينة المنورة ويتخذ خلوة في الحرم الشريف بمحل لصيق بجدار المسجد هو في الأصل بيت أبي بكر الصديق فانقطع الأمير في ذلك المحل المبارك مدة شهرين فقويت معارفه وزكت عوارفه وانكشفت له الحقائق القرآنية والأحاديث النبوية ومن طالع مواقفه في الحقائق وقف على ما اشرنا إليه واطلع على ما مزيد عليه ..واستمر الأمير مدمنا على أداء وظيفة أوراده في الخلوة والجلوة ولم يلحقه في ذلك فتور وفي الشهر الأخير من إقامته في المدينة المنورة كان يكثر من زيارة احد وقبور الشهداء والصلاة في مسجد قبا [85].

– ثم عاد إلى مكة في السابع والعشرين من ذي القعدة،واحرم بالحج وبعد الفراغ منه توجه إلى جدة في الرابع عشر من ذي الحجة وفي التاسع عشر ركب إلى السويس ومنها إلى مصر والتقي بالخديوي

[78] - محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق،، ج2 ص 100.
[79] - نفس المصدر ، ج2 ص 100.
[80] - نفس المصدر ، ج2 ص 101.
[81] - نفس المصدر، ج2 ص 119-121.
[82] - نفس المصدر ، ج2 ص121.
[83] - نفس المصدر ، ج2 ص122.
[84] - نفس المصدر ، ج2 ص141.
[85] - نفس المصدر ،ج2ص 142-144.

إسماعيل ثم توجه إلى الاسماعلية في ضيافة شركة السويس ثم رجع إلى مصر ثم الإسكندرية ليعود إلى بيروت ووصل دمشق في19 من المحرم سنة اثنين وثمانين[86].

– في السابع والعشرين من ذي القعدة سنة مائتين واحدى وثمانين 27/ذي القعدة/1281هـ والثاني والعشرين من نيسان سنة خمس وستين وثمانمائة 22/نيسان/1865م توجه الأمير إلى بيروت ومنها إلى الأستانة[87].

– وبعد أن أقام الأمير في الأستانة شهرين توجه في الخامس من صفر والثامن والعشرين من حزيران إلى فرنسا وفي الثاني عشر من صفر والخامس من تموز دخل مرسيليا ثم توجه إلى مدينة ليون ثم إلى باريس حيث التقي الأمبرطور نابليون الثالث ...وفي العاشر من ربيع الأول أول أغسطس توجه إلى لندن وبعد أربعة أيام رجع إلى باريس[88].

–في رجب سنة ست وثمانين ومائتين 1386هـ وتشرين الثاني سنة تسع وستين وثمانمائة وألف 1869 م دعي الأمير لحضور حفل فتح السويس مع الملوك والأمراء والأعيان[89].

– في سنة ست وتسعين أشاع المرجفون وفاة الأمير فوردت على أهل الأمير برقيات العزاء والرثاء من كل الجهات ولما اتصل هذا الخبر بالأمير واطلع على ما ذكره أهل الجرائد وغيرهم من بهي كماله وسني خصاله سر بذلك وقال" إن الموت حق لابد منه عند نهاية الأجل والحمد لله الذي أراني واسمعني ما يقال في جانبي من الخير بعدي" [90]

– في أخر جمادى الثانية سنة تسع وتسعين يخرج الأمير من دمشق إلى طبريا قصد التبرك والتنزه والتطبب...ثم انقلب راجعا إلى دمشق،وبعد أن اخذ الراحة في داره خرج إلى قصره في دمر على نهر يزيد وانفرد فيه للعبادة ومطالعة كتب الحقائق الإلهية وتعليق مسائلها وحل مشاكلها[91].

– وبعد محاولة علاج من ورم كان في المثانة وحصر البول وكان يمنعه من المشي،توفي الأمير عبد القادر الجزائري ي توفي على الساعة السابعة من ليلة يوم السبت التاسع عشر من رجب سنة ثلاثمائة ألف والرابع والعشرين من أيار سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة [92].

ثالثا:التاريخ الثقافي والفقهي للأمير:

درس الأمير العلم في القيطنة ووهران،وحج إلى بيت الله الحرام،وزار مع والده عواصم الشرق الإسلامي العلمية والدينية والصوفية (وهي مكة والمدينة والقاهرة وبغداد ودمشق)، ولقي العلماء

[86] - محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق،، ج 2ص145 .
[87] - نفس المصدر ، ج2ص153.
[88] - نفس المصدر ، ج2ص 157.
[89] - نفس المصدر ، ج2ص 185.
[90] - نفس المصدر ، ج2 ص 213.
[91] - نفس المصدر ، ج2ص 224.
[92] - نفس المصدر ، ج2ص247.

في مراكز العلم كالأزهر والحرمين الشريفين والجامع الأموي والزاوية القادرية. ولم يرجع من الشرق إلا بعد أن ملأ وطابه بعلوم الفقه والكلام والحديث والتصوف والأدب والتاريخ[93].في الخامسة عشر من عمره رحل الأمير عبد القادر إلى مدينة أرزيو للدراسة على قاضيها، الشيخ أحمد بن الطاهر[94] قبل أن يتحول إلى مدينة وهران حيث انتسب إلى مدرسة أحمد بن خوجة[95]التي قضى فيها ما يقرب السنة انكب فيها على توسيع معارفه اللغوية والفقهية [96] فأخذ النحو وجوهرة البيان والمنطق عن بعض علماء وهران، كالسيد مصطفى الهاشمي والشيخ بن نقريد[97]

ويحدد لنا الأمير محمد باشا مصادر ثقافة أبيه الأمير عبد القادر قائلا عنه أنه"اخذ الفقه عن والده (محي الدين) وعن غيره من العلماء ورحل إلى وهران واخذ عن علمائها وكان حافظا لكثير من اللغة العربية والقدر الوافر من صحيح البخاري عن ظهر قلب مجازا فيه عن والده وسمعه من الشيخ المحدث أبي احمدعبد الرحمن الكزبري بدمشق" [98]...ويصفه صديقه المقرب الشيخ عبد الرزاق البيطار بأنه" فارس ميدان اليراع والصفاح، وليث الرماح الخطية والأقلام الفلاح..... "وبأنه أيضا" أخذ الفقه عن والده عمدة المحققين إمام الكل في الكل السيد محيي الدين، والفقه وعن غيره من العلماء والسادة القادة الفضلاء، ثم رحل للطلب إلى وهران، فأخذ عن علمائها ذوي الإتقان. وكان يحفظ أكثر البخاري متضلعاً باللغة العربية، وله بذلك وبغيره اليد العلية "[99].

حتى أننا نجد الأمير عبد القادر وهو في قمة جهاده ومعاركه يختم قراءة صحيح البخاري أربع مرات[100].ونجد الأمير وهو في سجن امبواز" يداوم في تلك المدة على تدريس العلم وإفادة الطلبة

---

[93]- أبو القاسم سعد الله ، مقال " هل كان الأمير عبد القادر حداثيا؟منشور على موقع جريدة الشروق الجزائرية.
http://www.echoroukonline.com/ara/aklam/aklam_elkhamis/saad_allah/30207.html

[94]- أحمد بن الطاهر الرزيوي: قاضي أرزيو، أصله من مدينة أرزيو تولى القضاء لدى الأتراك بوهران، ودرس عليه الأمير عبد القادر في صدر شبابه عندما فرض عليهم الباي حسن الإقامة الجبرية، لكن بعد أن تولى الأمير الإمارة قدمه للمحاكمة و أعدمه في مدينة معسكر، بعد أن ثبُت تعامله مع الفرنسيين أعداء البلاد.- أنظر: يحي. بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة،الطبعة الأولى، دار الغرب، بيروت،ج 2،ص 210.

[95]- مدرسة أحمد بن خوجة: أصل صاحب هذه المدرسة من مستغانم استوطن وهران، و أنشأ بها مدرسة للأعيان ونشط في الكتابة حيث كتب " در الأعيان في أخبار وهران" و تتلمذ على يده الأمير عبد القادر و غيره من أبناء الأعيان.يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص.210.

[96] - ناصر الدين سعيدوني. عصر الأمير عبد القادر، الطبعة الأولى،الكويت، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2000 م،ص. 15

[97]- محمد الصغير بناني و محفوظ سماتي و محمد الصالح الجون ، مذكرات الأمير عبد القادر، تحقيق: الطبعة الثانية ،الجزائر،دار الأمة، (1998)،ص49.

[98] - محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق،ج2ص 304.

[99] - عبد الرزاق البيطار حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر،تحقيق محمد بهجة البيطار،الطبعة الأولى، 1961 ن ج2 ص904.

[100] - يقول الأمير محمد باشا"وكانت مدة إقامة الحصار عليها تسعة أشهر وختم الأمير في هذه المدة قراءة صحيح البخاري أربع مرات وقد اخبرني ابن خالي السيد محمد بوطالب انه رأى نسخة من البخاري في مجلد واحد عند الشيخ محمد القلي قاضي الأمير بجاية مكتوبا بآخرها بخطه ختمت البخاري بهذه النسخة أربع ختمات وانأ محاصر تلمسان عجل الله بفتحها " تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر،مصدر سابق،ج1ص 167.

من جماعته فقرأ صغرى السنوسي في علم الكلام ورسالة الإمام محمد بن أبي زيد القيرواني في الفقه على مذهب الإمام مالك وغيرها من المصنفات المفيدة ثم سلك أخوه الكبير محمد سعيد وأخوه السيد مصطفى وخليفته السيد مصطفى ابن التهامي جادته وأفادوا الطلبة إفادته واجتمعوا لقراءة صحيح البخاري على نية تفريج كربهم وكتاب الشفا للإمام القاضي عياض"[101]ونجد الأمير في مدينة بروسة التركية يحاضر" في الجامع القريب من الدار المعروف بجامع العرب ويقرا فيه الدروس فقرانا عليه ألفية ابن مالك بشرح المكودي والسنوسية بشرح المصنف والايساغوجي للفناري ويقرا لنا في الدار الإبريز في مناقب سيدي عبد العزيز الدباغ "[102].

ونجد الأمير في دمشق يحل قضية مدرسة الأشرفية المعروفة بدار الحديث النووية التي درس فيها العلماء الكبار أمثال العلامة الحافظ ابن حجر العسقلاني والإمام النووي والإمام السبكي والحافظ ابن الصلاح والحافظ أبي شامة المقدسي والحافظ المزي وغيرهم من الأئمة الأعلام."وافتتح التدريس فيها بصحيح البخاري رواية وكان يجلس لاقرائه بعد صلاة الظهر إلى أن يصلي العصر وكان درسه منورا مفيدا يحضره العلماء والأذكياء من الطلبة "[103].

ونجده أيضا بمدرسة الجقمقية يدرس كتاب الإتقان في علوم القران للإمام السيوطي والعقائد النسفية وصحيح الإمام مسلم[104].كما أن" هناك من الباحثين من يرى أن الأمير قد دشن عهد الحداثة في الجزائر. فقد ذهب (دنزيغر) إلى أن الأمير قد تتلمذ بوهران على شيخ بارز من أرزيو، يدعى محمد بن الطاهر، وهو شيخ كان– في رأي دنزيغر– منفتحا على عالم البحر الأبيض المتوسط، ومن ثمة ظل يتعامل مع الأوروبيين حتى بعد انطلاق المقاومة ضد الاحتلال مما جعله يتعرض لعقوبة الإعدام."[105]

وتراث الأمير عبد القادر الحداثي حسب ما يقول المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله" قد تناوله عدد من الباحثين نذكر منهم: الدكتور وارنييه *Dr. Warnier* . الذي تولى قنصلية فرنسا في مدينة معسكر أثناء هدنة معاهدة التافنة، والباحث أدريان بيربروجير ***Berbrugger A***. مؤسس مكتبة الجزائر العمومية الذي ترأس الوفد الفرنسي إلى معسكر الأمير في الونوغة،والمترجم ألاسكندر بالمر *A. Palmer* الذي رافق الأمير أثناء جولته بباريس بعد إطلاق سراحه من سجن أمبواز...وفي العصر الحاضر يمكن أن نعد من هؤلاء رفائيل دنزيغر مؤلف كتاب عبد القادر والجزائريون، وألان

[101]- محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق ،ج2ص 17.
[102] - نفس المصدر،ج2ص 54.
[103]- نفس المصدر، ،ج2ص 78.
[104] - عبد الرزاق البيطار،حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر،تحقيق محمد بهجة البيطار،الطبعة الأولى،1961،ج3 ص/396،تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر،مصدر سابق،ج2ص 82.
[105]- أبو القاسم سعد الله ،مقال " هل كان الأمير عبد القادر حداثيا؟ منشور على موقع جريدة الشروق الجزائرية.
http://www.echoroukonline.com/ara/aklam/aklam_elkhamis/saad_allah/30207.html

كريستلو في بعض بحوثه. والغريب في هذا الصدد أن ليون روش الذي كان ربما أقرب من هؤلاء جميعا إلى شخص وفكر الأمير لم يتناول –حسب علمنا– قضية الحداثة عند الأمير".

رابعا:التاريخ الروحي للأمير:

إذا جاز لنا أن نستعير المصطلحات الدينية، فانه يمكننا القول أن للأمير عبد القادر جهادين جهاد أصغر/عسكري سياسي ظاهر،يعرفه كثير من الناس. وجهاد أكبر/ روحي خفي مستتر على أغلب الناس[106]،ويمكننا تقسيم التاريخ الروحي أو جهاد الأمير الأكبر للأمير عبد القادر الجزائري إلى ثلاث مراحل:مرحلة التعلق ثم مرحلة التخلق ثم مرحلة التحقق.

أ– مرحلة التعلق:

وهي مرحلة تعلق الأمير بالتصوف والتعرف على مبادئه ورجاله،وتبدأ هذه المرحلة من بداياته الأولى حيث تربي الأمير عبد القادر تربية صوفية في أحضان أسرته التي اشتهرت بصلاحها وشرفها وانتمائها إلى سلالة الأشراف الأدارسة[107] الحسنين والى الطريقة الصوفية القادرية فأبو الأمير هوالسيد محي الدين[108] الذي يصفه حفيده محمد باشا بأنه كان "عاكفا على بيت علوم الشريعة والحقيقة وإشهار الأذكار والطريقة وألف في التصوف كتابا جليلا سماه إرشاد المريدين" [109]وبأنه" بلغ من المعارف أقصاها ومن العوارف منتهاها وشدت إليه الرحال من الضواحي والأمصار لتلقي العلوم وتلقين الأذكار وقد جبل الله النفوس على محبته والقلوب على مودته فما رمقه طرف إلا وأحب أن يفديه بسواده ولا نال احد دعوته إلا وظهرت بركتها في نفسه وماله وأولاده " [110].

وجد الأمير عبد القادر هو السيد مصطفى بن المختار يصفه محمد باشا بأنه" ناشر الطريقة القادرية بعد أن طوى بساط ذكرها وأحياها بعد أن درست أثارها،وهو كعبة الأولياء ومقتدى العلماء،أخذ الطريقة الصوفية ولبس الخرقة القادرية عن نقيب الأشراف ببغداد سيدي عبد الرحمن بن

---

[106]- يشير الباحث هنا إلى حديث "رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، جهاد النفس). قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: رواه البيهقي بسند ضعيف عن جابر، ورواه الخطيب في تاريخه عن جابر، بلفظ: (قدم النبي صلى الله عليه وسلم من غزاة، فقال صلى الله عليه وسلم: قدمتم خير مقدم، وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر: قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال: هو مجاهدة العبد هواه). وقال الحافظ بن حجر في تسديد القوس: هو مشهور على الألسنة، وهو من كلام إبراهيم ابن عيلة.أهـ (أنظر: كشف الخفا ومزيل الألباس: إسماعيل بن محمد العجلوني، مصورة دار إحياء التراث العربي، بيروت عن ط سنة 1351هـ. ص425،424.

[107]- فقد أسسَ دولة الأدارسة في المغرب السيد الإمام إدريس بن عبد الله حفيد الحسن بن علي رضي الله عنهما سنة 172هـ ، وانتهت دولتهم في المغرب العربي سنة 337هـ بعد أن تغلّب عليهم المروانيّون. في حين أن حكم الأدارسة في الأندلس انتهى سنة 459هـ على يد ملوك الطوائف.

[108]- المولود سنة تسعين ومائة وألف 1190هـ والمتوفي يوم الأحد سنة تسع وأربعين ومائتين " محمد بن عبد القادر الجزائري ،تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، المطبعة التجارية ،الإسكندرية 1903 م،ج2ص 304.

[109]- محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق،ج2ص 304.

[110]- نفس المصدر،ج2ص 302.

علي سليل الشيخ عبد القادر الجيلاني وأجازه بالواسطة السيد مرتضى الزبيدي،توفي سنة اثنتي عشرة ومائتين عند ماء يعرف بعين غزالة وقبره شهير يتبرك بزيارته الكبير والصغير[111].

وعلى خطى إبائه وأجداده انتسب الأمير عبد القادر إلى التصوف ولبس بدوره الخرقة القادرية من يد نقيب الأشراف الشيخ محمود القادري وأجازه مشافهة وكتابة، كما زار رفقة أبيه محي الدين زاوية وضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني وشيوخ الطريق هناك.كما زار ضريح شيخ الصوفية الأكبر محي الدين ابن عربي الحاتمي.واخذ عن الصوفي الكبير خالد النقشبندي السهروردي وكان يكثر التردد إليه وانتفع منه[112] – والأمير حينئذ هو في نحو العشرين من عمره. وبوفاة والد الأمير عبد القادر السيد محيي الدين عام 1249هـ 1833م انتقلت الخلافة الروحية في الطريقة القادرية والسلوك النقشبندي والمشرب الأكبري إلى الأمير عبد القادر وهو حينذاك زعيم الجهاد وعمره حوالي27 سنة،ولاشتغاله بتكاليف الإمارة والجهاد قام أخوه محمد السعيد بشؤون الطريقة [113]، بل حتى الاختيار العسكري والسياسي على شخص الأمير كان ورائه دوافع وتبريرات روحية[114] ينقل الأمير محمد باشا في التحفة أن رجلا صالحا من علماء غريس جاء إلى والد الأمير" فقال له أولياء الله قد اتفقوا على نصب ولدك عبد القادر لنصر دين الله"[115]وفي خطبة بيعة الأمير قال السيد محي الدين للناس" إليكم سلطانكم الذي أشارات إليه نبوات الأولياء والهامات الأتقياء" [116].وفي أحضان هذه الثقافة الروحية الصوفية والعائلية نشأ الأمير وبدأ حياته بمطالعة كتب الصوفية ككتاب «إرشاد المريدين» لوالده، ومنظومة " عقد جواهر المعاني في مناقب الغوث عبد القادر الجيلاني" لجد جده المختار المعروف المشهور بابن خدة التي شرحها الإمام اليوسي[117].ويؤرخ الأمير بنفسه لهذه المرحلة من حياته حين يقول" كنت مغرما بمطالعة كتب القوم رضي الله عنهم –يقصد الصوفية– منذ الصبا غير سالك طريقهم، فكنت في أثناء المطالعة

---

[111] - محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق،،ج2ص 302.

[112] - نفس المصدر،ج2ص 304.

[113] - وقد توفي بدمشق عام 1278هـ وخلفه في المشيخة ابنه محمد المرتضى (1316 – 1245هـ / 1829 – 1902م) الذي تزوج بإحدى بنات الأمير و كان شيخ مشايخ الطريقة القادرية توفى في بيروت سنة 1901 م وكان له أتباع في الشام والجزائر،وله مكتوبات وأشعار في التصوف والإرشاد. انظر، محمد مطيع الحافظ ،تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري ، تحقيق: نزار أباظة، دار الفكر المعاصر، 01/01/1986، ج1 ص189.

[114] -ومن الإشارات الصوفية على خصوصية الأمير عبد القادر أن "والد الأمير عبد القادر قام بزيارة الإمام السنوسي في زاويته بجبل أبي قبيس و معه ابنه عبد القادر..فأكرمهما الإمام السنوسي و قدم لهم وجبة من (الكسكسي) و جلس معهم على المائدة غير أنه لم يأكل لمرض ألمّ به ، فوجه نظره إلى الأمير عبد القادر و صار يعقد أصابعه و يعد اللقم التي يأكلها فأكل الأمير أربع عشرة لُقمة ثم رفع يده عن الطعام فقال له الإمام السنوسي : زد فقال لا أستطيع فكرر له القول و هو يعتذر و يقول لا أستطيع،فقال له الإمام : يا ودِّي زيد... يزيدوك - أي يا ولدي زد زادك الله - فقال: لا أستطيع. فرد عليه الإمام السنوسي قائلاً : هذا الذي كتبه الله . و لكن الأمير لم يفطن لهذه الإشارة و لم يلق لها بالاً كما لم يعرف المعنى !! هذا وقد كانت الإشارة من الإمام السنوسي للمدة التي سيحكمها الأمير،و هذا من قبيل الإلهام و الكشف الذي يمن الله به على من يشاء من عباده.- عبد المالك بن عبد القادر بن علي ، مُخْتَصَر"الفَوَائِدُ الجَلِيّةُ في تَاريخ العَائلة السَنُوسِيَّة"،1386هـ - 1966 م، القسم الأول ص17.

[115] - محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق ، ج1ص 98.

[116] - فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1985،ص52.

[117] - محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق ،ج2ص 301.

أعثر على كلمات تصدر من سادات القوم وأكابرهم، يقف شعري وتنقبض منها نفسي مع إيماني بكلامهم على مرادهم لأنني على يقين من آدابهم الكاملة وأخلاقهم الفاضلة"[118].

ب- مرحلة التخلق:

وهي مرحله تخلق الأمير بأخلاق الصوفية والسير على سيرهم ونهج نهجهم وتبدأ هذه المرحلة من سجنه في سجن تولون *Toulon* و بو *Pau* وأمبواز *Amboise* ثم فترة السنوات الأولى من استقراره في دمشق بعد إقامته في بروسة بتركيا. فقد تيقن الأمير وقتئذ " إن كل من لم يسلك طريق القوم، ويتحقق بعلومهم حتى يعرف نفسه لا يصح له إخلاص ، ولو كان أعبد الناس وأورعهم وأزهدهم وأشدهم هروباً من الخلق ، وإختفاءاً، وأكثرهم تدقيقاً وبحثاً عن دسائس النفوس وخفايا العيوب"[119] .فجعل من سجنه مدرسة لتعليم أصحابه فكانوا يتدارسون كتب الشريعة والتصوف والأدب والتاريخ، وجعل الأمير من سجنه أيضًا خلوة للذكر والتفكر والتعبد وأشار الأمير إلى هذه المرحلة في الموقفين الثالث والثمانون والوقف الحادي عشر بعد المائتين من كتابه المواقف. فأشرقت عليه مطالع الفتح النوراني وحصلت له وقائع روحانية ومشاهد ومرائي لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم وللخليل إبراهيم عليه السلام.ولما دخل الأمير دمشق وقبل أن يذهب إلى داره أصر الأمير على زيارة والتبرك بمقام الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي.

وبعد أنزله حاكم دمشق عزت باشا في المنزل الذي سكنه وتوفي فيه الشيخ الأكبر قبل ذلك بنحو ستة قرون[120].وفي دمشق توسعت دوائر علاقات الأمير بشيوخ التصوف[121]،وقيل: إنه أخذ الطريقة المولوية عن الشيخ درويش صبري.

ويؤكد أبو القاسم سعد الله أن الأمير" كان يقضي معظم أوقاته في التأليف والقراءة والتأمل الصوفي، حقا إن عبد القادر قد انغمس في أخريات حياته في عالم روحاني بعيد عن الصراع الدنيوي وقد أنتج خلال هذه الفترة عمله الكبير المسمى بالمواقف الذي يدل على أصالة تفكيره الصوفي واتجاهه

---

[118]- الأمير عبد القادر، المواقف،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر،1996،ج1، ص 15.(الكتاب مصور من النسخة الأصلية المحفوظة بالمكتبة الوطنية الجزائرية).

[119]- م. س، ص 35-36.

[120]- محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق ،ج2ص66.

[121]- " *A son arrivée à Damas, ... Sa vie, il la passe dans les mosquées, dans des conférences avec des tholbas ou dans des lectures assidues …...A Damas, comme à Toulon, comme à Pau, comme à Amboise, l'emploi de son temps est réglé heure par heure ; il ne quitte ses livres que pour se rendre à la mosquée au premier chant du moueddîn; il ne quitte la mosquée que pour retourner à ses livres. Une vie aussi exemplaire devait attirer sur l'émir l'affection et le respect des uns, la jalousie des autres " Alex bellemare, Abd-el-kader sa vie politique et militaire, librairie de l hachette et cie, paris, 1863,P416.*

الروحي ونحن لا نستغرب أن يكون عبد القادر بن محي الدين المتعلق بالطريقة القادرية القاضي شطرا من حياته في العبادة والزهد في زاوية القيطنة قد أنهى حياته الفكرية والروحية بكتاب كالمواقف " [122].وفي هذه الفترة أتيح له دراسة كتب الشيخ الأكبر التي لم يطلع عليها من قبل، وهي تعد بالمئات وكلما ازداد عكوفاً عليها ازداد بها شغفاً وازدادت العلاقة الروحية بينه وبين الشيخ عمقًا... و" أضاف إلى القادرية التي تلقاها عن والده في الجزائر الشاذلية والمولوية والنقشبندية التي تلقاها في المشرق بعد الهجرة ومن شيوخه محمد الفاسي بمكة أثناء أداء فريضة الحج للمرة الثانية سنة 1863 ونتيجة ذلك كتب قصيدته الصوفية الشهيرة يا مسعود"[123].

ج- مرحلة التحقق والفتح الكبير:

وهي أخر مرحلة وصل إليها الأمير في سيره الروحي وترقيه العرفاني، خاصة عندما التقي مع الشيخ محمد بن مسعود الفاسي شيخ الطريقة الدرقاوية الشاذلية الذي قال للأمير حين التقي به أول مرة كما ينقل يوسف النبهاني في كتابه جامع كرامات الأولياء[124]" لي عشرون عاما في انتظارك وأعطاه الطريقة الشاذلية،وفتح الله عليه فتوحا عظيما في مدة يسيرة بحيث اجتمع بالنبي صلى الله عليه واله وسلم يقظة ومدح شيخه هذا بقصيدة ذكرها في كتابه المواقف" وسرعان ما قطع الأمير معارج السلوك بإشراف شيخه في الحرمين الشريفين حيث قضى عامًا ونصف عام متجردًا للذكر والتوجه والعبادة في خلوات انقطع فيها لذكر الله،وخلوته الأولى كانت في غار حراء بجبل النور حيث تلقى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الوحي لأول مرة... يقول ابنه محمد في كتابه «تحفة الزائر» عن هذه الوقائع" واختار الشيخ محمد الفاسي المجاور في مكة المكرمة أستاذًا له فأخذ عليه الطريق وتلقى شئونها عنه، ولازم الرياضة والخلوة والاجتهاد وعكف على ما في تلك الطريقة الميمونة من الوظائف والأوراد إلى أن رقي معارج الأسرار إلى حضائر القدس ذات الأنوار،ووقعت له كرامات وخوارق وأحرز بقوة سعده أحوالًا سنية وأنفاسًا محمدية وما تم له الارتقاء إلا وهو في غار حراء لأنه انقطع فيه أيامًا عديدة إلى أن جاءته البشرى بالرتبة الكبرى ووقع له الفتح النوراني وانفجرت ينابيع الحكم على لسانه، وفاضت عيون الحقائق بين أرواح جنانه، وانفتح له باب الواردات فاستظهر من القرآن العظيم آيات ومن الحديث النبوي أحاديث صحيحات، فكتب من خلوته إلى حضرة أستاذه يصف بدايته

[122]- تشرشل.شارل هنري: حياة الأمير عبد القادر،ترجمه وقدم له أبو القاسم سعد الله، ط 2 الجزائر،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع1982 م، ص28،27.

[123]- أبو القاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي،دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى 1998،ج7 ص 116-117.

[124]- يوسف النبهاني، جامع كرامات الأولياء ،تحقيق إبراهيم عطوة عوض،مركز اهلسنة بركات رضا(الهند)، الطبعة الأولى،2001م – 1322هـ ،ج1ص372.

ونهايته ويثني على الله بما أولاه على يده بقوله:أمسعود جاء السعد والخير واليسر وولت جيوش النحس ليس لها ذكر....ثم ذكر بقية القصيدة المؤلفة من 111 بيتًا"[125].

وأنه دخل المدينة المنورة في 26 رجب 1280 هـ" ونزل محلًّا لصيقًا بجدار المسجد، وهو في الأصل بيت سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وله خوخة في المسجد، وهي التي قال فيها صلى الله عليه واله وسلم «كل خوخة في المسجد تسد إلا خوخة أبي بكر»، فانقطع الأمير في ذلك المحل المبارك مدة شهرين، فقويت بها معارفه وانكشفت له الحقائق القرآنية والأحاديث النبوية، ومن طالع مواقفه في الحقائق وقف على ما أشرنا إليه ...واستمر الأمير مدمنًا على أداء وظيفة أوراده في الخلوة والجلوة لم يلحقه في ذلك فتور، وفي الشهر الأخير من إقامته في المدينة المنورة كان يكثر من زيارة أُحُد وقبور الشهداء والصلاة في مسجد قباء ..." [126].أما تفاصيل يوميات نظام حياة الأمير فيذكرها لنا بتفصيل السيد هنري تشرتشل حين يقول عن الأمير انه" كان ينهض ساعتين قبل الفجر وينغمس في الصلوات والعبادة حتى الشروق،ثم يذهب إلى المسجد،وبعد أن يقضي نصف ساعة في الصلاة العامة يعود إلى منزله فيتناول وجبة سريعة،ثم يدخل مكتبته للدراسة إلى نصف النهار، وعلى صوت الأذان يعود إلى المسجد حيث تكون حلقة درسه قد انتظمت في انتظار وصوله.فيأخذ مكانه ويفتح الكتاب المعين للمناقشة ويقرا بصوت عال،وكان يتوقف باستمرار عند طلب تلك التوضيحات التي تفتح المستودعات المتنوعة والمتراكمة لسنواته المضطربة من دراسته الشاقة ومن التحقيق والبحث.وكان هذا الدرس يستغرق ثلاث ساعات.وبعد صلاة الظهر يعود عبد القادر إلى منزله يقضى ساعة مع أطفاله.وهم ثمانية متفحصا تقدمهم في دراستهم ثم يتناول الطعام، وعند الغروب يعود إلى المسجد حيث يعطى درسا يستغرق ساعة ونصفا، ثم يذهب للراحة " [127] ويقول " وخلال الإثنى عشر شهرا الثانية لم يغادر حجرته سوى للذهاب إلى الجامع الكبير.فكل وقته قد كرسه للدراسات الدينية والتعبد والصلاة، وكان حماس فكره الديني قد استثير بأشد أنواع إنكار الذات.فلم يسمح لنفسه بسوى أربع ساعات من النوم.ولم يوقف صومه خلال الأربع والعشرين ساعة سوى مرة واحدة،حتى عندئذ فانه كان لا يتناول سوى الخبز والزيتون وكان أنهك هذا التقشف القاسي الطويل قواه حتى ظهر على بدنه الحديدي"[128].

و يشهد هنري تشرتشل أن الأمير عبد القادر " وقد نجح في تحقيق أعلي المراتب الدينية التي تعتبر أساسية وجليلة، بعد عمل شاق وإنكار طويل للذات "[129].

---

[125] - محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق،ج2ص 136-137.

[126] - نفس المصدر ،ج2ص 142-144.

[127] - تشرشل.شارل هنري: حياة الأمير عبد القادر،ترجمه وقدم له أبو القاسم سعد الله، الطبعة الثانية،الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1982 م،ص291.

[128] - نفسه، ص292.

[129] - نفسه، ص294.

كما يذكر السيد جواد المرابط من مصادر عمه السيد يوسف المرابط الذي أخذها بدوره من أبيه عبد الرحمن المرابط الذي كان صديقا للأمير عبد القادر ورفيق صباه. أنه" ذكر لي من زهده أنه كان يدخل الخلوة أربعين يومًا في أشرفية صحنايا وأحيانًا يكون قُوتُه في خلوته كسرة من الخبز صغيرة مع قليل من الزيت بقدر ملعقة، وأن عادته أنه كان يتقلل من الطعام ومن الدنيا، يأخذ ما يأخذ للضرورة وبقدر الحاجة ... كان يفعل الأمير كل ذلك في حين كان يأكل عشرات الضيوف وعشرات الخدم من مطبخه وهو ما كان يتناول إلا لونًا واحدًا من الطعام... لقد كان الأمير،عظيمًا في عمله، عظيمًا في حروبه، عظيمًا في سلطانه على نفسه، عظيمًا في زهده، عظيمًا في روحه، وإنما يدرك عظمة تلك الروح من يعلم كما كان يعلم الأمير أن الثروة والسلطة والجاه ما من شيء من ذلك يهب السعادة، وأن الزهد في ذلك كله هو السعادة"[130] ويقول في ذلك ابنه محمد " ودفن مع أستاذه الشيخ الأكبر ... والمرء مع من أحب، وفيه تنبيه على أنهما من طينة واحدة فلهذا كان يقتفي آثاره ويتعهد معاهده، وما زال يغترف من بحر فتوحاته، ويقتبس من مشكاة تجلياته ويتحقق بنصوص فصوص حكمه، ويتخلق بحسن أخلاقه وشيمه، حتى حاكاه في القول والفعل وسار على قدمه حذو النعل بالنعل، فشيد أركان الشريعة والطريقة، فهو محيي الدين في الحقيقة... وله في التصوف المقام الشامخ، والباع الطويل والقدم الراسخ ومواقفه الكريمة أعدل شاهد بكمال ذوقه في تلك المواقف"[131].

خلال هذه المرحلة الأخيرة مرحلة التحقق والتمكين التي تواصلت معارجها وفتوحاتها حتى وفاته وعمره 78 سنة –كعمر أستاذه في عالم الأرواح الشيخ محيي الدين– انتقلت علاقة الأمير بالشيخ الأكبر من القوة إلى الفعل وعبر عنها في كتابه «المواقف»، وذكر فيه بعض وقائعه ومشاهده الروحية لشيخه الأكبر كما في المواقف 372،346،298،294.

خامسا: مؤلفات الأمير:

أ– كتاب"وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب":

وهو "عبارة عن تنظيمات وقوانين عسكرية وليس تأليفا بالمعنى الدقيق للكلمة،بالإضافة إلى انه قد ثبت أن الذي صاغه هو كاتب الأمير قدور بن رويلة[132]،أما دوره (الأمير) فيه فهو الأفكار والتوجيهات العامة"[133].وزمان تدوين هذه الرسالة هو 15 جمادى الأولى سنة 1255هـ 27 تموز 1839م. وترجمت هذه الرسالة لأول مرة على يد الترجمان روسيتي ***Rosetty*** في شوال 1259هـ كانون الأول 1843 م وطبعت باعتناء الجنرال ماري ***marrey*** بعنوان قوانين من الأمير عبد القادر

130 - جواد المرابط ،التصوف والأمير عبد القادر، ، وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007 ص 32.
131 - محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق ، ج2ص 267.

إلى جيشه النظامي.[134] وهي رسالة في تنظيم الجيش وترتيبه وضبط قوانينه مما يؤكد حنكة وكفاءة الأمير العسكرية وقد لخص الأمير محمد هذه الرسالة في كتابه تحفة الزائر[135].

ب- كتاب المقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد:

وقد ذكر الأمير سبب تأليف الرسالة حين قال نصا في مقدمة كتابه "فاني في أيام إقامتنا في أمبواز عند الدولة الفرنساوية الفخيمة تكلم احد رؤساء الدين المسيحي في الإسلام وقال أن الغدر وعدم الوفاء فيه غير قبيح ولا منهي عنه فسمعه بعض من له محبة ورغبة في إظهار الحق فجاء إلي وألح في الطلب على أن أضع في هذا الأمر رسالة لتتضمن بيان ما في شرع الإسلام مما يكذب قوله وينبذ سخفه فاعتذرت إليه بالحال التي نحن فيه ثم أعاد الطلب وشدد فيه وذلك حين أفضت رئاسة الجمهورية إلى فرع شجرة عظماء ملوكه البرنس لويس نابليون بونابرت فأجبته معترفا بأنني لا أصلح أن أكون تلميذا لعلماء الإسلام فضلا أن أكون من جملتهم... "

وقد رتبت الرسالة على مقدمة وثلاثة أبواب،المقدمة في الكلام على العقل وما يتعلق به الباب الأول في إثبات الألوهية وفيه ثلاثة فصول الأول في النظر في خلق الأرض وما يتولد منها والثاني في النظر في خلق السموات وما فيها من بديع الحكم والثالث في النظر في خلق الإنسان الذي هو المقصود بالإيجاد وكل شئ خلق لأجله الباب الثاني في إثبات النبوة مع الرسالة وفيه فصلان الأول في إثبات الرسالة على الإطلاق والعموم والثاني في ثبات مشرع دين الإسلام على الخصوص والباب الثالث في موضوع الرسالة وهو بيان ما ورد في الشرع من وجوب الوفاء والأمر به وترك الغدر والنهي عنه وما يتعلق بذلك كالصدق والكذب وترتيب هذه الرسالة وضعا هو بحسب الترتيب عقلا لان إثبات الألوهية مرتب على وجود العقل واثبات النبوة والرسالة مرتب على إثبات الألوهية وبيان ما يحمد وما يذم من الأقوال و الأفعال والصفات مرتب على إثبات النبوة، والرسالة سميتها بالمقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد[136]".

---

[132]- معظم من تصدي للكتابة عن الأمير عبد القادر من مؤرخين أوروبين لا سيما الفرنسين منهم متفقون على أن هذه الرسالة هي من املا الأمير وترتيب كاتب الأمير قدور بن رويلة راجع كل هذه الإثباتات وغيرها في كتاب وشاج الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب تقديم وتحقيق الاستاذ محمد بن عبد الكريم ، الجزائر، ايلول 1968 م.

[133] - أبو القاسم سعد الله ،مقدمة كتاب حياة الأمير عبد القادر، شارل هنري تشرشل، ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1982 م ،ص 28.

[134]- فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1985، ص 94 ص99-100.

[135] - محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق ،ج2ص -122-121.

[136] - محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق ،ج2ص 28.

ج – كتاب "ذكرى العاقل وتنبيه الغافل[137].

وقد ألف في بروسة (تركيا) أثناء إقامته بها رسالة "ذكرى العاقل وتنبيه الغافل" وسميت أيضا (رسالة إلى الفرنسيين)، وهو كتاب موجه لأعضاء المجمع الآسيوي بطلب من الجمعية، وذلك بعد أن منحه هذا المجمع العلمي الفرنسي قبل ذلك بقليل العضوية فيه. وكان تاريخ تأليف الرسالة في 14 رمضان 1271 هـ / 1855م، ثم ترجمها الفرنسي "غوستاف ديغا" إلى لغته في عام 1858م وهو القنصل الفرنسي بدمشق آنذاك.

يحتوي الكتاب على ثلاثة أبواب (في فضل العلم والعلماء) وبه تعريف العقل وتكملة وتنبيه وخاتمة، و(في إثبات العلم الشرعي) يتحدث فيه عن إثبات النبوة واحتياج كافة العقلاء إلى علوم الأنبياء.. وفصل ثالث في فضل الكتابة[138].وليس هنالك أحد يوضح لنا سبب كتابة هذه الرسالة أحسن من الأمير عبد القادر الجزائري نفسه حين يصرح في مقدمة كتابه " أمّا بعد؛ فإنه بلغني: أن علماء باريز وفقهم العليم الحكيم العزيز، كتبوا اسمي في دفتر العلماء. ونظموني في سلك العظماء. فاهتززت لذلك فرحاً ثم اغتممت ترحاً، فرحت من حيث ستر الله علي، حتى نظر عباده، بحسن الظن إليّ. واهتممت من كون العلماء، استسمنوا ذا ورم ونفخوا في غير ضرم، ثم أشار علي بعض المحبين منهم؛ بإرسال بعض الرسائل إليهم. فكتبت هذه العجالة للتشبه بالعلماء الأعلام. ورميت سهمي بين السهام.فتشبهوا إن لم تكونوا منهم ... أن التشبه بالكرام رباح وسميت هذه الرسالة ذكرى العاقل وتنبه الغافل ورتبتها على مقدمة،وثلاثة أبواب وخاتمة. وفي كل باب: فصل، وتنبيه، وخاتمة.أما المقدمة، ففي الحث على النظر،وذم التقليد.

وأما الباب الأول، ففي فضل العلم والعلماء، وفيه فصل:في تعريف العقل،الذي به إدراك العلوم وتكملة في القوى الأربع، التي إذا اعتدلت في الإنسان،يكون إنساناً كاملاً. وتنبيه في: فضل إدراك العقل، على إدراك الحواس، وفضل مدركات العقل،على مدركات الحواس، وخاتمة في: انقسام العلم، إلى محمود ومذموم.وأما الباب الثاني: ففي العلم الشرعي، وفيه فصل في: إثبات النبوة، التي هي منبع العلوم الشرعية، وفيه تنبيه في: معرفة النبي، وما يتعلق بالنبوة، وخاتمة في المكذبين للأنبياء وأما الباب الثالث: ففي فضل الكتابة. وفيه فصل في: الكلام على كتابات الأمم،ومن وضعها وما ينجر إلى ذلك.وتنبيه في: بيان حروف الكتابة العربية،وخاتمة في: احتياج الناس إلى التصنيف وما يتعلق

---

[137]-*Emir abdelkader, Le livre d'Abdelkader, Intitulé «Rappel à l'intelligent, avis à l'indifférent», Consdirérations philosophiques, religieuses, historiques, etc. Traduit avec l'autorisation de l'auteur sur le manuscrit original de la Bibliothèque Impériale, par Gustave Dugat, Editions, Paris, 1858.*

[138] - كتاب رسالة إلى الفرنسيين، ذكرى العاقل وتنبيه الغافل،مقدمة المحقق عمار الطالبي،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية،2006م، ص09.

به."[139].والكتاب عبارة عن رسالة فكرية فلسفية تقع في مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة، تناول الباب الأول فوائد التعليم، والباب الثاني خصص لقضايا تتعلق بالدين والأخلاق، والباب الثالث تحدث فيه المؤلف عن فن الكتابة والعلوم العامة. ويقول أبو القاسم سعد الله عن هذا الكتاب "أما إنتاجه الآخر فتغلب عليه روح النقل، فكتابه "ذكرى العاقل وتنبيه الغافل" مليء بالنقل الحرفي من "إحياء علوم الدين" للغزالي." [140].غير أن الدكتور رابح بونار يرى أن رسالة الأمير هذه "هي قبسة فكر يحاول الأمير أن ينازل بها فكراً ناضجاً مما استخلصه من أبحاث الإمام الغزالي وابن سينا وابن عربي وغيرهم، وقد صاغها بأسلوب واضح، وبترتيب متناسق، فكانت درة في الأدب النثري بالجزائر في القرن التاسع عشر الميلادي، ترفع من إنتاجنا الفكري وتسبغ عليه هالة من الجلال،وتستحق منا كل عناية واهتمام"[141].

د- تعليقات على حاشية جده عبد القادر في علم الكلام:

من المؤرخين الذين ترجموا لحياة الأمير ونسبوا التعليقات إليه الحفناوي في كتابه تعريف الخلف برجال السلف والبغدادي في كتابه هدية العارفين ومن المؤرخين الذين ترجموا لحياة الأمير وأهملوا الإشارة إلى هذه التعليقات الرزركلي في الأعلام ومحمد رضا كحالة في معجم المؤلفين[142].

ذ- كتاب المواقف في بعض إشارات القران إلى الأسرار والمعارف:

وهو الاسم الحقيقي للكتاب الذي ذكره الأمير نفسه في الموقف 360 من كتابه حين يقول " "قيل لي زد في تسمية كتابك المواقف في بعض إشارات القران إلى الأسرار والمعارف"[143] وقد طبع الكتاب بطبعات مختلفة وتسميات أيضا مختلفة.

الطبعة الأولى كانت بمصر سنة 1911 م1329هـ (بعد وفاة الأمير بـ29 سنة) اعتمادا على مخطوطة الشيخ عبد الرزاق،ثم طبع للمرة الثانية بدمشق عام 1966م1387هـ تحت اسم المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد بدار اليقظة العربية بموافقة وإشراف الأمير محمد سعيد حفيد الأمير عبد القادر ويقول طابعها أن هذه الطبعة بوبت ورتبت بالاستناد إلى النسخة الأم الأصلية المكتوبة بخط الأمير نفسه وقوبلت على نسخة عالم الشام الكبير جمال الدين القاسمي المحفوظة بدار الكتب الظاهرة

---

[139]- محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق،ج2ص 63.

[140] - أبو القاسم سعد الله،مقدمة كتاب حياة الأمير عبد القادر،شارل هنري تشرشل،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر،1982 م.ص24.

[141] - رابح بونار،الأمير عبد القادر حياته وأدبه،مجلة آمال، عدد خاص عن الأمير عبد القادر،جويلية 1970، الجزائر،ص 22.

[142] - فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1985،.ص 101 .

[143]- الأمير عبد القادر،المواقف في بعض إشارات القران إلى الأسرار والمعارف،تحقيق عبد الباقي مفتاح، دار الهدى للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ،1426 هـ ،2005م، ج2ص482.

ونسخة الشيخ عبد الرزاق البيطار المحلاة هوامشها بتقييدات وملاحظات بخط الأمير المؤلف كما قام بمراجعتها وتصحيحها لجنة من علماء دمشق.

وطبع الكتاب للمرة الثالثة بالجزائر عام 1996م بالتصوير المباشر من النسخة المحفوظة بالمكتبة الوطنية الجزائرية وناسخها هو الشيخ محمد الحاني.[144].تحت اسم مختصر– المواقف–.

وطبع للمرة الرابعة في بيروت في دار الكتب العلمية سنة 2004م 1425هـ بتحقيق الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي، تحت اسم المواقف الروحية والفيوضات السبوحية .

وطبع للمرة الخامسة في الجزائر بتحقيق الشيخ عبد الباقي مفتاح سنة 2005 م عن دار الهدى للطبعة والنشر والتوزيع باسمه الحقيقي الثابت " المواقف في بعض إشارات القران إلى الأسرار والمعارف ".

ويتألف الكتاب من مقدمة مطولة على شكل مقامة ثم من مجموعة من القصائد الصوفية،ومن فصول لكل فصل موقف، وعددها 372 موقفا في ثلاثة مجلدات في طبعة دمشق(1402 صفحة)، ومجلدين في طبعة الجزائر.

وكتاب المواقف في رأى الباحث هو أهم كتاب كتبه الأمير بشهادة ابنه الأكبر محمد باشا الذي يقول عن والده الأمير عبد القادر" وله في فن التصوف المقام الشامخ والباع الطويل والقدم الراسخ ومواقفه الكريمة أعدل شاهد بكمال ذوقه في تلك المواقف والمشاهد على انه جمع قصب السبق في جميع الفنون وجمع ما تفرق في غيره من حسن الأوصاف"[145].

كما يؤكد الأمير محمد باشا أن كتاب المواقف هو أهم مكتوبات الأمير فيقول عنه " وبرع في فنون علم الشريعة والحقيقة وله تأليف عديدة وحسبك منها كتاب المواقف في علم الحقيقة وهو لعقد تأليفه واسطة النظام ولمطلع مجده بيت القصيد وحسن الختام ومن أمعن النظر في خطبه أدرك منها فضله واقر بعلو مرتبته "[146].وعن كتاب المواقف يقول المستشرق الكبير جاك بارك"إن الروعة الأدبية للعديد من فقرات المواقف قد تقلب عدة مسلمات، وان النهضة الحقيقة بلا ريب قد لا توجد حيث يبحث عنها"[147].

---

[144]- مقدمة المحقق عبد الباقي مفتاح على كتاب المواقف،دار الهدى للطباعة والنشر،الطبعة الأولى ،1426 هـ - 2005م،ص29.

[145] - محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، مصدر سابق،ج2ص 267.

[146]- نغسه ، ج2ص 304

[147] - *« La splendeur littéraire de maints passages des « mawaqifs » risque de renverser bien des hiérarchies reçues et de montrer que la vraie « nahda » (renaissance) n'est sans doute pas là où on la cherche ». Jacques Berque, L'intérieur du Maghreb (15ème-19ème siècle) , Gallimard (Editions, 1978, p 192.*

سادسا- حول كتاب المواقف وصحة نسبته للأمير عبد القادر الجزائري:

أثارت الأميرة بديعة الحسني الجزائري[148]جدلا كبيرا حول كتاب المواقف ونفت مطلقا نسبته إلى الأمير عبد القادر ونظرا لخطورة النتائج المترتبة على نفي كتاب المواقف أو إثباته. سوف أتوقف في سرد الأراء المختلفة حول نسبة كتاب المواقف .

أ: موقف الأميرة بديعة من كتاب المواقف:

تذهب الأميرة بديعة إلى انه"لا يوجد أي وثيقة بخط الأمير يقول بها انه ألف كتابا اسمه المواقف"[149]وتعتقد الأميرة بديعة أن أعداء الأمير هم من كانوا وراء كتابة كتاب المواقف ونسبوه إليه وتقدم احتمالا-عائما- قائلة فيه أنه"... ربما استأجروا خطاطا يكتب بالخط المغربي ويقلد خط الأمير عبد القادر واتبعوا نهجا يؤكد ويضمن نجاح مشروعهم ولابد لمن كتب شيئا بهذا الخصوص الدفاع عنه والتعصب له، ولو لم يؤمنوا بما كتبوا لما وجدوا أقلامهم طيعة بأيديهم والله أعلم وأكبر أبنائه محمد باشا كان يتيه فخرا بكتاب ضخم ينسب إلى والده والدليل ذكره له في مؤلفه تحفة الزائر ولكنه لم يقدم أي دليل على نسب الكتاب لوالده وربما لم يطلع على ما جاء فيه وإنما تصفحه فقط والله أعلم" [150]

وتتهم الأميرة بديعة رجال الطرق الصوفية باختلاق كتاب المواقف ونسبته للأمير قائلة " فليس غريبا أن تنسب أقوال وأبيات إلى غير قائلها أو ناظمها وكتبا لغير مؤلفيها لغايات طرقية أو مذهبية أو سياسية بأهداف دعائية وليس غريبا من اختلاق كتاب كالمواقف ينسب للأمير بعد وفاته بثلاثين عاما تقريبا"[151]وتقرر أن من ألف كتاب المواقف" ليس الأمير عبد القادر وإنما آخرون وهم بعض المشايخ (هكذا في النص) دمشق أرادوا تعظيم الأمير بجمع بعض أفكاره من خلال أجوبة كان يجيب فيها على أسئلتهم"[152]

والأخطر عند بديعة أنها تتهم مباشرة الأمير محمد باشا كبير أبناء الأمير عبد القادر بالاختلاق والدس على أبيه بل هي تنفي مطلقا أن يكون الأمير عبد القادر صوفيا تقول" أما ثوب الصوفية فقد ألبسوه إياه (تقصد الأمير عبد القادر) بعد وفاته بسنين طويلة ولابنه محمد باشا بالتأكيد باع طويل في ما نسب إليه لأنه والله أعلم كان ينتمي إلى هذا الرعيل من الصوفية فأحب تكريم والده بعد وفاته وهو الذي أي محمد باشا صمم على دفن والده بمساعدة الوالي في ذلك الوقت بقرب ضريح الشيخ محي

---

[148] - السيدة بديعة تقدم نفسها في الإعلام والى القراء على أساس أنها حفـــــيدة الأمير عبد القادر (انظر تصريحها في مقدمة و نهاية كتابها - الأمير عبد القادر حقائق ووثائق - ص13 و ص 393 وص177) ولكنها لم تتفطن إنها تناقض نفسها بنفسها في الصفحة 178 حين تقول عن جدها (جد بديعة) انه عم الأمير عبد القادر. فجد بديعة إذن هو عم الأمير عبد القادر وهذا يعني ببساطة إنها ليست حفيدة للأمير. لأن الحفيد هو" ولد الولد والجمع حفداء " كما جاء في لسان العرب ، ابن منظور ،دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى ،ج3 ص 153 .

[149] - الأميرة بديعة الحسني الجزائري،الأمير عبد القادر،حقائق ووثائق بين الحقيقة والخيال،دار المعرفة، 2008 ، هامش ص 170 .

[150] - الأميرة بديعة الحسني الجزائري،الأمير عبد القادر،مرجع سابق، ص 178- 180.

[151] - نفسه ،ص 175 .

[152] - نفسه، ،ص 369.

الدين بن العربي مع أن الأمير لم يوص بذلك في وصيته المعروفة " [153].وبجرأة غريبة عجيبة جدا تقرر انه" لم يعرف عن الأمير انه انتسب إلى أي طريقة لا قادرية ولا نقشبندية وإنما اطلع على جميع الفرق ولم يعرف عنه انه انتسب إلى الطرق الإشراقية ولا القديانية وإنما عرف عنه انه مالكي المذهب"[154] وتقول أن أعداء الأمير" فعلوا بالأمير فجعلوه صوفيا حلوليا" [155].

ويبدو أن الأميرة بديعة تحاكم كتاب المواقف انطلاقا من إيديولوجيتها الدينية الشخصية التي تنتمي إليها أكثر من اعتمادها على منطلقات تاريخية وعلمية فهي تصف المواقف بأنه" كتاب خطير في موضوعه العقائدي والديني" [156] فالخطورة عندها هي عقائدية دينية لا تاريخية تقول " ولأهمية هذا الموضوع وخطورته على الدين الإسلامي الحنيف بالتشويش والتشكيك بمبدأ التوحيد والقبول بتاليه الإنسان لكونه أرادها الله من تلك الآيات وبعدها عن ضوابط التفسير التي حددها الشرع الإسلامي جعلاني أحاول سد أي ثغرة أو سلبيات منهجية سببت خللا على مستوى الموضوع وهو عدم نسبة كتاب المواقف للأمير عبد القادر وان لا اترك هذه السلبيات سائبة دون معالجة" [157].

وتسوق عصارة أدلتها التاريخية في نفي نسبة كتاب المواقف إلى الأمير قائلة " والخلاصة ثبت بشهادة الشيخ عبد المجيد الخاني رحمه الله في كتابه الكواكب الدرية على الحدائق الوردية ص430-431 والشهادة الثانية للشيخ فراج بخيت السيد الذي ذكرت شهادته في كتاب المواقف الذي نسب للأمير في الصفحة 464 الذي قال بهذه الشهادة – ثم الجزء الثاني وانتهاؤه في يوم السبت 27 جمادى أول سنة 1328هـ– هذه الشهادات معتبرة جدا ومما يزيدها توثيقا شهادة ثالثة هي شهادة الأستاذ المرحوم جواد المرابط وذكر هذه المعلومة الدكتور فؤاد صالح السيد في بحث له في مجلة الثقافة الجزائرية.هذه الشهادات الثلاث تثبت أن الأمير لم يؤلف كتاب المواقف ولم يذكر أحد من المؤرخين أن الأمير طلب من احد تدوين أحاديثه وإنما الآخرون هم من طلب تدوينها للانتفاع منها وإثراء معلوماتهم على ما يبدو رابعا شهادتي وهي أنني لم اسمع من أهلي الذي كانوا مقيمين معه انه ألف كتابا باسم المواقف ولا غيره....

وبعد تقديم الأدلة من شهادات وغيرها لا أريد اتهام احد بتأليف كتاب الواقف ولا ادعي أنني قمت بدراسة كاملة لهذا الكتاب وما ذكرته في هذا البحث هو من باب تقديم الأدلة والأمثلة وشهادات الشهود والإشارة إلى التناقضات... "[158] فخلاصة أراء بديعة تتلخص في مسألتين خطيرتين:

أولا: المواقف كتاب لم يكتبه الأمير عبد القادر. **ثانيا:** الأمير لم يكن صوفيا على الإطلاق.

---

153 - الأميرة بديعة الحسني الجزائري،الأمير عبد القادر،مرجع سابق ،ص 384.
154 - نفس المرجع، ص 380.
155 - نفس المرجع، ص 373.
156 - نفس المرجع، ص 235.
157 - نفس المرجع ، ص 369.
158 - نفس المرجع، ، ص 391.

ب- مناقشة أدلة السيدة بديعة:

و سوف أستدل- على صحة نسبة كتاب المواقف للأمير- بنفس المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الأميرة بديعة لأدلل إن السيدة بديعة ابتدعت هذا الرأي ولم يسبقها إليه أحدا كما أنها لم تكن أمينة وموضوعية في نقل شهادة الشهود.

أولا: شهادة الشيخ عبد المجيد الخاني (التي اعتمدتها الأميرة بديعة وأولتها تأويلا غارقا في الخيال) يقول الشيخ عبد المجيد معترفا مثبتا نسبة كتاب المواقف للأمير" فمن أعظم أثاره الدالة على جلالة مقداره كتاب المواقف العرفانية الجدير بان يكتب بالنور على نحور الحور وهو كتاب جليل من توفيقات توفقاته الإلهية وواردات مشاهداته الربانية وتفسير الآيات الكريمة والأحاديث النبوية والأجوبة الإخوانية التي كانت ترد عليه من كل ذائق من علم الحقائق مثل الوالد الماجد(يقصد بالوالد الماجد أبوه الشيخ محمد الخاني صديق الأمير) فانه كان كثيرا ما يراجعه في بعض المسائل الخفية ويسأله حل محال من الفصوص والفتوحات المكية وغيرها فلكثرة حبه للخير وبذله مع وفرة موانعه وشغله كان يقيد ما ظهر له بالكشف ويوضحه ويرسل به إليه فكان من فرط حرسه عليه يلحقه في المواقف بإذنه كما يشير إلى ذلك قوله في بعضها سألني بعض الإخوان والتصريح باسمه في مواقف شرح فص شعيب وفص إسماعيل وفص ادم عليهم السلام وخطبة الفتوحات المكية وغيرها فما زال يضم كل مسألة إلى أخدانها ويقرنها بأقرانها حتى اجتمع من ذلك ثلاث مجلدات ضخمة وقد ذيل الوالد الماجد بعد وفاته الجزء الثالث بما وجده في كناشه بخطه من مبشرات والفاءات روحية عالية المنزع غالية المطلع" [159].

هذه هي شهادة الشيخ عبد المجيد الخاني كاملة تؤكد وفي وضوح تام لا لبس فيه صحة نسبة كتاب المواقف للأمير بل أن الشيخ عبد المجيد يجعل كتاب المواقف أعظم أثار الأمير الجزائري الدالة على جلالة مقداره كما انه يرى أن كتاب المواقف جدير بأن يكتب بالنور على نحور الحور ويعتقد الشيخ عبد المجيد أن المواقف كتاب جليل وهو في نظره من توفيقات الأمير الإلهية وواردات مشاهداته الربانية وتفسير الآيات الكريمة والأحاديث النبوية والأجوبة الإخوانية.

أما التأويلات غير المؤسسة للسيدة بديعة لهذه الشهادة فهي غارقة في احتمالات بعيدة خيالية ،وما يهدم كل تلك الاحتمالات هي ما ورد في شهادة الشيخ عبد المجيد الخاني من أن الأمير عبد القادر كان يقيد ما ظهر له بالكشف ويوضحه... فمقيد وكاتب ومدون كتاب المواقف هو الأمير عبد القادر نفسه وأن الشيخ محمد الخاني والد عبد المجيد كان من فرط حبه للأمير وحرسه على تدوين أفكاره وأرائه كان يدون أفكار الأمير في المواقف و بإذن الأمير نفسه....فكتاب المواقف إذن وترتيبه كان تحت

[159] - الأميرة بديعة الحسني الجزائري،الأمير عبد القادر،مرجع سابق ، ص 371.

رقابة الأمير وبإذنه الشخصي وإشرافه المباشر كما أن مرجع الشيخ محمد الخاني هو كناش كتبه الأمير بخط يده.

للإشارة والتنبيه أن هنالك علاقة مصاهرة قوية بين الأمير عبد القادر وبين عائلة الخاني وفي ذلك يقول عبد المجيد الخاني مذكرا أن أباه الشيخ محمد الخاني لما حج برفقة والدته السيدة عادلة "لقي في سفره عامئذ أمير العارفين السيد عبد القادر الجزايري قدس الله سره مجاورا في مكة المكرمة يشتغل في الخلوات واشق العبادات والمجاهدات وقد منّ الله عليه بالفتح المبين فأشار إليه بالبقاء معه فلم يمكنه لوجود والدته معه.وفي عام ثمانين منّ الله عليه باتصال نسبه بنسب حضرة مولانا قدس الله سره العزيز فتزوج بكريمته أصلح نساء زمانها المغفور لها فاطمة قدس سرها فنال بذلك سرورا فوق سرور وزاد نورا على نور وايد الله تعالى اتصال هذا الفخر بأن ولدت له بنتا سماها بهية وذلك عام ثلاثة وثمانين ولما قدم الأمير الجليل المشار إليه دمشق محل إقامته اتصل به سيدي الوالد ولازمه ملازمة صدق وإخلاص فأقبل عليه الأمير المشار إليه لمكان حضرة والده وجعل يجله ويبجله ويعظمه ويكرمه ويقول له– إنما أنت أخي وكلنا أولاد الشيخ محمد الخاني قدس الله سره– وحيث كان هذا العارف الجليل منتظما في سلك هذا الرعيل أحببت أن استطرد تعطير هذه الحدائق بنشر شمة من حديثه الجميل مستندا في أكثر أمره إلى ما وجدته بخطه في كناشه وغيره" [160].

فالعلاقة بين الأمير وبين عائلة الخاني كانت علاقة متينة جدا عائليا وعقائديا والشيخ محمد الخاني كان ملازما للأمير ملازمة صدق وإخلاص بشهادة الابن. وواضح جدا أن الشيخ عبد المجيد الخاني ومثل أبيه محمد كانا ينقلان معلومتهما من كناش الأمير المكتوب بخط يد الأمير عبد القادر نفسه. أما قضية" الأخدان والأقران " التي تلهج بها سمو الأميرة فواضح جدا أن الشيخ عبد المجيد كان يقصد بالعبارة أن الشيخ محمد الخاني كان يضم بنات أفكار الأمير نفسه إلى بعضها ثم ضمنها في كتب المواقف وبإذن الأمير نفسه...عكس ما ذهب إليه خيال الأميرة المحترمة.إما قضية عدم مباشرة الأمير كتابة وطبع كتابه بنفسه.

فأولا: شهادة الشيخين الجليلين محمد الخاني وعبد المجيد تؤكد أن الأمير كان يقيد أفكاره ويدونها في كناش اطلعا عليه سويا. وثانيا: كل الكتب العظيمة في التاريخ كانت بدايتها هكذا...حتى القرآن الكريم وهو الوثيقة المقدسة لدي المسلمين جميعا لم يجمع في عهد رسول الله إنما شرعوا في جمعه في عهد أبي بكر وتمت عملية الجمع النهائي في عهد عثمان ،فالقرآن الكريم كان نصا شفهيا محفوظا في صدور الرجال ثم نقل من الصدور إلى السطور بل وجدت نسخ مختلفة لدى بعض الصحابة مما جعل الخليفة عثمان يحرق بعض النسخ .واختلاف النسخ هو اختلاف في الشرح والتأويل

[160]- عبد المجيد بن محمد الخاني، الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية،دار رئاس للطباعة والنشر، مطبعة وزارة التربية ،الطبعة الثانية أربيل،2002م،ص368- 369.

الشخصي لا على سبيل التحريف والتبديل أو الزيادة أو النقصان وهذا لا يقدح أبدا في صحة نسبة القران الكريم إلى الله أبدا وكذا اغلب كتب السنة المشهورة كصحيح البخاري.فالباحثون يؤكدون إن الإمام البخاري مات قبل أن يبيض كتابه[161] وروايات صحيح البخاري تختلف حتى في عدد الأحاديث النبوية[162] بل كان الإمام البخاري وهو شيخ المحدثين وناقل أحاديث الرسول الأكبر يروي الأحاديث النبوية بالمعنى لا باللفظ[163] لكن اختلاف نسخ صحيح البخاري ورواية الحديث بالمعني لم تقدح أبدا في صحة نسبة صحيح البخاري إلى الإمام البخاري.

فالأمير هو صاحب كتاب المواقف بشهادة الشيخ عبد المجيد كما أن الأمير عبد القادر الجزائري كان صوفيا ،بل كان من كبار محققي الصوفية بشهادة الشيخ عبد المجيد الذي يسميه بأمير العارفين كما مر في شهادته–عكس ادعاء الأميرة بديعة– وكان يصفه بأنه " ترجمان الحضرة القرآنية ووارث العلوم الأكبرية العرفانية السيد عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى بن ختار...."[164] ثم يقول عبد المجيد أن الأمير عبد القادر ووالده محي الدين" لما قدما الشام أخذا منه الأذن في الطريقة النقشبندية ودخل والده في الرياضة عند جدي في جامع السويقة"[165] ويقول عبد المجيد" وفي سنة تسع وسبعين توجه إلى الحجاز متجرد الطلب المرشد إلى الله فاخذ الإذن بالطريقة الشاذلية من المرشد الناصح الشيخ محمد الفاسي قدس سره وفتح عليه به ومدح شيخه بقصيدة عظيمة رنانة يشير بها إلى الفتوح الإلهي الذي حصل له وتلك السعادة الأبدية ومطلعها: أمسعود جاء السعد والخير واليسر وولت ليالي النحس ليس لها ذكر"[166].

فهذه الشهادات تؤكد إن الأمير كان صوفيا نقشبنديا شاذليا عكس ادعاءات الأميرة .والشيخ عبد المجيد يبالغ في وصف شخصية الأمير ويجعله في مصاف ورثة الأنبياء والصالحين" فهو أية من آيات الله تعالى في ورده وصدره ولو كان في الأمم الغابرة لقص الله علينا أحسن القصص من خبره ولولا قلة مجال هذه الشذرة لاقتطفنا من هذه الروضة ألف زهرة حبا به قدس الله سره"[167].

---

[161] - يقول شارح البخاري الأكبر العلامة ابن حجر العسقلاني في مقدمة فتح الباري ج7 ص 74 بعد ذكره لاختلاف النسخ " وأظن أن ذلك من تصرف الناقلين لكتاب البخاري،كما تقدم مرارا أنه ترك الكتاب مسودة " وقال أيضا " أن أبا إسحاق إبراهيم بن أحمد المستملى قال: انتسخت كتاب البخاري من أصله الذي كان عند صاحبه محمد بن يوسف الفربرى،فرأيت فيه أشياء لم تتم،وأشياء مبيضة،منها تراجم لم يثبت بعدها شيئا ، ومنها أحاديث لم يترجم لها،فأضفنا بعض ذلك إلى بعض " ص 5 ج 1 من نفس المصدر.

[162] - محمود أبوية رية، أضواء على السنة النبوية،دار المعارف،الطبعة السادسة،1994،ص 280 .

[163] - روى الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد أنه قال يوما عن البخاري إنه قال رب حديث سمعته بالبصرة كتبته بالشام ، ورب حديث سمعته بالشام كتبته بمصر! فقيل له: يا أبا عبد الله، بكماله ؟ فسكت " مقدمة فتح الباري ج 2،ص11.

[164]-عبد المجيد بن محمد الخاني،الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية، دار رئاس للطباعة والنشر، مطبعة وزارة التربية،الطبعة الثانية. أربيل،2002م، ص369.

[165]- عبد المجيد بن محمد الخاني،الحدائق الوردية ،مرجع سابق، ص 369.

[166]- نفسه ، ص 370.

[167]- نفسه، ص 377.

ثانيا: شهادة جواد المرابط الذي يؤكد ويثبت نسبة كتاب المواقف إلى الأمير ويشهد شهادة واضحة قائلا " وكتاب المواقف يتألف من ثلاثة أجزاء ب 1500 صفحة وفيه مباحث صوفية وتفسير وشرح أحاديث ونكات لغوية وبسط للعقيدة الإسلامية"[168] بل إن الباحث المنصف ليمكنه وصف كتاب" التصوف والأمير عبد القادر الحسني الجزائري" لصاحبه جواد المرابط بكتاب شرح مواقف الأمير بامتياز،فالأستاذ جواد أدرج في كتابه عشرة نماذج من كتاب المواقف وبسطها شرحا وفهما ليبين على أن للإسلام مفاهيم صوفية خاصة نابعة من نصوص الإسلام وحدها دون سواها[169].وان كتاب "المواقف على شبه عظيم في كثير من مباحثه بما في الفتوحات المكية بمعنى أن فيها ما فلسف التصوف"[170] .

ثم يتحدث المرابط عن موقعية شخصية الأمير عند أهالي سوريا فيقول" لقد زحفت دمشق يوم علمت أن الأمير عبد القادر قد جاءها ينشد فيها الإقامة وزاره الناس من خاصة وعامة في داره التي لا تزال معروفة باسمه إنها دار السيد ....كان الجمع حاشدا ودخل عليه شيخ معه ابنه وقد استأذن الابن بالانصراف وقال له الأب الله معك إن الأمير علق على عظمة هذا الدعاء من الأب لابنه.. " [171]

ثم شرح معاني معية الله " فلما انتهى الأمير عليه رحمة الله من حديثه رجاه الشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ محمد الخاني والشيخ الطنطاوي أن يدونوا ما يتكلم به في مجالسه فكان ذلك نواة الكتاب الذي عرف فيما بعد باسم المواقف"[172]ويؤكد المرابط أن الأمير" غدت مجالسه مهوى أفئدة عشاق التصوف ورقائق الأدب والباحثين عن الحكمة.....بيد أن بين الوفود كان ثلاثة علماء أفاضل ما انقطعوا عنه يوما وهم الذين ذكرت إنهم طلبوا منه تسجيل ما يتكلم به في مجالسه "[173]فأين ما تنسبه الأميرة بديعة للأستاذ جواد المرابط ؟؟؟؟ وهو يصرح بصحة نسبة المواقف للأمير. والأستاذ جواد المرابط يجعل الأمير عبد القادر قطبا من أقطاب الصوفية [174] .

وشهد في كتابه " أن صلة الأمير عبد القادر بالتصوف كانت على ثلاثة مراحل كما يتبن ذلك لمن يتتبع سيرته المرحلة الأولى هي المرحلة التي سافر فيها إلى بغداد مع المرحوم والده السيد محي الدين بعد أداء فريضة الحج سنة 1241هـ حيث زار فيها آثار وضريح القطب الرباني السيد عبد القادر الجيلاني قدس الله سره وأخذا الإجازة بالطريقة القادرية عن الشيخ محمود القادري نقيب الأشراف والمرحلة الثانية هي التي انتهى بها إلى الأفق لروحاني بوقدة الاضطرار والشوق في السجن أو على الأصح في خلوة أمبواز التي أشار إليها في الموقف الـ211 من كتابه إما المرحلة الثالثة فهي

---

[168]- جواد المرابط ،التصوف والأمير عبد القادر،وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007،ص 89.
[169] - نفسه، ص 105.
[170] - نفسه، ص 90.
[171] - نفسه، ص 20 .
[172] - نفسه، ص 23 .
[173] - نفسه، ص 23.24.
[174] - نفسه، ص 15.

التي تم له فيها الفتح العظيم وكان ذلك عندما سافر حاجا سنة 1279هـ حيث أقام في مكة سنة ونصف مقبلا على العبادة والخلوة وحيث التقى بالشيخ الجليل العارف بالله محمد الفاسي رئيس الطريقة الشاذلية وتتلمذ عليه..." [175] فهذه شهادة الأستاذ جواد المرابط[176] تتضاف إلى شهادة الشيخ محمد الخاني لتؤكد صحة نسبة كتاب المواقف إلى الأمير الجزائري وتؤكد نسبة الأمير إلى التصوف.

ثالثا: ويتأكَّد الأمر بشهادة أخرى هي شهادة الأمير محمد باشا كبير أبناء الأمير عبد القادر نفسه الذي يصرح ويقول عن أبيه الأمير عبد القادر" وله في فن التصوف المقام الشامخ والباع الطويل والقدم الراسخ ومواقفه الكريمة أعدل شاهد بكمال ذوقه في تلك المواقف والمشاهد "[177] ويقول عن أبيه الأمير عبد القادر أيضا"وبرع في فنون الشريعة والحقيقة وله تآليف عديدة وحسبك منها كتاب المواقف في علم الحقيقة وهو لعقد تآليفه واسطة النظام ولمطلع مجده بيت القصيد وحسن الختام ومن أمعن النظر في خطبته أدرك منها فضله وأقر بعلو مرتبته "[178] ولا أظن أن سمو الأميرة السعيدة يمكنها أن تزايد على الأمير محمد الذي عاش مع أبيه وخبر حياته وعقائده.

رابعا: شهادة الشيخ عبد الرزاق البيطار وهو من خُلّص أصدقاء الأمير عبد القادر الجزائري ومقربيه يقول"وحضرت عليه مع من حضر كتاب فتوحات الشيخ الأكبر ورسالة عقلة المستوفز له،وكتاب المواقف للمترجم المرقوم (يقصد الأمير عبد القادر) وهو كتاب كبير في الواردات التي وردت عليه ونسبت إليه وكنا لا يرد علينا إشكال من أية أو حديث أو غير ذلك إلا أجاب عنه بأحسن جواب من فتح الملك الوهاب"[179] فالشيخ البيطار يؤكد هو أيضا انه سمع كتاب المواقف من فم الأمير وحضر عنده شرحه ويذكر أن المواقف كتاب كبير في الواردات الصوفية.وشهادة الشيخ عبد الرزاق البيطار تعضد شهادة الشيخ عبد المجيد الخاني وشهادة الشيخ محمد الخاني وشهادة الأستاذ جواد المرابط وشهادة محمد باشا ابن الأمير عبد القادر كما استشهد الشيخ محمد بن جعفر الكتاني– وهو من معاصري الأمير عبد القادر– كثيرا بكتاب المواقف في مصنفاته خاصة كتابه جلاء القلوب[180]، فهذه كلها شهادات متقاطعة في الإجمال والتفصيل.

---

[175] - جواد المرابط ،التصوف والأمير عبد القادر،مرجع سابق ، ص 27-28.

[176]- يحدد لنا الأستاذ جواد المرابط في كتابه المذكور في ص 18 إن معلوماته حول الأمير استقاها مباشرة من عمه يوسف المرابط الذي أخذها بدوره من أبيه عبد الرحمن المرابط الذي كان صديقا للأمير عبد القادر ورفيق صباه.

[177] - تحفة الزائر،مصدر سابق،ج2 ص267 .

[178]- نفسه،ج2 ص 304.

[179] - عبد الرزاق البيطار،حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر،تحقيق محمد بهجة البيطار، الطبعة الأولى، 1961 م، ج2 ص904.

[180] - انظر إلى استشهاداته على سبيل المثال لا الحصر في ج1 ص 244،ج2 ص112،ج 3 ص 244- العنوان الكامل للكتاب هو " جلاء القلوب من الأصداء الغينية وبيان إحاطته عليه السلام بالعلوم الكونية " تأليف محمد بن جعفر الكتاني،تحقيق باحثي المركز الإسلامي بمسجد الدكتور عباس زكي ،إشراف الأستاذ الدكتور على جمعة محمد،الطبعة الأولى،2004 م / 1425هـ. والشيخ محمد بن جعفر الكتاني مولود بفاس سنة 1857م .وتوفي 1927م.

خامسا: أما الأستاذ فؤاد صالح السيد الذي اعتمدته الأمير فانه خصص مبحثا خاصا للمواقف في كتابه"الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا"وعدد محتوياته وطبعاته وأماكن تألفيه وذكر العلماء والكتاب الذين مدحوا الكتاب وقرضوه[181] فيصف الأمير عبد القادر بأنه" ابن الزوايا والطرق الصوفية "[182].

سادسا: ويكفي في رد دعوى السيدة بديعة نقل شهادة معاصرة أدلى بها الدكتور خلدون بن مكي الحسني الجزائري[183].الذي نشر بحثا سماه " الأمير عبد القادر والفتوحات المكية بين الحقائق ومغالطات عبد الباقي مفتاح"[184].

شهد في بحثه"أن الأميرة بديعة ليست من العلماء المتخصصين في هذا الشأن" و" أنها والحق يقال قد ابتعدت كثيرا عن الحقيقة حين نفت التصوف عن الأمير أو حين نفت حب الأمير لابن عربي، وانفعلت كثيرا بالردود عليها، فجرها الأمر إلى مبالغات وأحكام جانبت الصواب فيها" ويؤكد قائلا" أنني مع احترامي وتقديري لها أخالفها فيما تذهب إليه في هذا الخصوص،ولم أتكّلم بمثل كلامها "ويقرر الدكتور خلدون " الأمر المتفق عليه هو أن الأمير كان صوفيا قادريا وكان يحب الشيخ ابن عربي بوصفه من الأولياء والعارفين، هذا لا خلاف فيه "ويقول " إن كثيرا من الشيوخ الذين كانوا معاصرين للأمير أو في عصرٍ قريب من عصره، ذكروا أن المواقف للأمير،وأشادوا به،وهذا لم يكن محلَّ خلاف." ويقول" نحن لا نختلف في كون الأمير محبا لابن عربي وأنه كان يُجيب سائليه عن مسائل في الفتوحات وغيرها فيحل لهم الإشكال، وأنه كان صوفي المشرب وله أحوال،وإشراقات،وهذه الأشياء هي طرف من شخصيته

ويشهد الدكتور خلدون" إن في كتاب المواقف المطبوع مسائل لا شك أنها من كلام الأمير،وقلت وأجبت بكل وضوح أن في كتاب المواقف ما هو صحيح النسبة للأمير ولا أنكره، والبحث العلمي لا

---

[181]- فؤاد صالح السيد،الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1985،ص99-100.

[182]- نفس المرجع ، ص120.

[183] - الدكتور مكي الحسني الجزائري ولد سنة 1932م بدمشق لأسرة علم وفضل،جدُّها الأمير المجاهد عبد القادر الحسني الجزائري رحمه الله). حاز إجازة العلوم الفيزيائية والرياضية من الجامعة السورية سنة 1954م.أُوفد إلي جامعة موسكو الحكومية للتخصص في الفيزياء النووية 1959م.حصل على درجة الدكتوراه في العلوم الفيزيائية والرياضية 1965م، بتخصُّص: (التفاعلات النووية عند الطاقات المنخفضة).بدأ عمله التعليمي معيدًا في قسم الفيزياء في كلية العلوم بجامعة دمشق سنة 1955م،وأنهاه أستاذًا فيه سنة 1998م.وكان إلى ذلك شغل في هيئة الطاقة الذرية ومركز البحوث والدراسات وظائفَ علمية عدة.وعمل أستاذًا معارًا في كليه التربية في مكة المكرمة في العام الدراسي 1969- 1970م.وأعير إلي جامعه الجزائر 1976- 1978م.وأتقن من اللغات: الروسية والإنكليزية والفرنسية.وهو عضو بمجمع اللغة العربية بدمشق منذ سنة 2001م.له عددٌ من المؤلفات والمترجمات،نشرت له جامعةُ دمشق سنة 1974: "القياسات الفيزيائية وتحليل نتائجها"، وبلغت إصداراته (12) اثني عشر كتابًا، آخرها ترجمة كتاب: "البحث عن اللانهاية: حل أسرار الكون" الذي نشرته دار طلاس بدمشق سنة 1997م. دقّق لغويًّا – وما يزال- في كتب كلية المعلوماتية التي بلغت زهاء ثلاثين كتابًا،ومواد مجلة: "الثقافة المعلوماتية" التي صدر منها (19) تسعة عشر عددًا حتى الآن، راجع ترجمته في موقع.
-http://www.alchamaa.com/ansab/showthread.php?t=197

[184]- المنشور على موقع منتديات الجلفة.

- http://djelfa.info/vb/showthread.php?t=358629

يساعد على ذلك،وقلت بوضوح أنه عندما يقول البيطار حضرت مواقف الأمير ويقول أحمد حضرت مواقف الأمير إذن هناك مواقف للأمير".

سابعا: واختم بشهادة المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله الذي يقول عن الأمير أنه "الرجل الذي تساوت سمعته في الحرب والتصوف هو الأمير عبد القادر ويعنينا هنا مؤلفاته في التصوف ونحن نعلمك انه أضاف إلى القادرية التي تلقاها عن والده في الجزائر الشاذلية والمولوية والنقشبندية التي تلقاها في المشرق بعد الهجرة ومن شيوخه محمد الفاسي بمكة أثناء أداء فريضة الحج للمرة الثانية سنة1863 ونتيجة ذلك كتب قصيدته الصوفية الشهيرة يا مسعود...

ومن أشهر مؤلفات الأمير كتاب المواقف الذي يقع في ثلاثة مجلدات وكان الأمير قد استغرق في التصوف منذ حجه وقد اختلى في غار حراء أثناء مجاورته وفي دمشق كانت له خلوة يتعبد فيها وفي أخر سنواته ازداد تعمقا في هذا الباب وكان يطالع أمهات كتب التصوف ومنها الفتوحات وفصوص الحكم لأبن العربي الذي يعده شيخه الأكبر ويبدو انه تأثر به كثيرا في المواقف إذ بناها على نظريات شيخه حسب العارفين بهذا الفن (وذكر الدكتور عمار طالبي كمتخصص في هذا الفن ثم يقول)..وكتاب المواقف يضم 372 موقفا وقد طبع مرتين أولاها كانت في عهد ابنه محمد أي سنة 1911 م (يقول أبو القاسم في الهامش وقد اعتمدنا على الطبعة الثانية دار اليقظة العربية دمشق 1966 بعناية حفيده محمد سعيد بن الأمير على بن الأمير عبد القادر) "[185].

[185] - د أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى 1998م،ج7 ص 116-117.

الفصل الثاني

تفكيـــك بنية "فلسفة الاختلاف"عند الأمير

أولا: – دلائلية "فلسفة الاختلاف" عند الأمير.

ثانيا: – جينولوجيا "فلسفة الاختلاف"عند الأمير.

ثالثا: – محددات "فلسفة الاختلاف" عند الأمير.

أ– تصور معنى"الله": اللاهوت كأصل مرجعي للاختلاف.

ب– تصور معنى"الإنسان": أنتربولوجيا التصوف عند الأمير.

رابعا: – قواعد التأصيل الإبستمولوجي لـــ"فلسفة الاختلاف"عند الأمير

أولا: دلائلية فلسفة الاختلاف عند الأمير.

معنى مصطلح الاختلاف في المجال التداولي اللغوي العربي والغربي / الأمير عبد القادر يراهن على إمكانية رفع الاختلافات العقائدية بين البشر/ شروط الأمير لرفع الخلافات العقائدية بين المسلمين وغيرهم / ارتباط فلسفة الاختلاف عند الأمير بنظريته اللاهوتية حول الأسماء والصفات/ تعدد الأسماء الإلهية وراء التعدد الوجودي والبشري.

إذا رجعنا إلى المصادر اللغوية العربية القديمة لاستنطاقها حول معنى كلمة "خلف واختلف واختلاف" سنلاحظ أنها تتميز بحمولة دلالية كبيرة ومتنوعة،على سبيل المثال نشير إلى بعض دلالاتها التي وردت في لسان العرب لابن منظور فعنده: "الخلف ضد قدام،وخلفه يخلفه:صار خلفه. واختلفه:أخذه من خلفه، واختلفه وخلفه واخلفه: جعله خلفه، وجلست خلف فلان أي بعده. والخلف: الظهر، والتخلف : التأخر ،ورجلان خلفة (بكسر الخاء): يخلف احدهما الآخر. والخلفة: اختلاف الليل والنهار،والخلف: ما جاء من بعد،الخلاف المضادة،وقد خالفه مخالفة وخلافا،وتخالف الأمران واختلفا:لم يتفقا. وكل ما لم يتساو،فقد تخالف واختلف... ويقال:القوم خلفة أي مختلفون،وهما خلفان أي مختلفان... قال اللحياني:يقال لكل شيئين اختلفا هما خلفان،وولدت الناقة خلفين أي عاما ذكرا وعاما أنثى. ويقال بنو فلان خلفة أي شطرة نصف ذكور ونصف إناث،والتخاليف:الألوان المختلفة،واخلف: تغير...الخ "[1].

وبذلك يمكن أن نستنتج أن الاختلاف في اللغة العربية يحيل على معاني متعددة،أهمها: التغير،التأخر،اللامساواة،ما يأتي من بعد الخ. وكما أكد الباحث المغربي سالم يفوت أن دلالات كلمة اختلاف في المعجم العربي القديم بشكل عام، تلتقي" في افتراض وجود مسافة في المكان أو الزمان أو بين الأفكار لدى طرفين أو أكثر،افتراض تباعد بين الأشياء والأطراف يجعل التطابق والائتلاف مستحيلا "[2].أما إذا رجعنا إلى المعاجم الفرنسية[3] فسنجد أن لفظة اختلاف ***différence*** مشتقة من الأصل الإغريقي ديافورا، وكما يقول جان بوفري ***Jean beaufret*** "فهي نقل يكاد يكون حرفيا للكلمة الإغريقية ديافورا"[4] وهي أيضا مشتقة من الأصل اللاتيني ***différentia***. ويعني الاختلاف خاصية شخص أو شيء،تجعل من غير الممكن بالنسبة له التطابق مع شخص آخر (أو شيء آخر)، فهو يشير إلى الفارق الذي يفصل بينهما ... بيد أن هذا لا ينفي كون لفظ اختلاف يأخذ دلالات متعددة،

---

[1] - ابن منظور،لسان العرب،المجلد التاسع، دار صادر،بيروت 1300هـ، ص91.

[2] - سالم يفوت، مفهوم الاختلاف في لسان العرب، مجلة مدارات فلسفية عدد 3 فبراير 2000 م،ص65-68.

[3] - انظر على سبيل المثال لا روس الكبير:

-Grande larousse encyclopédique tome4 éd librairie larousse-paris 1961 .

[4] - *Jean beaufret* : *« Dialogue avec Heidegger » T3 éd Minuit 1974 p 186.*

بحسب تنوع المجالات التي ينتمي إليها: المنطق، الرياضيات،البحرية، الأبناك والبورصة ، والمحاسبة ،الالكترونيك، اللعب ...وهكذا نجد أن الاختلاف هو نقيض الهوية،وهو مرادف للتباين وعدم التشابه *dissemblance* ،التضارب أو التعارض *divergence*، التمييز *distinction*...ويلاحظ د.سالم يفوت بعد مقارنة دقيقة بين مصطلح الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية وفي الثقافة الغربية فيقول"لا يبتعد مضمون مادة –خ ل ف– في اللسان العربي، كثيرا، عن انشغالات وهواجس تيار من أكثر تيارات الفلسفة المعاصرة انتشارا،ألا وهو تيار الاختلاف"[5].

أما إذا عدنا إلى تراث الأمير عبد القادر الجزائري لمعرفة وجهة نظره في مسألة الاختلاف ودلائلته. فسنجده يعلن في نص تبشيري مركز واعد.... ويصرح الأمير الجزائري بنبرة احترافية استشرافية واثقة ،بأنه يستطيع رفع الخلاف الكبير الواقع بين النصارى واليهود والمسلمين،بل نجد الأمير يؤكد بأنه يستطيع أن يُصَـيرا هؤلاء إخوانا أخوة ظاهرة وباطنة .لكنه يضع ثلاثة شروط من أجل الوصول إلى هذا المبتغى التصالحي التوافقي بين الأديان والطوائف والحضارات.

أولا :الإصغاء إليه. **ثانيا** :الفهم عنه. **ثالثا**: الصدق في طلب الحق.

يقول الأمير" ولو أصغى إلي المسلمون والنصارى لرفعت الخلاف بينهم ولصاروا إخوانا ظاهرا وباطنا....ولو جاءني من يريد معرفة طريق الحق وكان يفهم لساني فهما كاملا لأوصلته إلى طرق الحق من غير تعب لا بأن يقلدني بل بأن يظهر الحق له حتى يعترف به اضطرارا " [6].

فعوائق رفع الخلاف بين الديانات وكافة المجموعات الدينية يتحدد حسب رؤية الأمير في عدم الإصغاء لبعضهم بعضا وفي سوء الفهم لبعضهم بعضا وفي غياب الصدق في طلب الحق من بعضهم بعضا. وبالرجوع إلى ما كتبه الأمير خاصة في كتابه المواقف الروحية يتأكد لدينا انه يشير ويقصد في نصه بـــ" فهم لسانه "وبـــــ"طريق الحق" نظريته في ووحدة الوجود المتضمنة لفلسفته في الاختلاف والشارحة لها [7] .

وفلسفة الاختلاف عند الأمير عبد القادر الجزائري ترتبط ارتباطا مباشرا برؤيته اللاهوتية، وتحديدا بنظريته حول– الأسماء والصفات الإلهية– والتي تتلخص في اعتقاده أن الله له ذات وصفات وأفعال. وذات الله واحدة أحدية مجهولة مطلقة لا تدرك إلا بالعجز عن إدراكها من وجه[8]،وذات الله هي في نفس الوقت جامعة لصفات وأسماء مختلفة من وجه أخر،فهو تعالى وحدة في ذاته واختلاف

---

[5]- سالم يفوت، مفهوم الاختلاف في لسان العرب، مجلة مدارات فلسفية عدد 3 فبراير 2000 –ص65-68.

[6]- الأمير عبد القادر،رسالة إلى الفرنسيين (ذكرى العاقل وتنبيه الغافل)، تحقيق الأستاذ عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر، 2006، ص46.والكتاب في الأصل رسالة بعث بها الأمير إلى الجمعية الأسيوية بباريس بتاريخ 14 رمضان سنة 1271هـ 1855م لما كان في بروسة بتركيا.

[7]- فهم لسان نظرية وحدة الوجود صعب جدا على غير المتخصصين فيها لأن خطابها أولا هو خطاب مرمز مشفر واستتاري *ésotérique* وثانيا هو يقع خارج دائرة العقل الأرسطي المحكوم بمبدأ الثالث المرفوع.

[8]-وعند الأمير" الله اسم للمرتبة المسماة بمرتبة الصفات المحيطة التعلقات"،الأمير عبد القادر،المواقف الروحية والفيوضات السبوحية،تحقيق عاصم الكيلاني،دار الكتب العلمية،2004 م- 1425هـ ، ج 2 ، ص 539 .

وتعدد في أسمائه. فالله هو الوحدة والاختلاف هو الواحد والكثير الظاهر والباطن الأول والأخر الحق والخلق الجامع لكل المتضادات" والحق ما عرف إلا بجمعه الأضداد فكل المتضادات في العالم هو جامع لها بل هو عين الأضداد كلها"[9]

وأسماء الله تعالى كثيرة كثرة لا تحصى عددا وكل اسم الهي في عقيدة الأمير له دلالته التي ينفرد بها بنفسه ويشترك في نفس الوقت مع جميع الصفات الإلهية الأخرى فـــ" كل اسم من أسماء الصفات والأفعال له اعتباران: اعتبار من حيث دلالته على الذات واعتبار من حيث المعنى الذي دلت عليه لفظة الاسم فأما من حيث الاعتبار الأول فهو عين الذات وعين جميع الأسماء فيصح نعته بجميع الأسماء وأما من حيث الاعتبار الثاني فهو غير الذات وغير جميع الأسماء" [10].

وينظر الأمير عبد القادر الجزائري إلى الأسماء الإلهية [11]من حيث وجودها ودلالتها على أنها ذات وضع وجودي– معرفي مزدوج: فهي وحدة واحدة لان مدلولها الذات الأحدية وهي كثرة متعددة لتجليها وتعلقها بالمظاهر الوجودية فلكل منها دلالة مميزة لكنها كثرة ضمن وحدة إذ " كل اسم الهي على انفراده مسمى بجميع الأسماء الإلهية كلها إذا قدمته في الذكر نعته بجميع الأسماء"[12] .

فأسماء الله متضايفة يحيل كل اسم فيها إلى نفسه والى غيره وأخيرا إلى الذات العلية. وما " المسمى مخلوقا ليس إلا أسماؤه تعالى ظهرت بذلك الشكل وتلك الصورة، والأسماء أمور عدمية فظهورها في التحقيق ظهور ذاته السارية في كل مخلوق من غير سريان ولكن الذات باطنة هنا لظهور التعدد في الأسماء،ومقتضى الوحدة بظهور الأسماء،فهي باطنة حال ظهورها"[13]. فالمخلوقات كلها ليست إلا أسماء الله ظهرت بكل هذه الأشكال المختلفة وبهذه الصور المتنوعة الموجودة في الواقع مع بطون الذات وانحجابها فيها[14] كما أنه" ليست الصور المحسوسة المشهودة كائنة ما كانت روحانية أو مثالية أو جسمانية إلا أسماء الحق تعالى كما تقول اجتمعت البرودة واليبوسة فكانت صورة التراب واجتمعت البرودة والرطوبة فكانت صورة الماء مثلا،والعالم كله هكذا الناس وغيرهم"[15] . ففي تصور الأمير كل الأشياء المحسوسة أو الجسمية أو المثالية أو الروحانية في هذا العالم هي تحقيقا أسماء الله

---

[9] - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق،الموقف الرابع والثلاثون ج1ص 73.

[10]- نفسه ،الموقف الثاني والعشرون ج1ص72.

[11]- الواقع أن الأمير يرفض مصطلح الصفات الإلهية ويفضل اسم النسب والإضافات يقول « إن ما تسميه المتكلمون صفة ،يسيمه أهل الله نسبة ، حيث لم يرد لفظ الصفة في حقه تعالى في الكتاب ولا في السنة ، بل نزه تعالى نفسه عن الصفة » الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ،مرجع سابق ج 2 ص 831.

[12]- محي الدين ابن عربي،فصوص الحكم، فص حكمة مالكية، تحقيق أبو العلا عفيفي،دار الكتاب العربي بيروت، ص 177. فكرة وحدة الصفات مع الذات واختلافها عنه في نفس الوقت استقاها الأمير من شيخه محي الدين ابن عربي الذي استقاها هو بدوره أيضا من الصوفي الأندلسي ابن قسي صاحب كتاب خلع النعليين ويسميها ابن قسي بـــ " سر التوالج وحكمة التداخل ".

[13] - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ، الموقف الخامس والثلاثون ج1ص 84.

[14]- متصوفة وحدة الوجود يفصلون دائما بين ذات الله المحض المجردة من الصفات، وبين الألوهية (الذات المتصفة بالأسماء والمتجلية فيها) ،وهو فصل معرفي لا يقوم على أي ثنائية وجودية.

[15]- الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق،الموقف الثاني والثمانون ج1ص 142.

التي هـــي بدورها تجلى للذات الإلهية في مرتبة التنزل والتقييد.وان الكثرة المرئية في الوجود مرتبطة مباشرة بتعدد الأسماء الإلهية وتكثرها "إذ ما في العالم حقيقة كونية إلا وهي مرتبطة بحقيقة إلهية"[16]"وليس في الوجود الخارجي العيني إلا هو تعالى والأسماء نسب واعتبارات ومراتب للذات لما هو الحق والتحقيق لا أعيان زائدة كما عله أكثر المتكلمين....إذ هو مسمى بهذه الأسماء أزلا ولا عالم ولا موجود سواه"[17]

يخصص الأمير عبد القادر الموقف الثامن والأربعون بعد المائتين لتفصيل وشرح فلسفة الاختلاف عنده بإرجاع كل الاختلافات الأنطولوجية كونية كانت أو بشرية إلى اختلاف حقائق الأسماء والصفات الإلهية يقول:

ـــ" كل ما في العالم من اختلاف الصور والأشكال والألوان والأمزجة في النوع الواحد، كالواحد والنبات والحيوان والإنسان،فمستنده من الحقائق الإلهية وارتباطه بعدم تكرر التجلي الإلهي فانه تعالى ما تجلى لواحد بتجل مرتين ول الاثنين بتجل واحد فلابد من الاختلاف في أشخاص كل نوع من الأنواع المخلوقات مع وحدة كل نوع بالحد والحقيقة"[18]

ـــ "كل ما في العالم من أين وهو المكان فهو مثال ومستند لقوله وهو الذي في السماء اله وفي الأرض اله "[19]"[20].

ـــ " ما في العالم من الكم فهو العدد والكثرة فهو مثال لقوله (ولله الأسماء الحسنى)[21] "[22].

ـــ " ما في العالم من الكيف فهو مثال لقوله كل يوم هو في شان الرحمن الآية 29 " [23].

ـــ " ما في العالم من المتقابلات فإنها أمثلة مستندة للقدمين الإلهيتين اللتين تدلتا إلى الكرسي كما ورد في الخبر"[24].

ـــ " كل ما في العالم من الأمور التي تظهر أثارها ولا عين لها في الوجود الشهادي كالطبيعة وبعض صفات الإنسان كالشجاعة و السخاء ونحوها فهي أمثلة مستندة إلى الأسماء الإلهية"[25].

ـــ " كل ما في العالم مما يدخل على الناس البسط والطرب فيضحكون وينبسطون كهؤلاء الذين يفعلون أفعالا ويقولون أقوالا يضحك منها الكبير والصغير العقل وغير العاقل فذلك مرتبط ومستند إلى حقيقة

---

[16] - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ،الموقف الرابع والتسعون بعد المائتين ج2ص133.
[17] - نفسه،الموقف الثامن والخمسون بعد الثلاثمائة ج2ص361-362.
[18] - نفسه،الموقف الثامن والأربعون بعد المائتين ج1ص457.
[19] - الزخرف الآية 48
[20] - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ،الموقف الثامن والأربعون بعد المائتين ج1ص457.
[21] - الأعراف الآية 180 .
[22] - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ،الموقف الثامن والأربعون بعد المائتين ج1ص456.
[23] - نفسه،الموقف الثامن والأربعون بعد المائتين ج1ص456.
[24] - نفسه، الموقف الثامن والأربعون بعد المائتين ج1ص458.
[25] - نفسه،الموقف الثامن والأربعون بعد المائتين ج1ص458.

قوله تعالى وانه هو أضحك[26]"[27].

ــ " كل ما في العالم من التضاد كالخوف والرجاء والقبض والبسط والعز والذل والحياة والموت والليل والنهار من حيث أنهما نور وظلمة فذلك مثال مستند إلى اسمه تعالى الأول والأخر الظاهر والباطن[28]"[29].

ــ" كل ما في العالم من الأحوال الوجدانية الذوقية التي لا تدرك إلا ذوقا فلا تعلم بالحد ولا تدرك بالرسم مثل العلوم الذوقية والطعوم والروائح المكتسبة من البواطن فذلك مثال مستنده من الحقائق الإلهية وما وصف الحق تعالى به نفسه من الرضا والغضب والشوق والحب والفرح"[30].

وخلاصة تحليل الأمير الجزائري أن الاختلاف هو أصلا ظاهرة إلهية، والله تعالى هو منشأ الاختلاف بل هوية الله تعالى ذاته– من وجه – محورها على الاختلاف والتعدد. وما الاختلاف بين شخص وأخر...والاختلاف بين جماعة وجماعة... .والاختلاف بين ثقافة وثقافة أو حضارة و أخرى، .... تفسيره عند الأمير يرجع في الأخير إلى تباين تجليات الأسماء والصفات الإلهية في الوجود. وهو ينطلق في فكره هذا من خلال مبدأ التوحيد والذي ينظر إليه كمسألة اجتماعية و ليس كمسألة إلهية ميتافيزيقية فقط، أي أن توحيد الله في السماء يقود مباشرة إلى المساواة بين بني البشر على الأرض، وإذن الاختلاف قدر الهي لا يمكن رفعه أو دفعه لكن يمكن تفهمه وفهم منشئه وإعطائه الشرعية الوجودية .لكن العارف الكامل المحقق وحده هو الذي يعرف تجليات الله في خلقه وتستطيع تفكيك الاختلافات في الخلق وفي الوجود بحيث يرد الكثرة إلى الوحدة ويعرف الله متجليا بهذه الاسم أو ذاك.

يقول الأمير" صاحب التحقيق يرى الكثرة في الواحد كما يعلم أن مدلول الأسماء الآلهية إن اختلفت حقائقها وكثرت إنها عين واحدة فهذه كثرة معقولة في واحد العين فتكون في التجلى كثرة مشهودة في عين واحدة " [31] لذلك ينصح الأمير مريده وقارئه بضرورة" النظر في عقائد الخلق وإلبحث عن منزع كل اعتقاد لتعرف مستنده من الأسماء الإلهية وتعرف الحجاب الذي أعمى صاحبه عن الطريقة المثلى طريقة النجاة " [32]

وتجد فلسفة الاختلاف بنيتها الأساسية ومرجعها في اعتبار الاختلاف بين البشر والتعدد في الوجود كله في اختلاف الأسماء الإلهية وتباينها وهنا يصل إعطاء الحق في الاختلاف إلى درجة المشروعية الإلهية الدينية. لعل هذه النقطة هي مصدر التميز والجدة والأصالة عند أميرنا .... وعيه بحق الاختلاف وإعطائه شرعية إلهية ودينية . ومن هنا قيمة الأمير عبد القادر أنتروبولوجـــــــيا .

---

[26] - النجم الآية 43.
[27] - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ،الموقف الثامن والأربعون بعد المائتين ج1ص458.
[28] - الحديد الآية 3.
[29] - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ،الموقف الثامن والأربعون بعد المائتين ج1ص458.
[30] - نفسه ،الموقف الثامن والأربعون بعد المائتين ج1ص458.
[31]- نفسه ،الموقف الثامن والخمسون بعد الثلاثمائة ج2ص411
[32] - نفسه،الموقف الثامن والخمسون بعد الثلاثمائة ج2ص393.

ثانيا: جينيالوجيا فلسفة الاختلاف عند الأمير.

فكرة التجلي الإلهي هي الأصل الجينيالوجي لفلسفة الاختلاف عند الأمير عبد القادر/ تقاطع نظرية الأمير عبد القادر مع نظرية الأنتروبولوجي كلود ليفي ستراوس/ التجلي الإعتقادي والتجلي الوجودي.

إذا كانت الجينيالوجيا *La généalogie* هي محاولة البحث عن الأصل والوقوف عند المصدر أو هي– على حد تعريف عبد السلام بنعبد العالي– محاولة استذكار لتاريخ الوجود من حيث هو اختلاف منسي و من حيث هو نسيان للاختلاف[33].فإن الأمير عبد القادر الجزائري لم يهتم بأسس الاختلاف والتنوع ولا بالتوزيع الإيديولوجي والجغرافي للأديان والحضارات والثقافات بقدر ما حاول اكتشاف البنية الجنيالوجية الجوهرية الأساسية التي أوجدت الاختلافات والتنوعات بين بني البشر والتي تجد كامل تفسيرها في "فكرة التجلي"[34].

فان تعدد الطوائف والملل والنحل والأديان في عقيدة الأمير عبد القادر يشكل مظاهر وتجليات لمعاني الألوهية. والاختلاف الوجودي العقائدي هو انعكاس مباشر لاختلاف تجلى أسماء الله الحسنى وتعددها ولذلك يقول الأمير" ولما تعددت ظهورات المقصود بالعبادة (الله) تعددت الملل والنحل"[35] ويقول" ولعموم التجلى عبد كثيرون من نار ونور وملائكة وحيوان وشجرة وكواكب فالتجلي الإلهي عام في جميع الموجودات"[36] والطريف أن يلقي هذا التصور من بعض وجوهه مع تصور الأنتروبولوجي الكبير كلود ليفي ستراوس الذي صرح قائلا " ليس عندي أي مانع أو اعتراض على

---

[33]- عبد السلام بنعبد العالي،الميتافيزيقا العلم والايدولوجيا ،دار الطليعة بيروت،ص 151.

[34]- التجلى لغة: الوضوح والكشف والظهور، ورد فى المعجم الوسيط "جلا الأمر جلاء وضح،جلا السيف والفضة والمرآة ونحوها كشف صدأها وصقلها، وأجلى عنه الهم: أزاله وكشفه"مجمع اللغة العربية،دار المعارف، القاهرة،ج1ص137 ويقول ابن منظور" يُجَلِّي عن نفسه أي: يعبِّر عن ضميره، وتَجَلَّى الشيءُ أي: تكشَّف، فالتجلي هو النظر " كتاب لسان العرب،طبعة دار إحياء التراث العرب،بيروت،ج14ص166. ويقول الإمام النوويُّ "التجلّي: هو الظهور، وإزالة المانع من الرؤية" انظر- شرح النووي على صحيح مسلم، للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي،بيروت،الطبعة الثانية،1392هـ ج13ص54.. التجلى اصطلاحا:هو ظهور ذاته تعالى سواء في الدنيا أو في الآخرة وأدلته قوله تعالى ... قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ الأعراف: 143.أما في السنة فقد روى الإمام البخاريُّ عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربَّنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هل تضارُّون في القمر ليلة البدر)، قالوا: لا يا رسول الله، قال: (فهل تضارُّون في الشمس ليس دونها سحاب)، قالوا: لا يا رسول الله، قال: (فإنَّكم ترونه كذلك)...، ثمَّ يُكمِل الإمام البخاريُّ الحديث إلى أن يقول صلى الله عليه وسلم فيه...ثمَّ يتجلَّى –أي الله عزَّ وجلّ-...صحيح البخاريّ: كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى:وجوهٌ يومئذٍ ناضرة، إلى ربِّها ناظرة. والتجلي صوفياً: إشراق ذات الله وصفاته، أو ما ينكشف للقلوب من أسرار الغيوب،انظر المعجم العربي الأساسي،إصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.، طبعة لاروس، 1989م، ص 258.

[35] - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ،ج2ص.116.

[36] - نفسه ،الموقف الثامن والخمسون بعد الثلاثمائة،مرجع سابق،ج2ص373.

تسمية أو تعريف الله ما يشبه فكـــرة منتشرة وموزعة بحيث نتصوره متجلي في الكون كله وأنه يظهر بدرجات مختلفة في الحيوانات العليا أو الدنيا وحتى النباتات المتواضعة منها"[37].

ويقترح مؤرخ الأديان مرسيا إلياد *Mircea Eliade* مصطلح *hiérophanie* لإيضاح مفهوم التجلى ويشرحه بقوله إن" المقدس (الله) يظهر نفسه لنا. ويمكن القول أن تاريخ الأديان ومن أكثرها بدائية إلى أحسنها إعدادا إنما هو مشكل بتراكم مقدسات وبمظاهر وقائع مقدسة ومن أكثر التجليات بدائية على سبيل المثال إظهار المقدس في موضوع ما حجرة أو شجرة وحتى التجلى الأعلى فهو بالنسبة للمسيحي تجسد الإله في جسد المسيح ولم يوجد حل للاستمرارية فهو دوما التصرف الغامض ذاته: إظهار لشئ ما – من كل أخر– ولحقيقة لا تنتمي إلى عالمنا في موضوعات تشكل جزءا لا يتجزأ من عالمنا الطبيعي والدنيوي. ويظهر الغرب الحديث بعض عدم الارتياح تجاه بعض أشكال مظاهر المقدس فمن الصعب عليه القبول انه بالنسبة لبعض الكائنات البشرية يمكن للمقدس أن يظهر نفسه في حجارة أو أشجار وعليه وكما سنرى بعد قليل انه لا يتعلق الأمر بتمجيد حجر ولا شجرة وإنما الكائن المطلق"[38].

ويضيف الياد *Mircea Eliade* "بالنسبة لمن لديهم تجربة دينية تبدو الطبيعة كلها برمتها إنها قابلة للتكشف بصفتها قداسة كونية فالكون كله في كليته يمكن أن يصبح تجليا قدسيا"[39].ونظرية التجلى بمعناها الصوفي الأكبري تخترق كل البناء النظري للأمير عبد القادر فبها يفسر كل شئ ففي عقيدة الأمير « كل شيء من الأشياء هو تجل من تجلياته تعالى»[40].

والعلم الحقيقي أو نظرية المعرفة عند الصوفية قائمة أصلا على نظرية التجلى وليس على الأدلة العقلية يقول الأمير"ولا علم عند القوم إلا ما حصل عن تجل فإذا كان العلم حاصلا عن نظر في دليل عقلي فليس بعلم عند الطائفة"[41].والعوام في نظر الأمير هم الذين يعتمدون على العقل وحده في العقائد والعامة عنده هم من منعوا ورفضوا تجلى الله في الصور يقول الأمير« أعني بالعامة: المتكلمين في التوحيد العقلي الذين منعوا تجلي الحق تعالى من الصور. فإنهم ينظرون الحق تعالى

---

[37] - *"Le problème de Dieu ne s'est jamais posé pour moi, même depuis l'enfance. Ce n'est pas le mot qui me fait peur. J'ai le sentiment très profond qu'il ne peut exister un hiatus complet entre la pensée et la vie. Je ne verrais aucun inconvénient à appeler Dieu une sorte de pensée diffuse dont on concevrait qu'elle soit répandue dans tout l'univers et qui se manifesterait à des degrés différents chez les animaux supérieurs et inférieurs, dans les plantes même, jusqu'aux plus modestes. Mais la notion et la représentation d'un Dieu personnel me manquent et me manqueront toujours, sans doute, jusqu'à la mort". (La Croix, janvier 1979). http://tempsreel.nouvelobs.com/actualites/culture/20091103.OBS6731/quelques_grandes_citations_de_claude_levistrauss.html*

[38] - مرسيا الياد،المقدس والمدنس،ترجمة عبد الهادي عباس ،دار دمشق للطباعة والنشر،الطبعة الأولى، 1988،ص 17.

[39] - المقدس والمدنس،نفس المرجع، ص 19.

[40] - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق،ج 1 ص 95.

[41]- نفسه،الموقف الثامن والخمسون بعد الثلاثمائة ج2 ص 383.

منعزلاً عن الخلق بعيداً منهم بينه وبين مخلوقاته بون بعيد ويظنون أن متعلق علمهم ورؤيتهم إنما هي الحقائق الكلية والنسب وصور الممكنات التي هي آثار النسب . وأن الحق تعالى غير مرئي لهم ولا معلوماً إلا علماً إجمالياً من كونه مستندهم في وجودهم والأمر ليس كذلك»[42] .والتجليات عند الأمير تنقسم إلى قسمين اثنين تجليات وجودية وتجليات اعتقاديه، وجودية تظهر في الأكوان واعتقاديه تظهر في الأذهان والأفكار.وعنده« التجلي الإلهي كل ما ذكر في القرآن من النـــزول كقوله وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ[43]،أي تجلى إليكم في صور التقييد،والتشبيه،والتحديد ويقول الأمير عبد القادر الجزائري« إن أهل هذا اللسان الواقفين في ميادين البيان قسموا التجليات: إلى تجلّ فعلي وتجلّ أسمائي وتجلّ صفاتي وتجلّ ذاتي. فأما التجلي الفعلي فمعلوم،وكذا التجلي الأسمائي والتجلي الصفاتي وأما التجلي الذاتي فإنما يعنون به تجلي الحق– تعالى– للعبد من حيث أنه لا يظهر لذلك التجلي نسبة إلى اسم ولا صفة ولا نعت ولا إضافة،وإنما يعرف أنه تجلي له فقط. ومتى ظهر شيء مما ذكر نسب ذلك التجلي إلى ما ظهر،فالتجلي الذاتي عند الطائفة العلية هو تجلي الذات من حيث الذات الإلهية لا من حيث الذات الأحدية،فإنه محل المحال،ولا يقول به أحد من الناقصين فضلاً عن أهل الكمال. إذ الذات الأحدية هي الوجود المطلق عن الإطلاق والتقييد لا ظهور لشيء معها مما ينافي أحديتها. هذا المراد بالتجلي عندهم وإن كان لفظ التجلي الذاتي ربما يوهم شيئاً خلاف المراد»[44].

كما فرَّق الأمير بين التجلِّيات الوجودية والتجلِّيات الاعتقادية: فالكون والمخلوقات كلُّها مظاهر التجلِّي الإلهي– هذا التجلِّي المستمر والمتبدل بلا انقطاع و« من نظر بعينه المقيدة لا يرى إلا الأشياء المقيدة ...ومن نظر بعين روحه الباطنة رأى الأشياء الباطنة من الأرواح وعالم المثال المطلق والجن،وكلها أكوان وحجب.ومن نظر بوجهه – وهو سره – رأى وجوه الحق تعالى التي له في كل شيء ، فإنه لا يرى الله إلا الله ولا يعرف الله إلا الله وهذه الأعين الثلاثة هي عين واحدة اختلفت باختلاف مدركاتها»45.وحين يصل العارف إلى مقام المحققين من الصوفية« يحصل على الفناء والمحق فإنه رجع إلى الإطلاق بعد التقييد ولم يبق له اسم ولا عين ولا رسم... وفي هذا الفناء تحصل الرؤية الحقيقية. فإنه ما غاب عن العالم وعن نفسه إلا برؤية الحق تعالى وفي نفس الأمر الرائي والمرئي واحد والتعدد اعتباري »[46]. و صفوة القول أن نظرية التجلي عند الأمير مفتاح يفسر به كل اختلافات البشر التي مردها في الأخير إلى اختلافات الصفات الإلهية فما اختلاف اللون ولا العرق ولا الجغرافيا أو التاريخ إلا تجلي إلهي.

---

[42] - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ، ج 2 ص 118.
[43] - سورة العنكبوت الاية46.
[44] - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق، ج 2 ص 116.
[45]- نفسه، ج 1 ص 335.
[46] - نفسه ، ج 1 ص 76 .

ثالثا: محددات" فلسفة الاختلاف" عند الأمير عبد القادر.

أ- تصور معنى"الله": اللاهوت كأصل مرجعي للاختلاف[47].

تأكيد الدراسات والأبحاث السوسيو- أنتروبولوجية على أن الإنسان كائن متدين بطبعه / الدين مقوم أساسي من مقومات الهوية والحضارة/ تصور " معنى الله " هو البنية الأم للكل دين / فكرة الله وتأثيرها في بلورة مفهوم الإنسان و العالم / الاختلاف في تصور "معنى الله " معناه الاختلاف في تصور معنى الإنسان و العالم / فكرة الله أصل كل اختلاف / الموقف من "فكرة الله " في الفكر الغربي (إثباتا أو نفيا) وانعكاسات ذلك الموقف على الواقع / الاختلاف اليهودي المسيحي الإسلامي متمحورٌ حول تباين الموقف من فكرة الله / الاختلاف الإسلامي- الإسلامي الطائفي المذهبي محوره الاختلاف حول فكرة الله / رصد أهم تصورات المسلمين حول الله / الأمير عبد القادر ومفهوم الألوهية / الأمير مُنظرا وشارحا لنظرية وحدة الوجود / ارتباط فلسفة الاختلاف عند الأمير عبد القادر بفكرة وحدة الوجود.

تندرج هذه الدراسة ضمن حقل الأنتروبولوجية الدينية التي من مهامها: " البحث في الثوابت الأنتروبولوجية للوجود البشري وعن أثار الإنسان المتدين بطبعه *homo-religious* وعن دلائل حالة دينية متجدرة نهائيا في الإنسان"[48].

وأغلب الأبحاث الميدانية في علم الإناسة تثبت أن الإنسان كائن متدين، وان اختلفت تجليات تدينه، وتباينت تعبيراتها في حياته، تبعا لتنوع البشر واختلاف مرجعياتهم، فالاعتقادات الدينية حاضرة في كل ثقافات البشر بحسب تعريف ادوارد تايلور *Burnett Tylor Edward* المشهور لمصطلح ثقافة.[49] بل" إنه لابد لكل حضارة من الحضارات أن تتجذر وتتأطر داخل رؤية للعالم أو إيديولوجيا أو دين، وهذا مبدأ أساسي في الأنتروبولوجيا الدينية" وفق تأكيدات الأنتروبولوجي الكندي المعاصر بول

---

[47] - تعني كلمة "اللاهوت" كل ما يخص الذات الإلهية، أي كل ما يرتبط بالله ويقول الدكتور عثمان يحي أن الحلاج هو أول من استعمل كلمة لاهوت .

- La théologie (en grec ancien θεολογία, littéralement « discours sur la divinité ou le divin, le Θεός [Theos] ») est l'étude des réalités considérées comme « divines » et du fait religieux, ainsi que l'interprétation des textes dits « sacrés ». http://fr.wikipedia.org/wiki/Théologie

[48] - بيار بونت وميشال ايزار،معجم الإثنولوجيا الأنتروبولوجيا،ترجمة وإشراف محمد الصمد،الطبعة الأولى،1427هـ 2006م ، ص206.

[49] -" الثقافة أو الحضارة بمعناها الإناسي الأوسع،هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعارف والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والأعراف والقدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في المجتمع" دوني كوش،مفهوم الثقافة في العلـوم الاجتماعـية،تر قاسم المقداد،منشورات اتحاد الكتاب العرب 2002، ص22.

غوسلان *Paul Gosselin* وأيضا حسب تحليلات زميله عالم الاجتماع الأمريكي توماس لقمان *Thomas Luckmann*.[50]

كما انتهت دراسة الباحث العربي فراس السواح في كتابه " دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني" إلى "أن الدين هو إحدى السمات الرئيسية التي ميزت نوع الإنسان العاقل *L'homo sapiens*"[51] .وفي نفس السياق يؤكد عالم الاجتماع الأمريكي تالكوت بارسونز *Talcott Edger Parsons* على فطرية وكونية النزعة الدينية لدى البشر فيقول "الرؤى التي تعتقد بالفوق– طبيعي هي رؤى كونية ثم تأكيدها وتثبيتها في بحوث الأنتروبولوجيا الحديثة وبنفس القدر أيضا يمكن القول بان الدين هو مبدأ الإنسان الطبيعي وذو سمة إنسانية وكونية عامة ،وما الحديث المعاصر حول الاستغناء عن الدين سوى خطاب ثقافي حديث يدعو الرجل العقلاني إلى مواجهة الحقيقة من دون أية خرافات إلا أن ذلك لايمكنه أن ينفي العمق الكوني في الوعي الديني"[52]فالدين يعتبر من أهم عناصر الهوية خاصة " في الحروب تذوب الهويات متعددة العناصر،وتصبح الهوية الأكثر معنى بالنسبة للصراع هي السائدة،وغالباً ما تتحدد هذه الهوية دائماً بالدين" [53] كما لاحظ صمويل هنتغتون.

وعلى عكس ما كانت تتوقعه النظريات الأنتروبولوجية التطورية والفلسفات الوضعية من تراجع الدين ومعتقداته وزوال المقدس، ومن تخلي الناس عن الخرافة والعجيب والغيبيات لفائدة العلوم الصحيحة والتنظيم العقلاني المادي للحياة العامّة واتجاه المجتمعات المعلمنة نحو أهداف ماديّة. انبعث المقدس والديني بقوّة وعمق. وها هي" فكرة الله "تعود إلى الظهور على المسرح، كما يشهد عصرنا صعود الأصوليات، وحروب الآلهة الجدد كما يصفها الأستاذ علي حرب.

وإذا كان مؤرخ الأديان والمعتقدات والأفكار الدينية "مرسيا إلياد *Mircea Eliade* "ينتهي بعد دراسته الطويلة إلى أن التدين ليس عارضا أو طارئا أو مرحليا في تاريخ الإنسانية بل هو عنده قرينها

---

[50]"-*Un principe fondamental en anthropologie des religions est que chaque civilisation s'enracine dans une vision du monde, une idéologie ou une religion*", *Paul Gosselin, l'essai Fuite d el'Absolu, (2006) , volume 1.p82. À ce sujet, le sociologue américain Thomas Luckmann note (1970: 78) " L'affirmation que la religion est présente sous une forme non spécifiée dans toutes les sociétés et chez tous les individus acculturés normaux est, dès lors, axiomatique. Cette affirmation sous-entend une dimension religieuse dans la définition de l'individu et de la société, mais elle est vide de contenu empirique spécifique. ".*
http://www.samizdat.qc.ca/cosmos/sc_soc/ecole_laique_pg.htm

[51] - فراس السواح،دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، منشورات دار علاء الدين ،الطبعة الرابعة ،2002،ص 11.

[52] -وجيه فانصو، التعددية الدينية في فلسفة جون هيك،المركز الثقافي العربي،الطبعة الأولى،1428هـ،2007م، ص134.

[53]- صامويل هنتنغتون،صدام الحضارات،إعادة صنع النظام العالمي،ترجمة طلعت الشايب وتقديم د. صلاح قنصوة،الطبعة الثانية 1999م،ص433.

أينما وجدت، وهو يشكل عنصرا في بنية الشعور البشري ، يقول ملخصا ومؤكدا بحثه: " وباختصار فإن المقدس عنصر في بنية الشعور وليس مرحلة في تاريخ هذا الشعور،وعلى المستويات الأكثر قِدما من الثقافة،فان العيش بصفة كائن بشري هو في ذاته عمل ديني لأن التغذية والحياة الجنسية والعمل لها جميعا قيمة مرتبطة بالأسرار. وبعبارة أخرى أن تكون- أو بالأحرى- أن تصبح إنسانا يعنى أن تصبح متدينا[54] .فإن المتخصص في فلسفة العلوم وإبستمولوجيا المعرفة وأنظمة وتاريخ الأفكار جورج غستروف *Georges Gusdorf* يقرر أن: " نظام كل ثقافة يتحدد تبعا للتصور الذي تكونه لنفسها عن الله والإنسان العالم وللعلاقة التي تقيمها بين هذه المستويات الثلاثة من نظام الواقع" [55].

فتصور" فكرة الله" و"فكرة الإنسان" و"فكرة العالم "والعلاقة بين هذه المستويات الثلاث هو الذي يشكل ويحدد خصوصية هذه الثقافة أو تلك.

والذي يصنع الفوارق الكبرى بين دين ودين أو بين حضارة أو ثقافة وأخرى هو اختلاف التصورات عن الثالوث (الله الإنسان العالم). وإن" ثمة نموذجا معرفيا كامنا وراء كل قول أو ظاهرة إنسانية هذا النموذج هو مصدر الوحدة وراء التنوع وهو الذي يربط بين كل التفاصيل فتكتسب معنى ودلالة وتصبح جزاء من كل، وليس مجرد معلومة جديدة أو طرفة فريدة والنموذج هو تجل متعين لرؤية الإنسان للكون التي تدور جول محاور ثلاثة الإله الإنسان الطبيعة وهي محاور مترابطة تمام الارتباط فهي مجرد ثلاثة أوجه لنفس الظاهرة "[56].

وتراتبيا تأتي فكرة الله على رأس هذا الهرمية المثلثة لأنها الحاكمة على المستويات الأخرى باعتبار أن وجود الإله هو الأسبق وجوديا ومعرفيا.فالاختلاف في تصور "معنى الله" يؤثر حتما في بناء معمارية التصور عن معنى الإنسان وعن معنى العالم والوجود والتاريخ.

وحول خطورة تحديد الموقف من- فكرة الله: إثباتا أو نفيا- وانعكاسات ذلك الموقف على الصعيد الأنطولوجي نضرب مثالين اثنين، واحد يمثل موقفا سلبيا من فكرة الله وأخر موقف ايجابيا. لنبين مدى الأهمية الإبستمولوجية التي تنجر وراء تحديد الموقف من فكرة الألوهية.فحينما يحدد الموقف من" فكرة الإله " تتسلسل النظريات طرديا وينعكس ذلك على علاقة الإنسان مع الطبيعة وعلى علاقة الإنسان مع الإنسان .

---

[54]- مرسيا إلياد،تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية،ترجمة عبد الهادي عباس،دار دمشق،الطبعة الأولى،1987 م،ج1،ص9.

[55]-*Georges Gusdorf, Les Origines des Sciences Humaines, (antiquité, moyen age renaissance,*Payot ,Paris, *Pub 1967, p152.*

[56]- عبد الوهاب المسيري،اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود،دار الشروق،2002 م،ص 5.

الموقف السلبي من فكرة الله: يمكن الاستشهاد من الثقافة الأوروبية المعاصرة بفكرة "موت الله"[57] "التي كان لها تأثير كبير في الأجيال اللاحقة في أوروبا" كما يقول مرسيا إلياد *Mircea Eliade* في كتابه "البحث عن التاريخ والمعني في الدين"[58] .

وفكرة "موت الله" هي أطروحة نظّر لها فريدريك نيتشه *Friedrich Nietzsche* ولها استتباعات معرفية وتاريخية على بنائية تصور معنى الإنسان،فمن فكرة "موت الله" عند نتشه تولدت" فكرة موت الإنسان"[59]عند ميشال فوكو التي أصبحت فيما بعد شعار لجماعة فلاسفة الاختلاف.

والموقف من فكرة الله هو الذي أنتج وخلق تيارا كبيرا يسمى بفكر ما بعد الحداثة، فـــ" فكرة موت الله النتشوية" بكل تجلياتها النظرية وتمظهراتها في نظرية الإنسان الأعلى وفلسفة القوة ، كانت هي الخلفية والبنية التحية للفكر العدمي وربما للفكر النازي[60]وللفكر الاستعماري بكل مركزياته الاتنية والمعرفية،وهنا يتبين أن تحديد الموقف من فكرة الله له تبعات اجتماعية وسياسية وثقافية حضارية على صعيد الواقع.

الموقف الايجابي من فكرة الله : وعن تأثير" فكرة الله" إيجابا في صيرورة الحضارة فيمكن الاستشهاد بما شرحه ماكس فيبير *Max Weber* عن أسباب ظهور الرأسمالية الأوروبية ونجاحها في السيطرة على العالم ويرجع ذلك إلى الأخلاق الدينية البروتستانتية التي تشجع روح المبادرة الفردية وتعتمد على ما يسميه الزهد داخل العالم واعتبار العمل والإنتاج تعبيرا عن العبادة الدينية وذلك في مؤلفه الأخلاق البروستتانية والروح الرأسمالية "[61].

---

[57]-*" Dieu est mort ! Dieu reste mort ! Et c'est nous qui l'avons tué ! Comment nous consoler, nous les meurtriers des meurtriers ? Ce que le monde a possédé jusqu'à présent de plus sacré et de plus puissant a perdu son sang sous notre couteau- Qui nous lavera de ce sang ? Avec quelle eau pourrions-nous nous purifier ? Quelles expiations, quels jeux sacrés serons-nous forcés d'inventer ? La grandeur de cet acte n'est-elle pas trop grande pour nous ? Ne sommes-nous pas forcés de devenir nous-mêmes des dieux simplement — ne fût-ce que pour paraître dignes d'eux ? " - Friedrich Nietzsche, Le Gai Savoir, Livre troisième, p125*

[58] - مرسيا إلياد،البحث عن التاريخ والمعني في الدين،ترجمة د.سعود المولى،المنظمة العربية للترجمة،الطبعة الأولى،بيروت ديسمبر 2007، ص125 .

[59] - يقول ميشال فوكو في كتابه الكلمات والأشياء ،ترجمة مطاع الصفدي، مركز الإنماء القومي، 1989-، 1990 ص312. " فليس غياب الله أو موته هو المؤكد بقدر ما هي نهاية الإنسان....إن موت الله والإنسان الأخير متلازمان.أوليس الإنسان الأخير من يعلن انه قتل الله...فلابد للإنسان من أن يزول. إن ما يبشر به فكر نتشه أكثر من موت الله – أو بالأحرى- في أثر هذا الموت وبارتباط عميق معه هو نهاية قاتله معه أنه انفجار وجه الإنسان "

[60]- ربما أساء بعض النازيين فهم فلسفة نيتشه وفعلوا ما فعلوا. إذا كان نيتشه تكلم عن الإنسان الأعلى فهو يقينا لم يقصد مجرما يقتل الناس ظنا منه أنه أفضل منهم كما فعل النازي هتلر والمجرمون ممن كانوا حوله.

[61]- سمير أبو زيد، الحداثة بين النقد والاعتقاد،بحث في دور الاعتقاد في تكوين الفكر الغربي المعاصر، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية،العدد الخامس عشر،2006م،ص 198.

والقطيعة التي أحدثها ماكس فيبر من خلال رفضه لتعريف الديني باللاعقلاني [62] إذ يعتبر طرق كبح الشهوات،أو مناهج الزهد السحري أو التأملي في أشكاله المتناسقة كاليوجا والبوذية،أي كل أنواع الأخلاق العملية ذات الصبغة النسقية في توجهها نحو أهداف الخلاص،هي عقلانية[63] .

وعلى مستوى الفكر الاجتماعي يرى ألان تورين *Alain Touraine* في كتابه " نقد الحداثة الصادر عام 1992م" :" انه ينبغي التخلص من الفكرة التبسيطية- الكاريكاتورية-القائلة بانتصار أنوار العقل على لاعقلانية العقائد والانتقال من المقدس إلى العقلاني فصورة النظام العقلاني للعالم الذي خلقه اللوغوس أو المهندس العقلي الكبير لا تختلف كثيرا عن التمثلات الدينية للكون ويرى انه بالدخول إلى الحداثة يتفجر الدين وتبقى عناصره لا تختفى"[64].

وإذن،إن دراسة المفاهيم المختلفة عن الذات الإلهية تنبئ في نهاية التحليل عن ضروب مختلفة من وعي الإنسان بذاته، وإذا كان الفلاسفة العرب قالوا قديما أن من عرف نفسه فقد عرف ربه فانه يمكن القول بالمقابل إن معرفة تصور الإنسان لله هو شكل من أشكال وعيه بذاته بل هو الشكل الأعلى لهذا الوعي كما يقول هيغل،إن المطلق إذ يبدو أخر مغايرا للإنسان ومفارقا له فهو من جهة أخرى يعبر بصورة فائقة عن الذات ويشكل مرآة تعيد بناء هذه الذات على حد تعبير غوسدوف *Gusdorf* "[65].

الخلاصة: إن" فكرة الله" فكرة مركزية في كل الثقافات، وما الاختلاف التاريخي بين الأديان والحضارات والمذاهب إلا اختلاف يرجع في أكبر وجوهه إلى تباين تصوراتهم لمعنى الألوهية.....بل يمكن للباحث المغامرة بالقول إن الاختلاف العقائدي بين البشر هو نتيجة لاختلافاتهم في" تصور معنى الله"[66].

---

[62] - *William, Jean-Paul: Sociologie de la religion, PUF, 1995, Que sais-je? P.62*

[63]- بنية العقلنة الدينية في الغرب في منظور ماكس فيبر عبد المنعم الشقيري، منشور في موقع مدارات فلسفية التابع للجمعية الفلسفية المغربية.

http://philosophiemaroc.org/madarat_06/madarat06_02.htm

[64]- سمير أبو زيد،الحداثة بين النقد والاعتقاد،بحث في دور الاعتقاد في تكوين الفكر الغربي المعاصر،مجلة الجمعية الفلسفية المصرية،العدد الخامس عشر،2006م ،ص 198.

[65] - علي حرب، الهوية والغيرية في المقال الفلسفي. دراسات عربية ع/4 فبراير 1982. ص77.

[66] - الاختلاف بين اليهودية والمسيحية والإسلام هو وأصلا اختلاف مبدئي أولي في تصور معنى الله .الله عند اليهود هو غير الله عند المسيحين وهو غير الله عند المسلمين وهو غيره عند فلاسفة أروربا المعاصرين. وعقيدة الصلب تؤكد عمق الخلاف بين اليهودية والمسيحية ،فاليهود متهمون بصلب اله النصارى – والمفارقة الطريفة الكبرى أن في اعتناق اليهود أمام النصارى دم اله - وليس دم إنسان فحسب- واليهود يجحدون ألوهية المسيح ناهيك عن نبوته بل هم يعتبرون المسيح ابن زنا وأمه زانية وفي المقابل يعتبر المسيحيون المسيح ابن الله...وبين ابن زنا وابن الله..... تطير الأعناق.... كما أن الاختلافات المذهبية بين طوائف اليهود أنفسهم (*Ashkénaz* الاشكناز و *Sefarade* السافرديم والغنوصية اليهوية المعروفة بالكبالا *Jewish Kabbalah* وتجلياتها النورانية العشرة) وبين طوائف المسيحين أنفسهم (الكاثوليك *catholiques* والبروتستنات *protestants*والارثوذكس *orthodoxes*) هي اختلافات مرده ومرجعها في الأخير إلى اختلاف معنى تصور الله . وعلم اللاهوت المقارن يؤكد هذه الأطروحة فلقد رجعنا واعتمدنا في تحليلنا وفهم هذا الموضوع بتفصيل على المراجع التالية : - على المؤرخ اليهودي الكبير إسرائيل شحاك في كتابه، التاريخ اليهودي - الديانة اليهودية ،وطأة ثلاثة الآلاف سنة ،ترجمة صالح علي سوداح ،الطبعة الأولى، بيروت لبنان،أيلول 1995.خاصة الصفحات 36-54- وعلى الكاتب اليهودي - أدين شتاينسالتز *Adin steinsalts*- في كتابه ، مدخل إلى التلمود ترجمة فينيتا بوتشيفا

ولقد لاحظ ذلك من قبل الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي بحدسه الفائق إذ قال " فكان سبحانه أول مسألة خلاف ظهر في العالم لأن كل موجود في العالم أول ما ينظر في سبب وجوده لأنه يعلم في نفسه أنه لم يكن ثم كان بحدوثه لنفسه واختلفت فطرهم في ذلك فاختلفوا في السبب الموجب لظهورهم ما هو فلذلك كان الحق أول مسألة خلاف في العالم ولما كان أصل الخلاف في العالم في المعتقدات.."[67].

ولعل هذا الاختلاف الكبير هو الذي يفسر العدوانية التاريخية القائمة بين الطوائف والأديان وقد يكون هذا هو أصل أصول العنف والعداء المتبادل المستديم فيما بينهم وهو سبب الأذى الذي يلحقه أهل الأديان لبعضهم ولغيرهم.

وإذا رجعنا إلى الفضاء العربي الإسلامي ورصدنا تعاريج فكرة الله في هذا التراث،فالرائج الشائع عند من– لا خبرة لهم ولا اطلاع – أن المسلمين متفقون في أصول العقائد وأن الاختلاف بينهم لا يعدو الاختلافات في فروع الفقه والشريعة.

لكن الباحث المنصف الموضوعي إذا رجع إلى مصدر الاختلاف بين المسلمين فسوف يجد أن الاختلاف يخترق الإسلام كله عقيدة وشريعة.بل لا يكاد يوجد أمر في الإسلام لم يختلف المسلمون حوله فلقد اختلفوا في تصور معنى الله.واختلفوا في تصور معنى النبي والنبوة واختلفوا في تصور معنى الإنسان واختلفوا في معنى العالم.

كما أن الاختلاف بين طوائف المسلمين ونحلهم وفرقهم هو نتيجة لاختلافهم في تصور ماهية الله...فمفهوم الله عند السلفيين تلاميذ ابن تيمية مثلا يختلف عن مفهوم الله عند الأشاعرة أتباع أبو الحسن الأشعري من الخلف و هو غير مفهوم الله عند الصوفية تلاميذ الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي الحاتمي.وقد يكون هذا الاختلاف في تصور مفهوم الألوهية هو السر الأكبر وراء ظاهرة التكفير والتضليل المتبادل بين أتباع الديانات الكبرى وبين فرق المسلمين بعضهم لبعض[68].

وانطلاقا من أن الاختلاف في تصور الألوهية يؤدي حتما إلى اختلاف في الهويات بل قد يؤدي إلى تصادم وصراع حاملي ومتبني هذه الهويات.

الشيخ الصادر عن دار الفرقد الطبعة الأولى 2006. وعلى الباحث عبد الوهاب المسيري- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية : نموذج تفسيري جديد (ثمانية مجلدات، دار الشروق، القاهرة 1999خاصة المجلد الخامس..وعلى كتابه اليهودية والصهيونية وإسرائيل: دراسة في انتشار وانحسار الرؤية الصهيونية للواقع (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1975.

[67] - محي الدين ابن عربي،الفتوحات المكية ، طبعة دار صادر،ج3ص 465.

[68] - يسجل الباحث إلى أن هنالك مشكلة حقيقية في تصنيف المسلمين فالتصنيف السائد الذي يقسم المسلمين إلى شيعة وسنة مثلا هو تصيف سياسي. و ليس تصنيفا علميا لأن أصل الاختلاف بين الشيعة والسنة هو اختلاف سياسي في الخلافة. بينما الاختلاف الحقيقي يبدأ باختلاف التصور في الله.

ونظرا لأنه لا يمكننا فهم وتفهم فلسفة الاختلاف عند الأمير عبد القادر إلا بفهم فكرة الألوهية عنده، وبناءا على ارتباط موضوع فلسفة الاختلاف عند أميرنا بموضوع العقائد الإسلامية – في تصوراتها عن الله–[69]،كان لابد أن نستعرض لأهم التصورات العقائدية حول فكرة الله.

وبعد الحفر والتنقيب والمقارنة الدقيقة الفاحصة في كتب الملل والنحل أمكننا رصد وحصر خمس تصورات عن الله داخل الدائرة الإسلامية ووجدنا أن الخريطة العقائدية اللاهوتية في التراث الإسلامي تتوزع إلى خمسة مذاهب أو بمعنى أخر :

إن عقيدة المسلمين في الله تنقسم إلى:

1- نظرية الإثبات

2- نظرية التفويض

3 – نظرية التنزيه

4- نظرية وحدة الوجود و التجلى في الصور

5- نظرية من حاولوا الجمع بين التفويض والتنزيه.

كما هو المخطط المختصر التالي:

[69] - باعتبار أن الأمير عبد القادر كان يتأطر داخل المدرسة الصوفية التي تنفرد بتصور خاص عن الله.

ـــ **التفويض:**هو مذهب من يسكتون عن إعطاء أي تحديد لمفهوم لله ويفوضون معاني آيات وأحاديث الصفات الواردة في الكتاب والسنة إلى الله ويمتنعون عن التأويل أو التحديد ويفضلون الإمساك والسكوت وعدم الإدلاء بأي رأي[70] والتفويض هو مذهب أغلب السلف[71].

ـــ **الإثبات:** أما أهل الإثبات فهم الذي يثبتون آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها من دون تأويل. وزعيمهم الأكبر هو ابن تيمية الحراني الذي يلقبه إتباعه ومحبيه بشيخ الإسلام وتصورهم عن مفهوم الله يتحدد من خلال عقيدتهم التي قسموها إلى توحيد إلوهية وتوحيد ربوبية وتوحيد أسماء وصفات[72].

---

[70] ـ قال الخليل ابن احمد الفراهيدي في كتابه العين ج7ص64 " فوضت إليه الأمر أي جعلته إليه وقال الله عز وجل " وأفوض أمري إلى الله" سورة غافر الآية 44 أي اتكل عليه " وقال ابن منظور في كتابه لسان العرب ج7ص210 " فوض إليه الأمر صيره إليه وجعله الحاكم فيه وفي حديث الدعاء فوضت أمري إليك أي رددته إليك يقال فوض أمره إليه إذا رده وجعله الحاكم فيه ومنه حديث الفاتحة فوض إلي عبدي "

[71] – قال الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم "اعلم أن لأهل العلم في أحاديث الصفات وآيات الصفات قولين احدهما وهو مذهب السلف أو كلهم انه لا يتكلم في معناها بل يقولون يجب علينا أن نؤمن بها و نعتقد لها ما يليق بجلال الله تعالى وعظمته مع اعتقادنا الجازم أن الله تعالى ليس كمثله شئ وانه منزه عن التجسيم والانتقال والتحيز في جهة وعن سائر صفات المخلوقين وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين واختاره جماعة من محققيهم وهو اسلم " أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، الناشر : دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،الطبعة الطبعة الثانية ، 1392هـ.ج3 ص 19 وج 17ص182. وقال الإمام الذهبي "وأما السلف فما خاضوا في التأويل بل امنوا وكفوا وفوضوا علم ذلك إلى الله ورسوله " وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج13ص 351 " وهذا مستند السلف قاطبة في الأخذ بما ثبت عندهم من آيات القران وأحاديث النبي (ص) فيما يتعلق بهذا الباب فامنوا بالمحكم من ذلك وفوضوا أمرالمتشابه منه إلى ربهم " سير إعلام النبلاء، الطبعة التاسعة 1413 هـ 1993 م نشر مؤسسة الرسالة بيروت ـ لبنان .ج14ص386. وقال الإمام الترمذي في سننه مثبتاً للسلف مذهب التفويض"والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثوري ومالك بن أنس وابن المبارك وابن عيينة ووكيع وغيرهم أنهم رووا هذه الأشياء ثم قالوا تروى هذه الأحاديث ونؤمن بها ولا يقال كيف، وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن تروى هذه الأشياء كما جاءت ويؤمن بها ولا تفسر ولا تتوهم ولا يقال كيف، وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه" سنن الترمذي،محمد بن عيسى الترمذي،دار إحياء التراث العربي،بيروت لبنان، تحقيق أحمد محمد شاكر. ج 4 ص 492.و قال الإمام الجلال السيوطي في كتابه الإتقان " من المتشابه آيات الصفات... وجمهور أهل السنة منهم السلف وأهل الحديث على الإيمان وتفويض معناها المراد منها إلى الله تعالى، ولا نفسرها مع تنزيهنا له تعالى- عن حقيقتها " جلال الدين السيوطي ،الإتقان في علوم القرآن ، منشورات الشريف الرضي ، قم - إيران ، الطبعة الثانية ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. ج2 ص 10.

[72] ـ الله الذي يؤمن به السلفيون له عينين اثنتين حقيقيتن،وله وجه حقيقي،و له يدين اثنين حقيقيتن،الله عندهم له كف حقيقية،و له خمسة أصابع حقيقية،و له قدمين إثنتين حقيقيتين،و له ساق حقيقية،و له صورة حقيقية،و صورة الله عندهم كصورة أدم.وأن ادم مخلوق على صورة الله،الله عند السلفيين بائن من خلقه مستو بذاته على عرشه،الله عندهم محدود بحد وله نهاية ،الله عندهم ثقيل جدا في الوزن فحين يَستوى على العرش يُحدث العرش أطيطا وصريرا من ثقل استواء الله تعالى على هذا العرش،الله عندهم له كرسي حقيقي هو موضع قدميه الاثنتين اللائقتين بجلاله ،الله تعالى عند السلفيين يخلى يوم القيامة مكانا ليَجلس معه على العرش النبي محمد (ص).....في عقيدة هؤلاء يقعد النبي (ص) مع الله على العرش حقيقة لا مجازا كما يعتقد النصارى تماما في عيسى. الله يتحرك وينتقل من مكان إلى مكان الله يضحك ويهرول، الله يتكلم بالصوت والحرف ،السلفيون يثبتون الأين لله تعالى والله في عقيدة هؤلاء موجود في جهة عدمية عليا، ولا يستبعد هؤلاء إمكانية استقرار الله على ظهر بعوضة فهذه عقيدة القوم في الله ملخصة مركزة يمكن لأي باحث التأكد منها إذا رجع إلى كتب السلفيين الأقدمين والمعاصرين. وهذه العقيدة هي التي سببت المشاكل لابن تيمية وأدخلته إلى السجون وعقدت له مناظرات ومحاكمات وتاب منها .انظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني ط 1414 هـ ، دار الجيل ،ج1 / ص148،ومن كتاب (نهاية الأرب في فنون الأدب) للإمام القاضي شهاب الدين النويري المعاين للحادثة والمتوفى سنة 733هـ ط دار الكتب المصرية 1998م ج32 ، ص115 - 116.

ـ **التنزيـــــه:**أما تصور مفهوم الله عند المنزهة فقائم على نفي كل صفات النقص والسلب عن الله، والله عندهم يعرف دائما بالسلوب أي سلب كل الصفات التي لا تليق بالله عنه وتأويل كل آيات الصفات التي ظاهرها التشبيه. أما التنزيه فهو نفي كل مشابهة أو مماثلة لله، والمنزهة هم الذين يرفضون السكوت عن آيات الصفات ويفضلون استعمال التأويل فرارا من التجسيم. وهذا تصور وعقيدة متأخري الأشاعرة والمعتزلة وعموم آهل السنة والجماعة.

ـ **التفويض والتنزيه:** وتصور معنى الله عند هؤلاء أنهم ينزهون ويؤولون عندما يضنون إن آيات الصفات تحتاج إلى تأويل وان اللغة تسعفهم وتساعدهم في قبول التأويل أما عند لا يسعفهم تأويل اللغة فيلجئون إلى السكوت وتفويض المعنى.

ـ **وحدة الوجود:** وهي عقيدة المحققين من الصوفية. وتصور الله عند جماعة وحدة الوجود قائم على نفي الاثنينية مطلقا فليس عندهم وجود إلا وجود إلا الله ،وأما العالم فخيال في خيال وما الإنسان إلا التجلى الأكبر لله. و يتموقع الأمير عبد القادر الجزائري ضمن هذا المذهب.

وصفوة القول: إن جدل هذه التصورات واختلافاتها في تحديد ماهية الله هو أصل كل اختلاف ومنه خرجت جميع التفرعات الاختلافية في العقيدة وفي غيرها.

تصور" الألوهية "عند الأمير:

عقيدة الأمير عبد القادر في الله تخالف مخالفة تامة عقيدة الإثبات والتشبيه التي نظّر لها ابن تيمية الحراني[73]وتبعه التيميون من بعده ممن يسمون أنفسهم في العصر الحاضر بالسلفيين،كما أن عقيدة الأمير أيضا تخالف عقيدة التنزيه التي نظر لها المعتزلة والأشاعرة من الخلفيين إلى الآن.

يخالف الأمير كل فرق المسلمين في تصور معنى الله كما يخالف النصارى واليهود وكل الأديان والمذاهب.لكن الطريف في المسألة أن الأمير يخالف من وجه كل هؤلاء في عقيدته لكنه ومن وجه أخر يجمع داخل عقيدته أيضا كل تلك الطوائف والأديان والملل والنحل والعقائد.

قال الأمير الجزائري بلسان حاله ومقاله [74]

أنا الحب والمحب والحب جملة ... انأ العاشق المعشوق سرا وإعلانا

ففي أنا كل ما يؤمله الورى ... فمن شاء قرآنا ومن شاء فرقانا

---

[73] - ابن تيمية يعلن بان المشبهة طائفة غير مذمومة و من أعجب أقواله في كتابه (بيان تلبيس الجهمية) أو (نقض أساس التقديس) (1 / 109) ما نصه : (وإذا كان كذلك فاسم المشبهة ليس له ذكر بذم في الكتاب والسنة ولا كلام احد من الصحابة والتابعين . . .) اهـ . وقال قبل ذلك ص (100 – 101) ناقلا مقرا: (والموصوف بهذه الصفات لا يكون إلا جسما فالله تعالى جسم لا كالأجسام). وقال ص (101): (وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا قول احد من سلف الأمة وأئمتها انه ليس بجسم، وان صفاته ليست أجساما وأعراضا، فنفي المعاني الثابتة بالشرع بنفي ألفاظ لم ينف معناها شرع ولا عقل جهل وضلال) انتهى .

[74]- الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ،ج 1، ص 38.

ومن شاء توراة ومن شاء إنجيلا ومن شاء مزمارا زبورا وتبيانا
ومن شاء مسجدا يناجيه ربه ومن شاء بيعة ناقوسا وصلبانا
ومن شاء كعبة يقبل ركنها ومن شاء أصناما ومن شاء أوثانا
ومن شاء خلوة يكن بها خاليا ومن شاء حانة يغزل غزلانا
ففي أنا ما قد كان أو هو كائن لقد صح عندنا دليلا وبرهانا

وقال [75]

أنا العابد المعبود في كل صورة فكنت أنا ربا وكنت أنا عبدا
فطورا تراني مسلما أي مسلم زهودا نسوكا خاضعا طالبا مدا
وطورا تراني للكنائس مسرعا وفي وسطي الزنار أحكمته شدا
أقول باسم الابن والأب قبله وبالروح روح القدس قصدا لا كيدا
وطورا بمدارس اليهود مدرسا أقرر توراة وابدي لهم رشدا
فما عبد العزيز غيري عابد ولا اظهر التثليث غيري ولا ابدا
أنا عين كل شئ في الحس والمعنى ولا شئ عيني فاحذر العكس والطردا

إنها باختصار عقيدة وحدة الوجود التي صرح بها الأمير تصريحا مباشرا لا لبس فيه. فلقد كان الأمير شهما شهامة هاشمية في معاركه وفروسيته كما كان شجاعا شجاعة أدبية في مواقفه العرفانية ومواقفه المعرفية.وأعلن عقيدته وصرح بها عكس أسلافه من الصوفية الذين فضلوا التكتم والتستر على عقائدهم خوفا من الفقهاء "من علماء الرسم القانعين من العلم بالاسم" كما يصفهم الأمير[76] فهو لم يكن يهاب سلطة الفقهاء الذين قال عنهم أنهم" لا يكدرون صفونا بجعجعتهم ولا يروعوننا بمعمعتهم"[77].

وبما أن هنالك علاقة مباشرة بين عقيدة وحدة الوجود وبين موضوع بحثنا – فلسفة الاختلاف– سوف نبسط البحث مفصلا من خلال إثبات اعتقاد الأمير بعقيدة وحدة الوجود باستعراض نصوصه وتصريحاته.

الثابت تاريخيا،كما أعلن الأستاذ أبو القاسم سعد الله أن الأمير عبد القادر الجزائري" أمن بوحدة الوجود تبـــعا لشيخه ابن عربي"[78] وعقيدة وحدة الوجود [79]هي العقيدة المحورية التي يدور حولها

[75]- الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ،ج 1،ص 36 .
[76] - نفسه،ج1،ص 26.
[77]- نفسه،ج1،ص 115.
[78] - أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي،دار الغرب،بيروت، الطبعة الأولى،1998م،ج 7 ص 118.
[79]- ينبغي أن نفرق بين وحدة الوجود كما طرحت في التراث الإسلامي- وعند الشيخ الأكبر تحديدا- وبين وحدة الوجود كما طرحت في الفكر الغربي " *Panthéisme* فهي تعني ابتداء من أفلاطون إلى هيغل أن العالم ككل هو الله *tout est dieu* فالله لا يوجد إلا من خلال العالم ليس له وجود مفارق متميز عن العالم وهكذا فبينما تعني وحدة الوجود في التصوف

كتاب المواقف كله وهي عقيدة قديمة اعتقدها أقوام قبل الأمير وقبل الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي وتتلخص في قاعدة كبرى هي" ما في الوجود إلا الله "[80]

ونظرا لتشعب هذه العقيدة من ناحية المصداق والمفهوم... فقد اختلفت طرق التعبير عن عقيدة الوحدة الوجودية عند الأمير بعبارات واصطلاحات مختلفة لفظا وشكلا ومتفقة مضمونا ومحتوى ،فالأمير يسميها بتسميات مختلفة. أحيانا يسميها باسمها الحقيقي الاصطلاحي وحدة الوجود وأحيانا يطلق عليها المعية الذاتية وأحيانا يسميها بنظرية التشبيه في التنزيه والتنزيه في التشبيه وطورا بالوجود الواحد وحينا أخر يطلق عليها نظرية الإطلاق والتقييد فسوف انقل نصوصه التي يصرح بها بهذه العقيدة.

أولا : الإعلان عن عقيدة وحدة الوجود صراحة.

يقول الأمير بعد أن يذكر آيات من القران الكريم" ففي الآيات المتقدمة إشارة إلى ما تقوله الطائفة العلية طائفة الصوفية من وحدة الوجود وانه تعالى عين كل معبود وان كل عابد إنما عبد الحق من وجه ببرهان هذه الآيات وبقوله وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه" [81].

فحسب الأمير تكون عقيدة الطائفة الصوفية الحقيقية هي عقيدة وحدة الوجود ويشرح الأمير معنى هذه الوحدة الوجودية من أنها تعنى أن الله عين كل معبود أي أن كل العباد وعبر التاريخ قد عبدوا الله سواء من عبدوا شجرا أو حجرا أو وثنا أوعبدوا المسيح أو عبدوا عزير أو توجهوا بالعبادة لأي شئ أخر...فان البشر عند الأمير ما عبدوا إلا الله وحده لكن من وجه فقط لا من كل الوجوه ويتأول الأمير آيات ذكرها تأويلا وجوديا يتفق ونظريته في التوحيد.

ويقول الأمير" كل ما يقع عليه إدراك بأي مدرك كان إنما هو الوجود الحق ظاهراً بأحوال الممكنات ونعوتها وصفاتها،وهي كلها أمور اعتبارية،كالنسب والإضافات عند المتكلمين. ولذا قال السادة بوحدة الوجود، كشفاً وعقلاً. وهو حقيقة واحدة لا تتعدد ولا تتجزأ ولا تتبعض. وما لا وجود له

الإسلامي أن العالم لا يوجد إلا كتجليات لله تعني في الفكر الأوروبي أن الله لا يوجد إلا بوصفه العالم ككل، وإذن فالنقاش حول ما إذا كان ابن عرب صاحب مذهب في وحدة الوجود بالمعنى الأوروبي للكلمة نقاش غير ذي موضوع "كما يقول الدكتور محمد عابد الجابري في كاتبه ، بنية العقل العربي دراسة تحليلة نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية ،مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثالثة ،بيروت، أيار مايو،1990، ص359،358. كما يقول الدكتور أبو العلا عفيفي « وحدة الوجود التي يقول بها ابن عربي (وأتباعه مثل الأمير عبد القادر) ليست وحدة وجود مادية تنكر الألوهية ولوازمها أو تنكر القيم الروحية ، بل العكس هو الصحيح : أي أنها وحدة وجود تنكر العالم الظاهر ، ولا تعترف بالوجود الحقيقي إلا لله – الحق . أما الخلق فظل للوجود الحق ولا وجود له في ذاته » د . إبراهيم مدكور،الكتاب التذكاري (محيي الدين بن عربي) في الذكرى المئوية الثامنة لميلاده ،ص8 بل إن عقيدة وحدة الوجود الإسلامية هي اقرب إلى فكرة وحدة الظهور *(Panenthéisme)*. التي تحدث عنها *Karl Christian Friedrich Krause* .

[80]- يقول محي الدين ابن عربي " ثبت عن المحققين أنه ما في الوجود إلا الله، ونحن وإن كنا موجودين، فإنما وجودنا به... ومن كان وجوده بغيره فهو في حكم العدم " الفتوحات المكية،الباب الرابع و الخمسون في معرفة الإشارات، ج1ص419 .

[81]- الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق الموقف الرابع والخمسون بعد المائتين، ص20 ج2 .

لا شيء له من توابع الوجود من كلام وسمع وبصر وقدرة وعلم وغير ذلك. فلا جرم كان الحق تعالى إذا خاطب من مرتبة إطلاقه عبده في مرتبة تقييده بالأحوال والتعينات العبدية الإمكانية،كان تعالى المسمِع المخاطِب المتكلم (اسم فاعل) ،وكان السميع المخاطَب المكلَّم (اسم مفعول) ،لظهوره بالمرتبتين الربية والعبدية "[82].

فعقيدة وحدة الوجود تكون هي عقيدة السادة الصوفية في نظر الأمير وهي ثابتة بالكشف الصوفي عند رفع الحجاب كما هي ثابتة عقلا عنده. أما ما يقع عليه الإدراك في الوجود الخارجي إنما هو وجود الله ظاهرا في مظاهر الممكنات التي هي مظاهر اعتبارية فقط ،وان الله يظهر بمرتبة العبد وبمرتبة الرب معا لأنه حقيقة واحدة لا تتعدد ولا تتجزأ.يصرح الأمير أن عقيدة أكابر الصوفية والكاملين منهم في أحوالهم الباطنة الخاصة هي عقيدة وحدة الوجود[83].

ويحذر الأمير من تجاوز الشريعة ويعلن في حزم وجزم أن" كل من ادعى انه شم رائحة من طريق أهل الله تعالى ولم يزد للشرع تعظيما وللسنة إتباعا فهو مفتر كذاب" [84].

فلا تناقض عنده بين وحدة الوجود وبين الشريعة كتابا أو سنة.يقول الأمير" فانه هو من حيث وحدة الوجود الذات فان الوجود واحد وان تعدد أنواعه فقبل وجود عيني وذهني ولفظي وخطي"[85] يقول الأمير" شهود حق بلا خلق وهو المعروف عند ساداتنا رضوان الله عليهم بوحدة الشهود.....مقام شهود خلق قائم بحق وهو هو المعروف عند السادة بوحدة الوجود حضرة الصفات والكثرة الاعتبارية "[86] وحدة الوجود عند الأمير هي شهود الكثرة في الوحدة وشهود خلق قائم بحق ويعلن بوضوح " كذلك يقال في العلم الإلهي كل شئ فيه كل شئ أي كل صورة فيها ما في الصور كلها، من حيث وحدة وجودها "[87].

ثانيا : وحدة الوجود عند الأمير هي الاعتقاد بالمعية الذاتية الإلهية.

يقول الأمير" فمعيته إذا بذاته الجامعة لصفاته لا بصفة العلم على المعنى الذي يعرفه علماء الرسم ولو قالت به ألف فرقة ولما كانت معية الحق تعالى لنا بالمعنى الذي ذكرناه وهو معنى وحدة الوجود وانه لا وجود إلا وجوده تعالى ولا صفات إلا صفاته تعالى كان الوجود المنسوب إلى المخلوق مجازا هو وجوده تعالى"[88] .

---

[82]- الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ،ج 2 ص 132.
[83] - نفسه ،الموقف الثالث،ج1 ص 48-49.
[84] - نفسه،الموقف الثالث،ج1 ص 49.
[85] - نفسه،الموقف الخمسون بعد المائتين ،ج2 ص 1.
[86] - نفسه،الموقف الثاني والتسعون بعد المائة،ج 1 ص 340-341 .
[87] - نفسه ،الموقف الثامن والأربعون،ج1ص470.
[88] - نفسه ،الموقف السابع والثلاثون بعد المائة،ج 1 ص 256.

هذا النص يكشف لنا أن الأمير كان يعلم انه يخالف بعقيدته كل الفرق لا سيما فقهاء الظاهر الذي يسميهم علماء الرسم وعبارته " ولو قالت به ألف فرقة " فيها نبرة تحدى واضح لهم،وأن من معاني وحدة الوجود هي الاعتقاد أن الله معنا بذاته حقيقة.ويقول "ومعيته تعالى مع مخلوقاته بذاته تحقيقا وبعلمه كما قيل أدبا...فإذا سمعت أحدا من أهل هذا الطريق أو وجدت في كتابه إن المعية بالعلم واللطف فإنما ذلك على طريق الأدب وعقدهم بخلافه..وهو تعالى معنا ولسنا معه إذ ليست لنا معية..."[89]. فعقد باطن المتصوفة السري الحقيقي حسب الأمير هو عقيدة وحدة الوجود التي تعني أن الله معنا بذاته لا بالعلم أو اللطف أو الصفة فقط كما تعتقد باقي الفرق الإسلامية.

ثالثا: وحدة الوجود هي الاعتقاد بالوجود الواحد.

يقول الأمير" فليس عندنا إلا وجود واحد هو عين وشرط الثلاثة عند الثلاثة: تعدد الوجود والعين فلا يكدرون صفونا بجعجعتهم ولا يروعوننا بمعمعتهم"[90] ويقول"إن القوم رضي الله عنهم لا اثنينية عندهم ولا يقولون بوجودين قديم وحادث حتى يتحد احدهما بالأخر أو يحل فيه فحقيقة الوجود عندهم واحدة لا تتعدد ولا تتجزا ولا تتبعض" [91] .فما عند الصوفية إلا وجود واحد ولا اثنيه في الوجود وتلك هي اخص عقيدتهم.

رابعا: وحدة الوجود معناها أن الله منزه ومشبه معا[92].

يقول الأمير« للخلق في مشاهدتهم ربهم نسبتين: نسبة تنـــزيه ونسبة تشبيه.وبكليهما جاءت الكتب الإلهية والأخبار النبوية، فمن شهد التنـــزيه فقط كالمنـــزهة من المتكلمين أخطأ. ومن قال بالتشبيه فقط ،كالحلولية والاتحادية،أخطأ.ومن قال بالجمع بين التشبيه والتنـــزيه أصاب . فالعامة في مقام التشبيه، والعقلاء في مقام التنـــزيه، والعارفون بالله تعالى في مقام التشبيه والتنـــزيه»[93].ويقول« الشر ظن التنـــزيه فقط أو التشبيه فقط. فكلا الفريقين أعور،والكامل يبصر بعينين،مشاهد للحقيقتين عارف بالحضرتين،حضرة الإطلاق والتنـــزيه،وحضرة التقييد والتشبيه»[94].ويجب عند الأمير" اعتقاد التشبيه في التنزيه فانه الحق الذي لا يمتري فيه إلا محجوب بعقله"[95] ويقول" إن توحيد الشرع الذي جاءت به الكتب والرسل عليهم الصلاة والسلام تنزيه وتشبيه"[96] ويعتقد الأمير أن مرتبة التشبيه" أثبتها الحق

---

[89] - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ،الموقف الثاني والخمسون بعد المائتين،ج2ص17.
[90] - نفسه ،الموقف السادس ،ج1 ص 52 .
[91] - نفسه،الموقف الثالث والستون، ج 1ص 118-119 .
[92] - يفرق الأمير بين التشبيه الشرعي والتشبيه العقلي ،انظر المواقف الروحية،مرجع سابق،ج2 ص264.
[93] - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ،ج 2 ص 118.
[94] - نفسه،ج 1 ص 87 .
[95] - نفسه ،الموقف الثالث والتسعون بعد المائة،ج1 ص343.
[96] - نفسه،الموقف الثامن،ج1ص 53 .

تعالى لنفسه وأثبتها له رسله الذين هم أعلم الخلق بالله"[97]يقول الأمير" المعرفة بالله تنزيه شرعي وتشبيه شرعي..فاله الأنبياء والرسل والأولياء مشبه منزه في تشبيهه واله العقلاء منزه فقط لا يقبل تشبيها أصلا بحكم العقول عليه وتحجيرها" [98]

والتشبيه الشرعي عند الأمير هو"الذي عرفه الأنبياء والرسل وورثتهم من الأولياء عبارة عن صورة الجمال الإلهي لان الجمال الإلهي له معان وهي الأسماء والأوصاف الإلهية وهي تجليات تلك المعاني فيما يقع عليه المحسوس كقوله عليه الصلاة والسلام رأيت ربي في صورة شاب أمرد"[99] التشبيه الشرعي في عقيدة الأمير كل تجليات معاني الجمال الإلهي حتى المحسوس منه في صورة امرأة أو صورة شاب جميل أو غير ذلك. يقول" هو تعالى كما وصف نفسه في كتبه وعلى السنة رسله عليهم الصلاة والسلام بان له يدا ويدين وأيدي وجنب ويمين وأصبع وأصابع وصورة ونفس وذراع وقدم وهرولة و رضي وغضب وحبة وشوقا وضحكا وبشبشة وتعجبا وتحولا في الصورة واتيانا ومجيئا وانه مستو على العرش وانه يؤذى ويمرض ويجوع ويظمأ ويستسقى ويستطعم ويستقرض وانه في السماء وفي الأرض إلى غير هذا فالكل صفات كمال له تعالى ولو دليتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله كما تليق بجلاله وعظمته" [100] ثم يقول الأمير" وقد اجمع أهل الكشف والوجود انه لا مجاز أصلا في كلام العرب وان كل ما ورد مما يقال فيه تشبيه هو موضوع لذلك المعنى حقيقة ومن ادعى غير هذا فعليه إثباته ولا سبيل إلى ذلك " [101] .

ويقول الأمير« فهاتان الحضرتان ثابتتان له تعالى كتاباً وسنة وكشفاً،أعني مرتبتي التنـــزيه والتشبيه الشرعيين. فمن نازع الحق تعالى لينـــزع عنه رداءه،وهو حضرة التشبيه،بان يكون منـــزهاً فقط وهو المقتصر على مدارك العقول،كالحكيم والمتكلم الصرف النافيين حضرة التشبيه،وذلك لأن الإله الذي أرسل الرسل– عليهم الصلاة والسلام – بما أخبرت عنه به وسمته ونعتته،ما هو الإله الذي أدركته العقول،فإن اله الرسل مطلق مشبه منـــزه .وإله العقول محجر عليه،لا يكون كذا ولا كذا، منـــزه فقط. فمن كان منـــزهاً فقط كالحكيم والمتكلم،أو مشبهاً فقط كالحلولية والاتحادية: والآخذين بظواهر الإخبارات الإلهية والنبوية،فذلك هو الذي نازع الحق في كبريائه وعظمته،وهو الذي توعده الحق وأخبر أنه يقصمه والمراد من هذا الخبر الإلهي،الجمع بين التنـــزيه والتشبيه »[102].

---

[97] - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ،الموقف السادس والثلاثون بعد الثلاثمائة،ج2ص265.
[98] - نفسه،الموقف السادس والثلاثين بعد الثلاثمائة،ج2ص 269.
[99] - نفسه،الموقف السادس والثلاثين بعد الثلاثمائة،ج2ص 264.
[100]- نفسه،الموقف السادس والثلاثين بعد الثلاثمائة ،ج2ص 265.
[101]- نفسه،الموقف السادس والثلاثين بعد الثلاثمائة،ج2ص 266.
[102]- نفسه ،ج 2 ص 791.

خامسا: عقيدة وحدة الوجود هي عقيدة السلف الصالح

يزاحم الأمير السلفيين في شعار السلف و يعتقد أن عقيدة السلف الصالح من الصحابة والتابعين هي عقيدة وحدة الوجود المتمثلة في عقيدة التشبيه في التنزيه يقول "وعلى هذه الطريقة المثلى والعقيدة العظمى الجامعة بين التنزيه والتشبيه كل في مرتبته مضى عصر الصحابة رضوان الله عليهم وتبعهم على ذلك أئمة الهدى مالك وأبو حنيفة والشافعي واحمد بن حنبل والسفيانيان وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وشعبة وشريك وأبو عوانة و الاوزعي والبخاري والترمذي وابن المبارك وابن أبي حاتم ويونس بن عبد الأعلى وغيرهم ممن اخذ عنه هذا الدين وأهل الكشف والوجد قاطبة " [103].

سادسا: وحدة الوجود هي عقيدة الإطلاق والتقييد

الله عند الأمير وعند صوفية وحدة الوجود مطلق من ناحية الذات وهو مقيد من ناحية الصفات يقول الأمير" لا يكون العارف كاملا حتى يشهد الإطلاق في التقييد والتقييد في الإطلاق في آن واحد"[104] ويقول" إن إطلاقه تعالى من وثائق تقييدنا هو إطلاق وتقييد له لا انه في نفس الأمر كذلك والأمر الحق انه تعالى غير منعوت بإطلاق ولا تقييد فمن أطلقه فما عرفه ومن قيده فقد جهله فهو عين الأشياء وما الأشياء عينه"[105] ويقول الأمير" فمن حيث الإطلاق هي صفات الحق تعالى ومن حيث التقييد هي صفات الخلق وهي هي في الحالتين والنسبتين وإنما تميزت بالإطلاق والتقييد والمطلق عين المقيد في الخارج وان كان غيره في الاعتبار والتعقل والتقييد والحدوث" [106] ويقول الأمير الجزائري:« إذا كان المتجلي له،ممن عرف الحق تعالى بالإطلاق،فهو لا يحكم عليه بصورة خاصة،فهو لهذا لا ينكر الحق تعالى في أي صورة تجلى له. فهذه الحالة تسمى رؤية،ولا يكون فيها إقرار ولا إنكار،ولا يشترط فيها تقدم علم خاص بالمتجلي. فكل مشاهدة رؤية،إذ ليس المتجلي إلا الحق تعالى في حال الإقرار به والإنكار له،وما كل رؤية مشاهدة إذ المشاهدة يقع فيها إقرار وإنكار، لشرط تقدم، علم بالمشهود. قال بعض العارفين: الحق يشهده كل أحد، ولا يراه إلا القليل» [107]ويقول:« إنه تعالى من حيث البرزخية الثانية،قابلاً للإطلاق والتقييد،والوحدة والكثرة،والتنـــزيه والتشبيه، والوجوب والإمكان،والحقية والخلقية ... ومن هذه البرزخية جاءت الآيات والأحاديث التي هي خارجة عن طور العقل،ولا يقبلها إلا بتأويلها وردها إلى مداركه،ويسميها متشابهات. فإنه تعالى ذكر في كتبه وعلى ألسنة رسله: إن له عيناً وعينين وأعيناً ويدين ... ووصف العبد بالفعل والترك والعلم والإرادة ... إن للحق مرتبتين: مرتبة إطلاق،ومرتبة تقييد ومنها جاءت الشرائع ونزلت الكتب وأرسلت الرسل...

---

[103] - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ،الموقف السادس والثلاثون بعد الثلاثمائة،ج2ص267.
[104] - نفسه، الموقف الواحد والخمسون،ج1ص 103.
[105] - نفسه ،الموقف الثامن والخمسون بعد الثلاثمائة ،ج2 ص 380.
[106] - نفسه،الموقف الرابع والستون ج1 ص 122.
[107] - نفسه ،ج 1 ص 374 .

فاصرف ما ورد في الكتب والأخبار النبوية من التنـــزيه المطلق،إلى مرتبة الإطلاق،واصرف ما ورد فيهما من التشبيه،إلى مرتبة التقييد،والظهور بالمظاهر، وأعتقد التنـــزيه في التشبيه،والإطلاق في التقييد،تكن ربانياً كاملاً لا منـــزهاً فقط،ولا مشبهاً فقط»[108].

سابعا : وحدة الوجود ونظرية التجلي

يقول الأمير" ولا علم عند القوم إلا ما حصل عن تجل فإذا كان العلم حاصلا عن نظر في دليل عقلي فليس بعلم عند الطائفة "[109] ويقول: « كل شيء من الأشياء هو تجل من تجلياته تعالى»[110] ويقول« أعني بالعامة: المتكلمين في التوحيد العقلي الذين منعوا تجلي الحق تعالى من الصور. فإنهم ينظرون الحق تعالى منعزلاً عن الخلق بعيداً منهم بينه وبين مخلوقاته بون بعيد ويظنون أن متعلق علمهم ورؤيتهم إنما هي الحقائق الكلية والنسب وصور الممكنات التي هي آثار النسب. وأن الحق تعالى غير مرئي لهم ولا معلوماً إلا علماً إجمالياً من كونه مستندهم في وجودهم والأمر ليس كذلك»[111].ويقول« التجلي الإلهي كل ما ذكر في القرآن من النـــزول كقوله وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ[112]،أي تجلى إليكم في صور التقييد،والتشبيه،والتحديد[113].

ويقول« التجلي الساري في جميع الذراري هو الوجود القائم بنفسه المقوم لغيره من الموجودات في مراتبها،كما يسميه بعضهم بنفس الرحمن،نظرا إلى ما حصل بالوجود من التنفيس عن الأسماء الإلهية والحقائق الممكنة،وهو المسمى بالروح الكل عندما تنزل إلى مراتب الإمكان [114] .

ثامنا: وحدة الوجود هي الاعتقاد أن الله عين الأشياء وليست الأشياء عينه.

وقاعدة" الله عين الأشياء وليس الأشياء عينه "هي قاعدة تلخص نظرية وحدة الوجود تلخيصا منهجيا برهانيا فلسفيا وكان أول من نحت هذه القاعدة وابتكرها هو الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي أستاذ الأمير وولي نعمته يقول الأمير شارحا هذه القاعدة "فهو عين الأشياء وما الأشياء عينه قال أبو يزيد رضي الله عنه الحق عين ما ظهر وليس ما ظهر عينه فهو تعالى عين الأشياء في رتبة التقييد وليست الأشياء عينه فيها فلا ظهور لشيء لا تكون هويته عين ذلك الشيء"[115] ويقول" فهو تعالى عين

---

[108] - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ،ج 2 ص 644 .
[109]- نفسه،الموقف الثامن والخمسون بعد الثلاثمائة ج2 ص 383.
[110]- نفسه ،ج 1 ص 95 .
[111] - نفسه،ج 2ص 118.
[112] - سورة العنكبوت الآية 46 .
[113] - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ،ج 2 ص 560 .
[114] - نفسه،ج 2 ص 640.
[115] - نفسه ،الموقف ثلاثمائة وثمانية وخمسين ،ج2 ص380.

الأشياء في وجودها،ما هو عين الأشياء في ذواتها" [116] وهذه القاعدة أسست لتيار فكري فلسفي داخل أروقة التراث الفلسفي العربي الإسلامي والتي سميت فيما بعد بفلسفة الحكمة المتعالية بزعامة الفيلسوف الكبير صدر الدين الشيرازي[117] الذي حورها وأطلق عليها اسم " بسيط الحقيقة كل الأشياء وليس بشئ منها "والتي أشاد على أساسها برهانه في إثبات مبدأ العلم الإلهي التفصيلي بالأشياء قبل الإيجاد وهو العلم الإجمالي في عين الكشف التفصيلي[118] .

يقول الأمير ملخصا تصور"معنى الله"عنده: " فالإله الذي عرفه الأشعري غير الإله الذي عرفه ألمعتزلي غير الإله الذي عرفه الظاهري غير الإله الذي عرفه الحكيم الفيسلوفي"[119] .

الإله الذي يؤمن به الأمير هو " الإله الذي عرفته الأنبياء والرسل وإتباعهم غير الإله الذي عرفته جميع الطوائف الناظرة بعقولها وموازين أفكارها إسلامية وغيرها فان اله الرسل والأنبياء عليهم السلام مع انه ليس كمثله شئ يجئ وينزل ويهرول ويسعى ويضحك ويبشبش وله قدم ووجه وجنب وعين واعين ويدان وأيدي ويجوع ويمرض وهذا الإله لا تعرفه جميع الطوائف ولا تصدق بوجوده بل تكفر ما جاءت به الرسل من نعوته إن كانت كافرة وتؤوله له إن كانت مسلمة حتى ترتضيه وتقبله عقولها فإذا جاء رب الأشعري إلى ألمعتزلي أو الظاهري أو الحكيم وقال لهم أنا ربكم قالوا نعوذ بالله منك لست أنت ربنا وهذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه وهكذا كل طائفة إذا جاءها رب الأخرى تعوذت منه وأنكرته وذلك لان أرباب أصحاب العقول مقيدة محدودة محصورة تحت أحكام العقول فلا تعطيها العقول السراح وتطلقها من قيودها حتى تضحك أو تهرول أو تجوع أو تتحول من صورة إلى صورة ونحو ذلك بخلاف رب الرسل والأنبياء ومن تبعهم فانه مطلق لا قيد ولا حصر ولا حد يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد إن الحكم إلا لله فيتجلى كيف شاء بما شاء لمن شاء وله أن يفعل جميع ما منعته منه العقول مما نعتته به أنبياؤه ورسله مع انه ليس كمثله شئ فاهم ما نعتوه إلا بعلم وإذن منه ورب الأنبياء والرسل ومن تبعهم لا ينكره احد منهم إذا قال لهم أنا ربكم بل لا ينكرون أرباب الطوائف كلها فإنهم عرفوا الرب المطلق الذي يحكم ولا يحكم عليه فمن نظر بعين الإنصاف

---

[116] - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ، ج2 ص5 .

[117] - ملا صدرا محمد بن إبراهيم القوامي الشيرازي 979-1050هـ ،1572-1640م،صاحب كتاب الحكمة المتعالية في الأسفار الأربعة العقلية.

[118] - و قاعدة " بسيط الحقيقة كل الأشياء وليس بشئ منها " بنى عليها الملا صدرا صرح فلسفته المتعالية كله والتي بلغ اعتزازه بهذه القاعدة حتى قال فيها " إن بسيط الحقيقة(الله) يجب أن يكون جميع الأشياء بالفعل ، وهذا مطلب شريف لم أجد في وجه الأرض من له علم بذلك" و العجيب الغريب أن يقول صدر الدين :"لم أجد في وجه الأرض من له علم بذلك " لكن الدارس الحصيف لكتب وعقائد الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي الحاتمي يعلم علم اليقين أن قاعدة " بسيط الحقيقة كل الأشياء وليس بشئ منها "هي استنساخ لعقيدة وحدة الوجود الأكبرية وقد سبق الشيخ الأكبر ابن عربي صدر الدين الشيرازي بهذه العقيدة وقررها قبله بسنين طويلة وقال بالنص" أن الله تعالى هو عين الأشياء وما الأشياء عينه " يقول الشيخ الأكبر:"فبتقيدنا حكمنا عليه بالإطلاق وأما الأمر في نفسه فغير منعوت بتقييد و لا إطلاق بل وجود عام فهو عين الأشياء وما الأشياء عينه فلا ظهور لشئ لا يكون هويته عين ذلك الشئ فمن كان وجوده بهذه المثابة كيف يقبل الإطلاق أو التقييد هكذا عرفه العارفون فمن أطلقه فما عرفه ومن قيده فقد جهله " الفتوحات المكية ج2ص454 .

[119] - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ، الموقف الثالث والسبعون بعد المائة ج1ص 313.

ورمى التقليد أو التعصب والإعتساف عرف الحق فعرف أهله- أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار[120] فمن أراد معرفة اله الرسل والأنبياء ومن تبعهم عليهم الصلاة والسلام فليتبع سنتهم ويقف عند حدودهم التي حدوها ويقتدي بهم ظاهرا وباطنا ويستعمل الأسباب التي وضعها كمل العارفين الداعين عباد الله تعالى إلى معرفته على طريقة الأنبياء فليواظب عليها فانه سبيل معرفة الله المعرفة المطلوبة منا إلا بهذه الطريق لا بغيرها من الطرق العقلية أو الرياضية على طريق الرسل وسنتهم اللهم قد بلغت النصيحة فنا لكم ناصح أمين وما أسألكم عليه من أجر" [121].

فعكس ما هو شائع عند كثير من الدارسين من أن عقيدة وحدة الوجود غامضة وصعبة الفهم،والواقع غير ذلك،فالصعوبة المعزوة إلى هذه العقيدة ليست راجعة إلى جوهر هذه العقيدة وتعقيدها إنما ترجع الصعوبة كما يقول بحق- الدكتور أبو العلا عفيفي[122] إلى الأساليب التي يعبر بها عن هذا المذهب والطرق الغريبة واللغة الملتوية التي اختارها أصحاب وحدة الوجود لبسط مذهبهم.فالحقيقة الوجودية عند أهل الوحدة .واحدة في ذاتها متكثرة في صفاتها وأسمائها ولا تعدد فيها إلا بالاعتبارات والنسب والإضافات..إذا نظرتَ إليها من حيث الذات قلت هي الحق وإذا نظرت إليها من حيث الصفات والأسماء قلت هي الخلق والعالم فهي الخلق والحق الواحد والكثير القديم والحديث الأول والأخر الظاهر والباطن..فسبحان من أظهر الأشياء وهو عينها كما قال الشيخ الأكبر في الفتوحات. فوحدة الوجود هي مدرسة خاصة في تفسير التوحيد الإسلامي وفق المنظور الصوفي.

.والاستنتاجات المباشرة التي تقدمها لنا نصوص الأمير حول مسالة وحدة الوجود ما يلي:

- الوجود كله ابتدأ من الإنسان وغيره ليس سوى شكل معين لوجود الله.
- صلة الله بالعالم ليست لا تزيد عن صلة ذات الله بأسمائه.
- الوجود الاعتباري للعالم وللإنسان بالدرجة الأولي هو غاية الله ومقصده وهدفه،لافتقار أسماء الله الحسنى إليه في وجودها كي يرى الله فيها نفسه بأعيانها ليظهر سره، فوجودها ضروري وليس عارضا أو عابرا.
- العالم غير مخلوق وليس محدثا من عدم إنما العالم موجود بإيجاد الله له وليس بوجوده.
- التعدد والكثرة وهم، تصنعه مدركاتنا الحسية البشرية.

[120] - يوسف الآية 39.

[121] - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق، الموقف الثالث والسبعون بعد المائة ج1ص313-314.

[122] - وهو احد كبار المتخصصين في نصوص ابن عربي.

ب – تصور معنى "الإنسان" – أنتروبولوجيا التصوف .

مفهوم الإنسان في الفكر الأوروبي المعاصر/ الإنسان في القرآن الكريم /
تميز الصوفية بخصوصية النظرة إلى الإنسان/ فكرة الإنسان عند الأمير عبد القادر.

إذا كان أرسطو يحدد الإنسان بوصفه حيوانا عاقلا، فإن الفكر الفلسفي المعاصر يكاد يقف في تحديده عند وسم الحيوانية،حيث يعرف الإنسان بكونه"حيوانا" هكذا فقط دونما إضافة نوعية[123] إن الإنسان– كما يقول الأنتروبولوجي البريطاني إدموند ليتش *Edmund Leach* – هو حيوان ،وعضو في نوع الهومو سابين *Homo Sapiens* وعلى صلة وثيقة بالقردة العليا،وأكثر بعداً عن بقية الأنواع الحية في سالف الأزمان وحاضرها[124]...إنها أنثروبولوجيا ما بعد الحداثة، ...أنثروبولوجيا مختزلة في فسيولوجيا كسيحة تختصر كينونة الإنسان في جسده، وإذا كانت فلسفة الحداثة – رغم نظرتها للعقل بوصفه أداة – قد سقطت في تأليهه، فإن فلسفة ما بعد الحداثة بنفيها للبعد العقلي انزلقت إلى رؤية جد فقيرة للكائن الإنساني تختزله في كينونته البيولوجية.وقد اشتركت في إنجاز تلك المهمة مختلف التوجهات الفكرية؛حتى الأبحاث الأنتروبولوجية التي ركزت على امتياز الإنسان عن الحيوان بالقدرة على إنجاز الانتقال من الطبيعة إلى الثقافة،نحا أغلبها نحو اعتبار الفارق بين الكائن الحيواني والكائن الإنساني فارقا درجيا فقط لا فارقا نوعيا[125]

وهكذا انتهت صيرورة تطور الثقافة الأوربية في لحظتها الراهنة إلى توكيد الغريزة والجسد،فسقطت هي الأخرى في الرؤية التجزيئية القاصرة عن استيعاب الكائن الإنساني في كليته وتعدد أبعاده." إن اختزال الكائن البشري في الكائن الجسد مجرد مظهر خارجي لأزمة الثقافة الغربية، وهي أزمة كامنة في مرجعيتها الدينية والفلسفية على حد سواء."[126] .

---

[123] - *La notion de race humaine est une tentative d'application à l'espèce Homo sapiens du concept de race, terme qui définit des sous-groupes d'espèces domestiqués du règne animal. http://fr.wikipedia.org/wiki/Race_humaine.*

[124]- إدموند ليتش،معنى الإنسان عند ليفي شتراوس: الحيوان البشري ورموزه، ترجمة: علاء الدين أبو زينة،المنشور على موقع،

http://www.alghad.com/?news=46854

[125]- ومن هنا نفهم سبب ذلك التوظيف الأيديولوجي للنظرية الداروينية، وذلك الاحتفاء الكبير الذي حظيت به فرضيتها القائلة بالأصل الحيواني للإنسان.

[126]- الطيب بوعزة،الإنسان بوصفه حيوانا!،المنشور على موقع الجزيرة المعرفة،

http://www.aljazeera.net/NR/exeres/08A40993-ECF5-4DFF-9546-CF4FA2110402.htm

ولكن هل نحن واثقون حقاً من أننا بإنجازنا "الثقافة" البشرية،نكون قد فصلنا أنفسنا عن الله؟ هذه هي الملاحظة التي يختتم بها ليفي شتراوس كتابه "المدارات الحزينة "*Tristes Tropiques* .

ونحن انطلاقا من سؤال كلود ليفي ستراوس نحاول أن نستنطق إجابات الإسلام الصوفي عن معنى الإنسان؟ عن إمكانية الفصل بينه وبين الله على مستويين اثنين:

ـ على مستوى النص المقدس:

يتناول القرآن الكريم موضوع الإنسان[127] من خلال زوايا مختلفة يمكن موضعتها :

أولا في مراحل خلق الإنسان **ثانيا** من حيث صفات ومواصفات الإنسان وسلوكاته **ثالثا** من حيث غايات وأهداف خلق الإنسان.

أولا– مراحل خلق الإنسان: وتنقسم بدورها إلى:

1– مرحلة ما قبل ظهور الإنسان: أ– مرحلة ما قبل اللاشئ والعدم[128] ب– مرحلة عالم الذر والميثاق[129]. 2– مرحلة تكونه ومكوناته المادية [130].3– مرحلة التصوير[131].4– مرحلة نفخ الروح[132].5– مرحلة تشكل الإنسان في بطن أمه [133]. 6– مرحلة خروجه من بطن أمه[134].

---

[127]- ولقد أفرد القرآن الكريم سورة مستقلة كاملة أسماها بسورة الإنسان- من بين (114) سورة - من سوره،وهذا يؤشر على موقعية وأهمية موضوع الإنسان بالنسبة للقرآن. وكلمة "الإنسان" وردت في القرآن الكريم (63) مرة، وورد ذكر كلمة بني أدم فيه (6) مرات.وذكرت كلمة الناس (240) مرة .

[128]- مرحـلة اللاشئ والعدم : يبدأ القرآن بالحديث عما قبل ظهور الإنسان في هذا الكون مذكراً إياه بإعجاز خلقه ووجوده، وفي ذلك يقول تعالى:"هل أتى على الإنسان حينا من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً " (الإنسان: 1).غير أن إرادة الله شاءت أن توجده بعد أن لم يكن، وفي ذلك يقول تعالى: " أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً" (مريم 67).

[129]- مرحلة عالم الذر والميثاق واليها الإشارة في سورة الأعراف الآية 172 في قوله تعالى (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على" أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى" شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين)

[130]- مرحلة تكونه ومكوناته المادية في التراب المتحوّل . حسب القرآن الكريم يمكن حصر مراحل التكون المادي للإنسان في ست مراحل هي : مرحلة 1. التراب، 2. الطين، 3. الطين اللازب، 4. صلصال من حمأ مسنون، 5. سلالة من طين 6. صلصال كالفخار. إنّ مجموع هذه الحالات الست المختلفة ترجع في حقيقتها إلى شيء واحد، وإنّ المادة الأساسية في كلّ هذه الحالات هي مادة واحدة، ومن أجل التعرف على متون الآيات التي تتعلّق بهذه الأمور الستة نكتفي بذكر آية واحدة لكلّ عنوان منها:

1. التراب:(إنّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُراب ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) .(آل عمران: 59.)

2. الطين:(الَّذي أَحْسَنَ كُلَّ شَيء خَلَقَهُ وَ بَدَأَ خَلْقَ الإنْسانِ مِنْ طين) .(السجدة: 7.)انظر في هذا المجال الآية 2 من سورة الأنعام، والآية 12 من سورة الأعراف، والآية 61 من سورة الإسراء،والآيتين71و76من سورة ص.

3. طين لازب:(...إنّا خَلَقْناهُمْ مِنْ طين لازِب) (الصافات: 11)

4. صلصال من حمأ مسنون:(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسانَ مِنْ صَلْصال مِنْ حَمَإ مَسْنُون) .(الحجر: 26.)وانظر أيضاً الآيتين 28 و 33 من نفس السورة.

5. سلالة من طين:(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسانَ مِنْ سُلالَة مِنْ طين) .(المؤمنون: 12)

ثانيا– صفات ومواصفات الإنسان: ذكر القرآن الكريم جملة من الصفات التي اتصف بها هذا الإنسان كصفة الضعف[135] وصفة الظلم والكفر[136] وصفة الجهل[137] والطغيان[138] والخسران[139] القتور[140]

---

6. صلصال كالفخار:(خَلَقَ الإنْسانَ مِنْ صَلْصال كَالفَخّار).(الرحمن: 14.)وفي نفس المضمون الآيات 26، 28و 33 من سورة الحجر، إن هذه الآيات تشير إلى المادة الأولى التي خلق منها آدم (عليه السلام) وذريته من بني الإنسان،وهذه الحالات الستة ترتبط وبصورة مباشرة بالحالات المادّية لخلق الإنسان الأوّل المتمثل في أبي البشر آدم (عليه السلام) ولكن القرآن الكريم ينسبها أيضا ـ و بنحو ما ـ إلى جميع البشر حيث يقول تعالى:(خَلَقْناكُمْ مِنْ تُراب) أو (خَلَقْناهُمْ مِنْ طين لازب) بصيغة الجمع المتوجه لجميع البشر.ولا ريب انّ المادة الأولى لخلق الإنسان قد مرّت بتغيّرات كيفية تمثلت بالحالات الستة التي أشارت إليها الآيات السابقة.ومن المعلوم أنّ القرآن الكريم ليس من كتب العلوم الطبيعية لكي يبحث في هذه الأمور بصورة مفصّلة، ولكنّه ولأسباب وأهداف تربوية أشار إلى تلك التحوّلات الستة التي وقعت على المادة الأولى لخلق الإنسان مذكّراً الإنسان بحقيقة مكوّناته لكي لا يغتر من جهة ولكي يرعوي المتكبّر ويعرف أنّه كيف قد تداركته الرحمة الإلهية ونقلته من حضيض التراب إلى أوج السمو والرفعة.

[131]ـ مرحلة التصوير و تشكل الإنسان في بطن أمه: اعتبر القرآن الكريم مرحلة تصوير آدم هي المرحلة الثانية من مراحل خلق الإنسان حيث قال سبحانه: (وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوّرناكُمْ ثُمَّ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاّ إبْليسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السّاجِدينَ) .(الأعراف: 11) والملاحظ أن هذه الآية تتحدث عن الخلق أولا ثم التصوير ثانيا وأن الخلق كان قبل التصوير ويبدو أن مفهوم التصوير هو نفس مفهوم التسوية الذي ورد في آية أُخرى حيث قال تعالى:(وَ إذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إنّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصال مِنْ حمإ مَسْنُون * فَإذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فيهِ مِنْ رُوحي فَقَعُوا لَهُ ساجِدينَ) .(الحجر:28- 29)

[132]ـ مرحلة نفخ الروح: المرحلة الثالثة من المراحل التي مرّت بها عملية خلق الإنسان هي عملية نفخ الروح في البدن، وفي الحقيقة إن هذه المرحلة هي أهمّ المراحل، لأنّ من خلال هذه المرحلة امتاز الإنسان عن غيره وجعلت له أفضلية على غيره، لأنّ هذه المرحلة جعلت منه موجوداً مركباً من عدّة أبعاد، فمن جهة هو موجود متعقّل مفكّر يمتلك فكراً وعقلاً يوصله إلى مصاف الملائكة، ومن جهة أُخرى جهّز بمجموعة من الغرائز والميول النفسية التي إن لم تخضع للسيطرة والموازنة والرقابة العقلية فإنها تجمح به لتلقيه في قعر الذلّ والسقوط والانحدار.ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذه المرحلة بقوله سبحانه:(فإذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحي فَقَعُوا لَهُ ساجِدينَ) .وبهذا المضمون وردت الآية 72 من سورة ص.

[133] ـ مرحلة تشكل الإنسان في بطن أمه :وهذه المرحلة حددتها بدقة الاية الكريمة التالية في سورة المؤمنون الآية 12- (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) وقال تعالى(أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى) القيامة: 37-39.الانتقال من النطفة في القرار المكين إلى العلقة ومن العلقة إلى المضغة ومن المضغة إلى تشكل العظام إلى إلباس العظام لحما (العضلات إلى النشأة الأخرى .

[134] ـ مرحلة خروجه من بطن أمه: وهذه المرحلة وصفتها الآية الكريمة من سورة الحج الآية 5 (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا) ووصفتها الآية 54 من سورة الروم (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ)وهذه المرحلة هي مرحلة الحياة الدنيا والقرآن الكريم يقسم هذه المرحلة بدورها إلى مجموعة من المراحل مفصلة في قوله تعالى في سورة الحديد الآية 21(اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ) وهذا تقسيم وظيفي يحاول به القرآن الكريم الكشف عن سلوكات الإنسان في كل مرحلة من مراحل حياته التي تبدأ باللعب واللهو ثم بالزينة والتفاخر والتكاثر بالأولاد والتباهي بالأموال.ووصفتها الآية 78 من سورة النحل في قوله تعالى (وَاللهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . (أي أن الله رَكَّبَ في الإنسان السمع والأبصار والأفئدة الآلات لإزالة الجهل الذي وُلِد عليه ولاجتلابِ العِلْمِ والعمل به من شكر المنعِم وعبادتِه والقيام بحقوقه.

[135] ـ قال تعالى"وخلق الإنسان ضعيفاً" سورة النساء،الآية 28 .

[136] ـ قال تعالى"إن الإنسان لظلوم كفار" سورة إبراهيم الآية 34.

[137] ـ قال تعالى" إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً " سورة الأحزاب الآية 72.

[138] ـ قال تعالى: (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى) سورة العلق الآية 6.

[139] ـ قال تعالى "إن الإنسان لفي خسر " سورة العصر الآية 2.

[140] ـ قال تعالى : (وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا) سورة الإسراء.الآية 100 .

الفجور[141] الكنود[142] اليؤوس القنوط [143] وأكثر الكائنات جدلا[144] وعجلا[145]وصاحب الخصام المبين[146] المخلوق على أحسن تقويم، والمردود إلى أسفل سافلين[147]المفضل المكرم[148]البصير على نفسه[149]الكادح إلى الله [150]السميع البصير[151] المخلوق من نفس واحدة[152].

ثالثا–التطلعات والمهام والوظائف: الفكرة الأساسية التي يتمحور حولها موضوع الإنسان في القرآن الكريم هي الخلافة أي استخلاف الله في أرضه وهي الأمانة الكبرى التي حملها هذا الإنسان[153]وغائية خلق الخلق في المنظور القرآني تتمثل في عبادة الإنسان لله [154] والتعارف بين بني البشر[155] وامتحان هذا الإنسان بهذه الأمانة في هذه الدنيا لينال جزاءه فيها أو في الآخرة أو في كل منهما[156].

ــ على مستوى تأويل النص في النظرية الصوفية:

تميزت الصوفية من بين الفرق الإسلامية كافة برؤية خاصة الإنسان[157].والوجود عندهم حقيقة كاملة ودائرة محيطة يعد الإنسان مكون من مكوناتها الأساسية وأحد أطرافها المفترضة (الله، العالم، الإنسان).يقول الشيخ الأكبر" خلق الله الإنسان، مختصرا شريفا جمع فيه معاني العالم الكبير وجعله نسخة جامعة لما في العالم الكبير،ولما في الحضرة الإلهية من الأسماء وقال فيه رسول الله: إن

---

[141]- قال تعالى " بل يريد الإنسان ليفجر أمامه" سورة القيامة الآية 5.
[142] - قال تعالى : (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ) سورة العاديات الآية 6 .
[143] - قال تعالى : (لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ) سورة فصلت الآية 49.
[144] - قال تعالى"ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلا" الكهف 54.
[145] - قال تعالى" خلق الإنسان من عجل ،سأريكم آياتى فلا تستعجلون" سورة الأنبياء الاية37.
[146] - قال تعالى " أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين" سورة ياسين الآية 77.
[147] - قال تعالى " لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين (التين – 6:4
[148] - قال تعالى " ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا " سورة الإسراء - الآية 70.
[149] - قال تعالى " بل الإنسان على نفسه بصيرة " سورة القيامة الآية 14.
[150] - قال تعالى " يأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه" سورة الانشقاق الآية 6.
[151] - قال تعالى إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا "سورة الإنسان الآية 2.
[152] - قال تعالى " يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا " سورة النساء الآية 1.
[153] - قال تعالى:"وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة" سورة البقرة الآية 30.
[154] - قال تعالى " وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون " سورة الذاريات الآية 56.
[155]- قول تعالى" وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا" سورة الحجرات الآية 13.
[156] - يقول تعالى "الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا، وهو العزيز الغفور" الملك الاية2.
[157] - يذكر الجرجاني تعريفا شاملا للإنسان بقوله "الإنسان هو الحيوان الناطق.. والإنسان الكامل هو الجامع لجميع العوالم الإلهية،والكونية الكلية،والجزئية. وهو كتاب جامع للكتب الإلهية والكونية، فمن حيث روحه وعقله كتاب عقلي مسمى بأم الكتاب، ومن حيث قلبه كتاب اللوح المحفوظ،ومن حيث نفسه كتاب المحو والإثبات، فهو الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة،التي لا يمسها ولا يدرك أسرارها إلا المطهرون من الحجب الظلمانية. فنسبة العقل الأول إلى العالم الكبير وحقائقه بعينها نسبة الروح الإنساني إلى البدن وقواه،وإن النفس الكلية قلب العالم الكبير كما أن النفس الناطقة قلب الإنسان، وكذلك يسمى العالم بالإنسان الكبير".علي بن محمد الشريف الجرجاني،كتاب التعريفات، بيروت، مكتبة لبنان، 1985،ص 39-40

الله خلق آدم على صورته،فلذلك قلنا خرج العالم على الصورة،وفي هذا الضمير الذي في صورته خلاف لمن يعود لأرباب العقول،وفي قولنا علم نفسه فعلم العالم غنية لمن تفطن وكان حديد القلب بصيرا،ولكون الإنسان الكامل على الصورة الكاملة صحت له الخلافة والنيابة عن الله تفي العالم، فلنبين في هذا المنزل نشأة هذا الخليفة ومنزلته وصورته على ما هي عليه،ولسنا نريد الإنسان بما هو إنسان حيوان فقط بل بما هو إنسان وخليفة وبالإنسانية والخلافة صحت له الصورة على الكمال،وما كل إنسان خليفة،فإن الإنسان الحيوان ليس بخليفة عندنا،وليس المخصوص بها أيضا الذكورية فقط،فكلامنا إذا في صورة الكامل من الرجال والنساء فإن الإنسانية تجمع الذكر والأنثى والذكورية والأنوثية إنما هما عرضان ليستا من حقائق الإنسانية لمشاركة الحيوان كلها في ذلك". [158]

فالإنسان مختصر شريف وصورة كاملة للحضرة الإلهية من جهة وللعالم من جهة أخرى فهو برزخ جامع. ويوضح الأمير رؤيته لحقيقة الإنسان قائلا« الإنسان هو حضرة الجمع والوجود،فليس لحضرة الجمع والوجود صورة إلا الصورة الإنسانية،لأنها بسطت فيه ولم تنقبض عنه. إذ لا مرتبة أنزل من هذه المرتبة،فهو غاية تنـــزلها،والحق غاية عروجها. فكان الإنسان صورة حضرة الجمع والوجود فرجعت إليه حقائق الموجودات بأسرها،رجوع الفرع إلى الأصل ... ولذلك صار مظهراً لجميع الحقائق؛لأن حضرة الجمع والوجود متصور بصورة كل حقيقة من حقائق الموجودات وهي الإنسان. ومن ثم كان الإنسان وجوداً مطلقاً لسريان حكمه في أقسام الوجود ظاهراً بظاهر،وباطناً بباطن،علوياً بعلوي وسفلياً بسفلي.

ومن ثم استحق الخلافة ووجب أن يسجد له من استخلف عليهم»[159] ويضيف الأمير رؤيته بسطا وشرحا وتوضيحا حين يقول « حقيقة النفس الإنسانية بالأصالة،فإن الله خلقها على صورة الله،أو على صورة الرحمن،وهي واحدة وحدة حقيقية عددتها الصور الإنسانية لتعدد الصور،فحددت لها أسماء وصفات، فقيل فيها مطمئنة لوامة أمارة ... إلى غير هذا وهي المسماة بالأصالة بالإنسان الكامل»[160].

ويقول" لما كان العالم هو الاسم الظاهر،وكان الإنسان من بين سائر العالم،جامعا بين الاسم الظاهر والباطن،كان له الشرف،فهو اشرف المخلوقات وأكملها،وأما فضله على سائر المخلوقات فشئ أخر،فالإنسان الكامل هو الكون الجامع للحقائق الإلهية....الإنسان الكامل مظهر جامع لجميع الحقائق الأسمائية التي تطلب العالم أعلاه وأسفله،جواهره وأعراضه،ومظهر أيضا لجميع الحقائق الكونية،المقولات العشر،التي تجمع العالم كله،متفرقة في العالم مجتمعة في الإنسان فللإنسان نسبتان نسبة يدخل بها إلى الحضرة الإلهية ونسبة يدخل بها إلى العالم فهو المقابل لجميع الموجودات قديمها وحادثها وما سوى الإنسان لا يقبل ذلك. فالحق تعالى له القدم وما له دخل في الحدوث والعالم له

[158] - هيثم مناع، الإنسان الكامل في الثقافة العربية، مقال منشور في موقع : *http://www.achr.nu/art53.htm*
[159] - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق، ج 2 ص 137.
[160] - نفسه،ج 2 ص 117.

الحدوث وما له دخل في القدم والإنسان له القدم وله الحدوث فهو منعوت بهما فلهذا هو رب وعبد عبد من حيث انه مخلوق مكلف ورب من حيث انه خليفة ومن حيث انه خلق على الصورة الإلهية فهو يلحق بالإله التحاقا معنويا والعالم كله تفصيل ما اجتمع في الإنسان الكامل فلهذا سماه شيخنا إمام العالمين بالله محي الدين الحاتمي بالإنسان الكبير وبالعالم"[161].ثم يستطرد الأمير قائلا" فكل المخلوقات خرجت من العدم إلى الوجود إلا الإنسان فانه خرج من غيب إلى شهادة لا من عدم فانه أزلي قديم باعتبار حقيقته،التي هي حقيقة الحقائق وأول التعيينات وأول عين ثبتت في العلم الإلهي فهو الأول من حيث الصورة الإلهية فانه ورد أن الله خلق ادم على صورته والأخر من حيث الصورة الكونية فأوليته حق وأخريته خلق،والى الصورة الإلهية الإشارة بقوله تعالى ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم[162]والى الصورة الكونية الإشارة بقوله تعالى ثم رددناه أسفل سافلين[163]" [164].

وتتقاطع نظرية الأمير عبد القادر الجزائري مع النظرية التي ترى في أن الإنسان هو كون صغير*microcosme*[165] وأن الكون هو إنسان كبير *macrocosme*[166].

وما يستنتجه الباحث من خلال قراءة مجموع نصوص الأمير عبد القادر هو أن رؤية الأمير لمعنى الإنسان تتجه نحو نزعة لاهوتية أنثروبو–مركزية واضحة *théo-anthropocentrisme* ،بمعنى أن الإنسان هو تجلى الهي وهو أيضا جوهر الكون ومحوره.

---

[161] - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ،الموقف الثامن والأربعون بعد المائتين،ج2ص 450.

[162] - سورة التين الآية 4.

[163] - سورة التين الآية 5.

[164] - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق،الموقف الثامن والأربعون بعد المائتين، مرجع سابق،ج2ص 573.

[165]- *Le microcosme, c'est "l'homme en tant que résumé, synthèse et splendeur du monde avec lequel on peut établir des correspondances terme à terme (pieds=Signe des Poissons, veines=fleuves, par exemple), à l'intérieur de cette analogie générale"entre homme et monde- Pierre A. Riffard, Dictionnaire de l'ésotérisme, Payot, 1983, p. 221. Dans un sens plus moderne, "microcosme" désigne un abrégé, une image réduite du monde ou de la société, ou un petit groupe ("le microcosme politique", par exemple).*

[166]- *Le macrocosme, "c'est le monde en tant qu'organisme analogue à l'homme, totalité une dont les parties sont en correspondance"- PierreA. Riffard, Dictionnaire de l'ésotérisme, Payot, 1983, p. 195.Dans un sens plus moderne, "macrocosme" désigne une vue globale (on parle de "vision macroscopique, en sociologie, en économie"). Synonyme : "macroscope" (Joël de Rosnay, 1975*).

رابـــعا :

قواعـــد الـــتأصيـــل الإبستمولوجي
لـــفلسفة الاختلاف عند الأمـــير

ـــ **قاعدة:** الخيال كإجراء منهجي لفهم الاختلاف.

ـــ **قاعدة:** الصورة كعلامة لتجليات الاختلاف.

ـــ **قاعدة:** التأويل المفتوح كآلية منهجية لشرعنة الاختلاف.

ـــ **قاعدة:** تسويغ وتبرير الاجتهاد في أصول العقائد والديانات.

ـــ **قاعدة:** مشاهدة الحق في اختلاف العقائد.

ـــ **قاعدة:** نسبية الحقيقة ورفع الخطأ المطلق والكفر المطلق.

ـــ **قاعدة:** شمول الرحمة ورفع العذاب عن الخلق كلهم يوم القيامة.

قاعدة:الخيال كإجـــــراء منهجي لفهم وتفهم الاختلاف.

موقعية الخيال في البحث الأنتروبولوجي المعاصر/ الفصل بين العقل والخيال فصل تعسفي/ تعريف الخيال عند الأمير عبد القادر/ أنواع الخيال عنده:المنفصل،المتصل، البرزخي،النومي / الخيال عند الأمير من أهم المصطلحات في جهازه المفاهيمي/ الأمير واستعمال مفهوم الخيال كإجراء منهـــجي وظيـــفي لفهـــم وتفهـــم الاختلاف على المستوى الأنطولوجي كله.

ينطلق الأنتروبولوجي الفرنسي جيلبار ديران *Gilbert Durand* من أن الفصل بين الخيال والعقل أصبح مجرد هراء أجوف لا يعنى شيئا سوى السقوط في العقلانوية،فليس ثمة فصل بين العقل والمخيال،وما العقلانية إلا بنية من مجموعة بُنى أخرى مستقطبة بصورة خاصة لحقل الصور والتخيلات"[167]ولـــذلك انفتح البحث الأنتروبولوجي المعاصر كما يقرر أيضا السيد ديران *Durand* على المؤسسات الطقوسية،وعلى الرمزية الدينية وعلى المثولوجيات[168].

فلم يعد الخيال وهما أو خرافة لا علاقة لها بالواقع إنما أصبح له قيمة معرفية معتبرة وأنشئت معاهد علمية متخصصة لدراسة الخيال والمخيال[169].

فبعد أن أساء العقل الوضعي المنطقي فهم المكانة المعرفية للخيال.....جاء الفكر الأنتروبولوجي المعاصر مصححا ومصوبا ومنفتحا كليا على موضوع المخيال " ويقصد بالخيال هنا بصفته الملكة الشغالة في كل النشاطات الفنية والرؤى السياسية،و الخيال بصفته وعاءً لاحتواء المعتقدات والتصورات الجماعية التي تمارس دورها كمخيال اجتماعي".[170]

وحسب رأي جيلبار ديران *Gilbert Durand*" أن الخيال لا ينبغي أن ننظر إليه كظاهرة ما قبل تاريخية سبقت الفكر العاقل السليم إنما يجب النظر إليه باعتباره عاملا أساسيا للتوازن البسيكو-

---

[167]- محمد الجويلي،الزعيم السياسي في المخيال السياسي الإسلامي بين المقدس والمدنس ،المؤسسة الوطنية للبحث العلمي ،تونس،1992م ،ص 35.

[168]- *Gilbert Durand , Les structures anthropologiques de l'imaginaire, Paris, 1960, p. 38*

[169]- *A titre d exemple Le- CRI -Le Centre de recherche sur l'imaginaire en France C'est un centre de formation à vocation pluridisciplinaire(littérature française, littératures comparées, lettres étrangères, sociologie, psychologie, anthropologie). Son projet scientifique trouve unité et cohérence dans la réflexion sur l'imaginaire et sur l'imagination symbolique menée d'abord, et dans des champs divers, par Mircea Eliade et Gaston Bachelard, reprise et développée par Gilbert Durand qui fonda le centre en 1966 en collaboration avec Paul Deschamps et Léon Cellier.*

[170]- محمد أركون،القرآن،من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني،ترجمة وتعليق هاشم صالح ،الطبعة الأولى،دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت،2001م ،ص 49.

اجتماعي[171] ويجب حسب نفس الباحث التحرر من " الديكارتية التي تعتبر التخيل نظيرا للحس ومصدرا أساسيا للخطأ والبعد عن الحقيقة "[172] .بل إن مشروع *Durand* كله قائم على تجميع " الموارد الأنتروبولوجية " للبحث في الخيال الرمزي العام، الذي يسم المتخيل الإنساني. وانتهى إلى أن البنيات" الأنتروبولوجية " للمتخيل تتمثل في الخصائص النوعية التي تميز الطبيعة الإنسانية. والعقل والخيال ملكتان تتداخلان بشكل مترابط ومتساوٍ في كل مجالات المعرفة،وليسا شيئين متضادين أو متنافيين أي ينفيان بعضهما بعضاً[173].

وكما يقول الدكتور محمد أركون" أن الخيال على طريقته هو ملكة من ملكات المعرفة،إن المخيال يساهم في هذه الفعالية بصفته وعاء من الصور وقوة اجتماعية ضخمة تكمن مهمتها في إعادة تنشيط هذه الصور بصفتها حقائق رائعة وقيما لا تناقش" [174].

أما متصوفة الإسلام فلقد سبقوا كل هؤلاء الأنتروبولوجين وعلماء النفس واعتبروا الخيال[175] المصدر الأهم في المعرفة بل لقد اعتبر ابن عربي الخيال وسيلة معرفية أساسية وأن" ذلك الذي لا يعرف منزلة الخيال،خال من المعرفة "[176].

ويقول الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي: " علم الخيال وهو ركن عظيم من أركان المعرفة،وهذا هو علم البرزخ،وعلم عالم الأجساد التي تظهر فيها الروحانيات،وهو علم سوق الجنة،وهو علم التجلي الإلهي في القيامة في صور التبدل،وهو علم ظهور المعاني التي لا تقوم بنفسها مجسدة مثل الموت في صورة كبش،وهو علم ما يراه الناس في النوم ،وعلم الموطن الذي يكون فيه الخلق بعد الموت وقبل البعث،وهو علم الصور وفيه تظهر الصور والمرئيات في الأجسام الصقيلة كالمرآة،وليس بعد العلم بالأسماء الإلهية ولا التجلي وعمومه أتم من هذا الركن، فإنه واسطة العقد إليه تعرج الحواس،وإليه تنـــزل المعاني،وهو لا يبرح من موطنه تجبي إليه ثمرات كل شيء،وهو صاحب الإكسير الذي تحمله على المعنى فيجسده في أي صورة شاء. لا يتوقف له النفوذ في التصرف والحكم، تعضده الشرائع،وتثبته الطبائع . فهو المشهود له بالتصرف التام ، وله التحام المعاني بالأجسام،يحير

---

[171]- *Gilbert Durand ,L'Imagination symbolique, Paris , PUF ,1re édition en 1964 , p84.*

[172] - *Gilbert Durand ,L'Imagination symbolique, p19.*

[173]-علي حرب،النص والحقيقة،الممنوع والممتنع ، نقد ألذات المفكرة ،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء ،المغرب،الطبعة الأولى،1995م،ص124 .

[174]-محمد أركون،القرآن،من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني،ترجمة وتعليق: هاشم صالح، الطبعة الأولى،دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت،2001 م، ص 29.

[175]- منحتنا اللغة العربية معان خصبة استوطنت في الجذر الثلاثي لكلمة "خيال" لتدل على الحركة في تلوّن وتبدل ولم يرد في القرآن الكريم اصطلاح الخيال، وإنما ورد بصيغة فعل التخيّل لبيان الحالة التي مرّ بها نبي الله موسى عندما اختبره الله تعالى عند معاينته لأفعال اللبس والإيهام التي مارسها أمامه سحرة فرعون، فقال تعالى " فإذا حبالهم وعصيّهم يخيّل إليه من سحرهم أنها تسعى"سورة طه ، الآية 66

[176]- ابن عربي،الفتوحات المكية ،دار صادر،بيروت، تصوير دار صادر بيروت عن طبعة بولاق،القاهرة،سنة 1293 هـ ،ج 2ص 3|3.

الأدلة والعقول»[177]. والخيال عند ابن عربي ليس تخيلاً نزوياً عابراً لا قيمة واقعية له،كما أنه ليس خيالاً خلاقاً كما عرفه الفنانون، بل هو طاقة وقوة ذات بعد حقيقي واقعي يسعى إلى التحقق في الحس بشكل دائم أبدي أزلي،ينتمي إلى عالم له مقاييس خاصة به وحقائق وسطية برزخية[178].

ويعرف هنري كوربان– الخيال الصوفي التيوفاني– بأنه " هو مكان ظهور الموجودات الروحية، ملائكة، وعقول في صور الأجساد الظاهرية، لأن المعاني والمحسوسات تلتقي في إبراز الأشكال الشخصية مستعيدة في ذلك أحداث المأساة الروحية. كما أنه أيضا –الخيال– مكان تكامل كل التواريخ المقدسة، تواريخ الأنبياء مثلا، التي لها دلالات لأنها عبارة عن تجليات"[179].

وعلى خطى الشيخ الأكبر سار الأمير عبد القادر الجزائري بحيث أعلن" أن الخيال أصح من إدراك الحس لأن الحس له غلطات كما قيل والخيال لا غلط في إدراكه أصلا وإنما الغلط في التعبير"[180].

ووظف الأمير الخيال كإجراء منهـــجي وظيـــفي لفهـــم وتفهـــم الاختلاف على المستوى الأنطولوجي كله. ويعطى الأمير عبد القادر للخيال أو البرزخ تعريفا مانعا جامعا وهو عنده "حاجز معقول بين أي شيئين متقابلين يفصل بينهما،بحيث لا يختلط أحدهما بالآخر، ولا يكون عينهما ولا غيرهما،وفيه قوتهما معاً، بمعنى أنه لا يكون عين كل واحد من المتقابلين من كلتي وجهتيه،بل له وجه إلى هذا ووجه إلى هذا،مع أنه لا يتجزأ ولا يتبعض ولا ينقسم، يكون بين محسوسين،كالخط الفاصل بين الظل والشمس. وقد يكون بين معقول ومحسوس،وقد يكون بين موجود ومعدوم.و البرزخ من حيث هو لا موجود ولا معدوم،ولا مجهول ولا منفي،ولا مثبت كالصور المدركة في المرايا وفي كل جسم صقيل،فإنك تعلم أنك أدركت شيئاً بوجه،وتعلم أنك ما أدركت شيئاً بوجه ، فأنت صادق إن قلت أدركت،أو قلت ما أدركت وليس البرزخ غير الخيال فهو عينه[181].

وعلى سبيل التمثيل والتقريب البيداغوجي ولتوضيح دلائلية الخيال ومعناه يضرب الأمير عبد القادر مثال الشخص الناظر لذاته في المرآة [182]، فهو يرى صورته منطبعة على صفحة هذه المرآة

---

[177] - ابن عربي،الفتوحات المكية ، مصدر سابق ،ج 2 ص454.

[178] - سعاد الحكيم،المعجم الصوفي الحكمة في حدود الكلم،دندرة للطباعة والنشر،1981م، ص 24.

[179]- *Henry Corbin, L'imagination créatrice dans le soufisme d'Ibn Arabi, 2ème ed. Flammarion, 1976, p147.*

[180] - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق،الموقف الثاني والسبعون بعد الثلاثمائة، ج2ص 514.

[181] - نفسه ،ج 2 ص527-528.

[182] - يقول الدكتور محمد المصباحي في مقاله "ابن عربي في مرآة ما بعد الحداثة: مقام " نعم ولا : إن منطق المرآة -وهو منطق أونطولوجيا الخيال – يحرِّرنا من هيمنة المنطق الصوري والانطولوجيا التابعة له، مادام المنطق المرآوي ينطلق من رؤية هيراقليطية–سفسطائية تضع الصيرورة مبدأ لتصور العالم، مما يجعل الجمع بين الأضداد أمرًا لا يثير أيَّ حرج لدى القائل به.

http://www.minculture.gov.ma/index.php?option=com_content&view=article&id=528:mohammed-mesbahi-femme-regard-interdti-chez-ibn-arabi&catid=51:etude-et-essais&Itemid=153

وهذه الصورة المشاهدة داخل المرآة هي بلا شك نفس الناظر وذاته لا غيرها ، لكن هذا من وجه ،أما من وجه أخر فالصورة المشاهدة داخل المرآة هي ليست ليس نفس ذات الناظر لان ذاته لم تنتقل إلى داخل المرآة فهي مستقلة عنها كليا.

فالصورة المشاهدة داخل المرآة هي صورة موجودة من وجه ومعدومة من وجه أخر وهكذا هو أمر الخيال عند الأمير فهو لا موجود ولا معدوم، ولا مجهول ولا منفي.

إن الخيال عند الأمير عبد القادر موجود عقلي وليس موجوداً حسياً عينياً فهو يُعقل ولا يُشهد ويُعلم ولا يُدرك.إنه حضرة تتوسط بين حضرتين بالمعنى العقلي لا بالمعنى المكاني المادي،وهذه هي طبيعة الخيال الخاصة فهو عنده مجرد تصور ذهني واحد في ذاته يقوم بوظيفتي الاتصال والانفصال– الفصل بين الأمرين والتوسط بينهما في نفس الوقت فهو يؤدي وظيفة التوحيد بين المتقابلات والتصالح بين المختلفات.ويشرح الأمير ماهيتة قائلا : " وليس عالم الخيال بعالم مستقل بذاته زائد على عالم المعاني وعالم الأجسام المحسوسات وإنما هو برزخ بين عالم المعاني التي لا صورة لها من ذاتها ولا لها مادة وبين عالم الأجسام المادية فيجسد المعاني في الصورة المادية كالعلم يجسده في صورة اللبن ونحو هذا ويلطف الأجسام المادية فتصير لها صور روحانية في الخيال الإنساني وهو معقول أبدا فان حقيقة البرزخ الشئ المعقول الفاصل بين الشيئين لا أن يكون عينهما ولا غيرهما وفيه قوة كل واحد منها ولولا البرزخ لاختلطت الحقائق والتبست الطرائق مثل الخط الهندسي الفاصل بين الظل والشمس لا هو من الظل ولا هو من الشمس ولا غيرهما في الحس فان الحس لا يدركه سوى الظل والشمس وهو نوعان متصل بالإنسان ومنفصل عنه "[183].

فللخيال عند أميرنا بُعــدٌ وجوديٌ عقليٌ حقيــقيٌ فهو يجسد المعاني المجردة في الصور المادية كما انه يلطف ويروحن الأجسام المادية ويجردها من طبيعتها المحسوسة ولولا وجود هذا الخيال لاختلط الأمر وتداخلت الأشياء فهو الجامع والمفرق في ذات اللحظة. ثم يتحدث الأمير الجزائري عن موقعية الخيال بالنسبة لذات الإنسان مؤكدا أن الله تعالى: " بنى له في مقدم ذلك المنتزه خزانة سماها الخيال جعلها تعالى مستقرا وخزانة للمبصرات والمسموعات والمشمومات والمطعومات والملموسات وما يتعلق بها ومن هذه الخزانة تكون المرائي التي يراها النائمون وهي خزانة واسعة جدا وفيها من الأمور العظام وخرق العوائد ما لا يوجد في هذه الدار وفيها توجد المحالات العقلية كقيام الأعراض بأنفسها وحياتها لأنفسها ونطقها وإيراد الكبير على الصغير مع بقاء الكبير على كبره والصغير على صغره وتكلم الجمادات ووجود الشخص الواحد في مكانين واجتماع الضدين وغير ذلك مما لا يتصور وقوعه في هذا العالم وهي المكنى عنها بأرض السمسة وهذه الخزانة يسميها المتكلمون بالحس المشترك ويسميها الحكماء البنطاسيا " [184].

---

[183] - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ،الموقف السبعون بعد المائتين ج2ص54.

[184]- نفسه،الموقف الثامن والأربعون بعد المائتين ص580ج1 .

الخيال واسع جدا وحضرته "أوسع الحضرات" كما يقول الأمير وهو مجلى كل الاختلافات،ففـيه ظهرت اختلاف المبصرات والمسموعات والمشمومات والمطعومات والملموسات. وفيه وجدت مختلف المحالات العقلية وداخله يتأسس كل ما أحاله العقل ورفضه من كلام الجمادات ووجود الشخص الواحد في مكانين واجتماع الضدين..ويفرق الأمير بين أربعة أنواع من الخيال: الخيال المنفصل والخيال المتصل والخيال النومي والبرزخ الخيالي.

أما " البرزخ المسمى بالخيال المنفصل،وبالخيال المطلق،وبالعماء،وبالحق المخلوق به كل شيء . وهو البرزخ بين المعاني التي لا أعيان لها في الوجود كالعلم والثبات ونحوها ، وبين الأجسام النورية والطبيعة،وفيه تظهر الصور المرئية في الأجسام الصقيلة مثل المرايا ونحوها. وشأن هذا البرزخ الخيالي العمائي تكثيف اللطيف المطلق وهو الحق تعالى. فإنه من هذا البرزخ الخيالي ظهر موصوفاً بصفات المحدثات منعوتاً بنعوتها،كما ورد في الكتب الإلهية وسنن الأنبياء من المتشابهات وتلطيف الكثيف المطلق. ومنه اتصف الممكن المحدث بالصفات الإلهية كالحياة والعلم والقدرة ونحوها. فالبرزخ العمائي هو الخيال، والصور المرئية فيه هي المتخيلات ، وفي هذه المتخيلات ما يرى بعين الحسِّ ومنه ما يرى بعين الخيال ... وصور جميع الجسمانيات هي في هذا البرزخ الخيالي صور روحانية خيالية على وجه لطيف ،لا يمتنع فيه التداخل ولا التزاحم ولا إيراد الكبير على الصغير،بل ولا الجمع بين الضدين ، ولا وجود شخص واحد في مكانين"[185].

وإذا كان متصوفة وحدة الوجود يقيمون تفرقة واضحة بين الذات الإلهية والعالم،فإن هذه التفرقة تضيق إلى حد الاختفاء،وذلك عن طريق هذا الوسيط الكلي– الخيال المنفصل– الذي ينتظم الوسائط كلها .ويمتد مفهوم هذا الخيال المنفصل[186] ليشمل كل مراتب الوجود من أعلاها وهو الخيال المطلق أو الخيال الميتافيزيقي إلى أدناها وهو العالم الحسي .ففي هذا الخيال المنفصل ظهر كل شئ مختلف في عوالم الوجود من العالم الأعلى إلى العالم الأسفل ففيه ظهرت اختلافات الصور المرئية في الأجسام الصقيلة و فيه ظهر الحق تعالى متصفا بصفات المحدثات على اختلافها وتنوعها وفيه ظهر المخلوق الممكن بصفات الخالق المتنوعة المختلفة أيضا كالحياة والعلم والقدرة ونحوها.أما« البرزخ المسمى بالخيال المتصل والخيال المقيد،ويسمى بأرض السمسمة وأرض الحقيقة وهو البرزخ الخيالي تظهر فيه الصور الجسمانية الكثيفة التي تقبل التجزؤ والتبعيض والخرق والالتئام. وهي المركبة من العناصر صوراً مركبة لطيفة،لا تقبل التجزؤ ولا الخرق ولا التبعيض،ولا يمتنع فيها إيراد الكبير على الصغير ولا تصور المحال،ومنه ورد(اعبد الله كأنك تراه)[187].ومن شأن هذه المرتبة تلطيف الكثيف المقيد،لأن المحسوسات الكثيفة تظهر فيها بصور لطيفة روحانية ...، وتكثيف اللطيف المقيد.ومنشأ

---

[185]- الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ، ج 2 ص 528 – 529.

[186] - المنفصل عن الإنسان-

[187] - مسلم بن الحجّاج القشيري النيسابوري،صحيح مسلم،تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار الفكر،الطبعة الثانية، سنة 1398 هـ ، ج 1 ص 37.

هذه المرتبة البرزخية الخيالية مقدم الدماغ، وهي التي تمسك صور المحسوسات عند غيبوبتها،كما يرى الإنسان مثلاً مدينة ثم يغيب عنها،فإذا تذكرها رآها كما كان رآها،فيظن أنه رآها في موضعها في غير هذه المرتبة الخيالية »[188]. الخيال المتصل عند الأمير هو الخيال بالمعنى السيكولوجي لأنه مرتبط نوعا ما بالمحسوس فهو الذي يمسك ويحتفظ بالمحسوسات بعد رؤيتها في خزانته ومكانه في مقدم الدماغ. والخيال المتصل شعبة من الخيال المنفصل عند الأمير[189]والمتصل مرتبط بالمتخيل ويذهب بذهابه. « الفرق بين البرزخ المسمى بالخيال المنفصل والبرزخ المسمى بالخيال المتصل هو أن المتصل يذهب بذهاب المتخيِّل (اسم فاعل) ،كما هو في أنواع السحر والسيميا ونحوهما ... والخيال المنفصل لا يذهب بذهاب المتخيَّل له ، فإنه حضرة ذاتية قابلة لتجسد المعاني والأرواح دائماً»[190] .وقال الأمير في تعريف « البرزخ الخيالي النومي هو البرزخ بين الموت والحياة. فإن النائم لا حي ولا ميت،بل له وجه إلى الموت ووجه إلى الحياة،وفي هذه المرتبة يرى الإنسان ربه متصوراً بصور المحدثات،ومنه ما ورد في الخبر عنه(رأيت ربي في صورة شاب أمرد له وفرة وفي رجليه نعلان،وعلى وجهه فراش من ذهب)[191]. فهو من صور البرزخ المسمى: بالخيال المقيد،ويرى الإنسان نفسه في مكان غير المكان الذي هو فيه، فهو في مكانين وهو هو لا غيره،وأمثال هذا من المحالات المنامية،والكل صحيح »[192].أما " البرزخ الخيالي الذي تنقل إليه أرواحنا بعد الموت الطبيعي وهو المسمى بالصور في قوله تعالى (فإذا نفخ في الصور)[193] وبالناقور في قوله تعالى (فإذا نقر في الناقور) [194]، فانه مثل المراتب المتقدمة في كون صوره خيالية وكل ما ندركه في البرزخ من نعيم لأهله وعذاب لأهله فإنما يدركونه بادراكات هذه الصور البرزخية الخيالية"[195].

إن الخيال بكل أنواعه وأشكاله يعتبر من المفاهيم المحورية في فلسفة الأمير وفي رؤيته للوجود وللموجود،والخيال عنده هو المسرح الأكبر لظهور الاختلافات على المستوى الإلهي أو على المستوى البشري.

---

188 - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق،ج 2 ص 529 .

189 - نفسه، الموقف السادس عشر بعد الثلاثمائة ،ج226 ج2.

190 - نفسه ،ج 2 ص 529 – 530.

191 - هذا الحديث صححه الحسن بن بشار وأبو يعلى،انظر طبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى،تحقيق وتقديم وتعليق الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، 1419م،الرياض، الطبعة الأولى 1999م، ج2ص59،وصححه وابن تيمية في (بيان تلبيس الجهمية،طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،1426هـ ،ج7ص290، 356.

192 - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ،ج 2 ص 531.

193 - سورة المؤمنون الآية101.

194 - سورة المدثر الآية 8.

195 - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ،الموقف الخامس والثلاثون بعد المائتين ص419ج1.

قاعدة: الصورة كعلامـــة لتجلـــيات الاختلاف.

العلاقة بين الخيال والصورة/ أهمية الصورة في الدراسات الأنتروبولوجية / تعريف الصورة عند الأمير/ أنواعها/ وظيفتها/ علاقة مفهوم الصورة بفلسفة الاختلاف عند الأمير.

فإذا كان الخيال هــو أهــم مفتاح لفك شفرة " فلسفة الاختلاف" عند الأمير عبد القادر،فإن الصورة هي منتوج هذا الخيال وسلعته وهي الامتداد الوظيفي له،لأن الخيال المنفصل الإلهي– في غنوصية الأمير– هو الذي يتجلى في صورة الخلق والخيال المتصل الإنساني هو الذي يقيد الحق بالصورة،فهنالك إذن إحالة متبادلة بينهما،فلا خيال بدون صورة ،كما أنه لا صورة بدون خيال– وبلغة مارتن هايدجر– يمكننا القول إن هذا المضمون يحمل دلالة الانتماء المتبادل *coapartenance*، فما الصورة والعلامة والأسطورة في التحليل الأنتروبولوجي إلا من المفاهيم الحافة والمحيطة بمفهوم الخيال– كما كشف ذلك–جيلبار ديران *Gilbert Durand* في كتابه المخيال الرمزي *L'imagination symbolique*[196].

ولقد تنوعت التحديدات النظرية والاجتهادات الأنتروبولوجية حول موضوع الصورة من"الصور الثقافية"إلى" الصور النمطية" إلى"الصور الأسطورية" من مثل تنظيرات وتحديدات–ديران *Durand* ،وجون ويرينبورجر *Wurembutger*، وجون بول سارتر– وخصوصا مقولات الناقد الفرنسي المقارن – دانييل هنري باجو *D.H.Pageaux*.

ولقد اعتبرت مسألة الصورة في تاريخ الفكر المعاصر إحدى أهم القضايا التي طرحت في العلوم الإنسانية منذ نيتشه وهوسرل هايدغر وسارتر وميرلوبونتي ثم فيما بعد من قبل فوكو ودريدا ودولوز،أو في ما سمي اختزالا بفكر الاختلاف وارتبطت الصورة بمبحث جديد يسمى بعلم الصور أو الصوراتية *imagologie* الذي يهتم بالأساس بالتصورات التي ينتجها النص أدبيا كان أو فكريا وفلسفيا عن الآخرين[197].

---

[196] - *Gilbert Durand ,L'Imagination symbolique, Paris , PUF,1re édition en 1964 , p2.*

[197]- فريد الزاهي،ابن عربي الصورة والأخر، المنشور *في موقع*

http://www.ibnalarabi.com/forums/printer_friendly_posts.asp?TID=3575

وتلعب الصورة[198] دورا بنيويا بارزا في تصوف الأمير عبد القادر الجزائري فهي تخترق كل خطابه العقائدي. لأن الله الذي أمن به الأمير عبد القادر هو– من ناحية الذات– إله منزه عن كل صورة ، لكن ومن ناحية الأسماء والصفات فهو إله له صورةٌ بل له صورٌ لا تحصى كثرة[199] والإنسان نفسه في عقيدة الأمير الجزائري مخلوق على الصورة الإلهية" لأنه تعالى على صورته خلقه كما ورد أن الله خلق آدم على صورته بإرجاع الضمير إلى الله يؤيده الرواية الأخرى وقد صححها بعض الحفاظ على صورة الرحمن" [200] بل عنده"إنما العالم جميعه على صورة الحق"[201]

ولقد سبق الشيخ الأكبر أميرنا بهذا حين أكد في فصوصه أن" كل ما سوى الله قد ظهر على صورة موجوده،فما أظهر إلا نفسه،فالعالم مظهر الحق على الكمال ... ثم أن الله اختصر من هذا العالم مختصراً مجموعاً، يحوي على معانيه كلها من أكمل الوجوه سماه آدم،وقال أنه خلقه على صورته" [202]"فالعالم كله في صور مُثُل منصوبة ،فالحضرة الوجودية إنما هي حضرة الخيال. ثم تُقَسِّم ما تراه من الصور إلى محسوس ومتخيل والكل متخيل"[203].

وليست الصورة عند الأمير الجزائري إلا نفس أسماء الله الحسنى المتجلية الظاهرة في الكون يقول و« ليست الصور المحسوسة المشهودة كائنة ما كانت،روحانية أو مثالية أو جسمانية،إلا أسماء الحق تعالى وهي معان اجتمعت ، فحصلت منها هيئة اجتماعية،فكانت صورة محسوسة،كما تقول اجتمعت البرودة واليبوسة،فكانت صورة التراب،واجتمعت البرودة والرطوبة فكانت صورة الماء مثلا والعالم كله هكذا ،الناس وغيرهم»[204].

وأنواع الصور عنده ثلاثة أنواع وكل نوع ينقسم بدوره إلى أنواع كثيرة جدا فهنالك الصورة الحسية التي قيدها الحس بالعين وهنالك الصورة العقلية التي قيدها العقل بفكره وهنالك الصورة الخيالية التي شكلها الخيال بتصوره.فالصورة تسري في الكون كله ووظيفتها الوجودية تتمثل في حل مأزق

---

[198]- في اللغة صَوَّرَهُ جعل له صورة وشكلاً.صَوَّرَ الأمرتمَثَّلَ صورته و وصفه وصفاً دقيقا.صُورَةٌ كل ما يُصَوَّر من شكل وتمثال مجسم.صورة الشيءخياله في الذهن أو العقل وفي علم المنطق التَّصَور هو إدراك المفردات أي معنى الماهية دون الحكم عليها بنفي أو إثبات،عكسه التصديق.و في علم النفس التَّصَور هو استحضار صورة شيء محسوس في العقل دون التصرُّف فيه وردت لفظة الصورة في القرآن الكريم (8) مرات على اختلاف مشتقاتها،منها قوله تعالى: وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ » انظر، محمد الكسنزان الحسني،موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان ، الطبعة الأولى، دار آية بيروت ودار المحبة بدمشق1426هـ2005م، مبحث الصورة،والمعجم العربي الأساسي، لاروس،المنظمة العربية للتربية والثقافة،دار الكتب العلمية، لبنان،ص 755.

[199]- إثبات الصورة لله متفق عليه بين جميع الطوائف الإسلامية وحتى الديانات الأخرى تثبت الصورة لله ومع اختلاف كبير طبعا في تأويل الصورة الإلهية.

[200]- الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ،الموقف ثلاثمائة وثمانية وخمسين ج2ص414.

[201]- نفسه، الموقف ثلاثمائة وثمانية وخمسين ج2ص414.

[202]- ابن عربي،فصوص الحكم،تحقيق أبو العلاء عفيفي،دار الكتاب العربي،بيروت، الطبعة الثانية، 1980م، ص 49.

[203]- فصوص الحكم، مرجع سابق،ج 3 ص 470 .

[204]- الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق،الموقف الثاني والثمانون ص142 ج1.

المفارقة بين الإلهي والإنساني والطبيعي. من خلال التوحيد بين المتضادين،كما أن العوالم كلها العلوية والسفلية في هذه الدنيا أو في الآخرة ما هي إلا صور متعاقبة متحولة متبدلة متغيرة لا تستقر على حال فهي كثيرة و" ليس في العالم علوا وسفلا دنيا وأُخرَى إلا صورا تعقب صور"[205]

والله نفسه في عقيدة الأمير متحول في الصورة وعنده لقد " ثبت أنه تعالى يتحول في الصور يوم القيامة ثبت ذلك شرعا كما جاء في الصحيحين و أنه تعالى يتجلى لشهود الأمة وفيهم ومنافقوها فيأتيهم في ادني صورة فيقول" لهم أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيتحول لهم في صورة ادني من الأولى فيقول لهم أنا ربكم فيقولون أنت ربنا " الحديث والذي أنكروه أولا هو الذي اقروه به آخرا وما زالت عنه تلك الصورة التي تحوله في الصور كشفا في الدنيا عند العارفين به ما يختل عليهم شيء من ذلك لا في البرزخ ولا في القيامة فيعرفون ربهم في كل صورة من ادني وأعلى"[206].تماما كما هو الأمر عند شيخه ابن عربي ، فالله "هو الكثير الواحد: الكثير بالصور الواحد بالعين"[207].

وكما يقرر الأمير أن « الصور المحسوسة هي عند التحقق نسب وإضافات واعتبارات،وهي أحكام الأعيان الثابتة في العلم والعدم المعدومة أبداً وأزلاً يظهر بها نفس الرحمن»[208] فالصورة إذن نسبة وإضافة واعتبار فقط،ووضعيتها الوجودية هي وضعية مزدوجة ومتناقضة– تشبه إلى حد بعيد وضع الخيال– فالصورة موجودة ومعدومة في نفس الوقت–معدومة من ناحية الذات لأن الذات الإلهية لا صورة لها مطلقا وهي موجودة من ناحية أسماء الله وصفاته لاعتبار إن الصورة هي الحاملة لهذه الأسماء الإلهية و يوضح الأمير وضعها قائلا" مثل الصورة الظاهرة في المرآة فلولا المرآة والمتوجه على المرآة ما ظهرت الصورة في المرآة والصورة خيال لا حقيقة له وإنما نسبنا الوجود للصورة مجازا لكونها ما ظهرت إلا بتوجه المتوجه على المرآة."[209] فهي" خيال إذا فتشتها لا تجدها شيئا"[210].

فالصورة بهذا التحليل حجابٌ، حجابٌ يحجبُ الذات الإلهية المقدسة هذا ناحية الذات لأن ذات الله المقدسة لا صورة لها عكس الأسماء الإلهية التي" تقتضي وجود الصور والذات تقتضى أعدمها فالعالم دائما بين هذين المقتضين فله في كل آن خلق جديد وان وجوده في انعدامه"[211].فالصورة حاملة

[205] - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ،الموقف الثامن والأربعون بعد المائتين ص485ج1.
[206]- نفسه، الموقف ثلاثمائة وثمانية وخمسين.
[207]- ابن عربي،فصوص الحكم، فص حكمة إيناسية في كلمة إلياسية، مرجع سابق،ص183.
[208]- المواقف،ج 1ص 88.
[209]- الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ،الموقف الرابع والستون،ج1 ص194.
[210]- نفسه، الموقف الثالث والستون، ص193ج1 .
[211]- نفسه،الموقف السادس والخمسون بعد الثلاثمائة ج2 ص357.

للحقيقة الإلهية الأسمائية، والأسماء الإلهية في عقيدته هي حجب عن هذه الذات المتخفية التي لا يعلمها أحد حتى الأنبياء. ومن هنا وقع الخلط بين الألوهية وبين الصورة...

ومن هنا بالذات خرج الشرك في العالم وظهرت المعتقدات والديانات عند بني البشر فعبد بعضهم الصورة وخفي عنه حقيقتها المنحجبة داخلها ،كما حدث للمسيحين مع المسيح فعبدوا صورة المسيح وما حدث لليهود مع عزير والوثنين مع أوثانهم وأصنامهم رغم أن الله نهى فقط عن اتخاذ صورة حسية له أما الصور الخيالية فهي جائزة عند الأمير" فانه تعالى إنما نهى عباده أن يتخذوا له صورة محسوسة كما يفعل عبدة الأصنام والأوثان وأما الصورة المتخيلة فقد أذن فيها بل رغب وأمر بالحضور مع المعبود في العبادة فحضرة الخيال يظهر فيها وجود المحال فان الله لا يقبل الصور وقد ظهر بالصورة في هذه الحضرة كما قبلها في تجليه يوم القيامة في صور المعتقدات فقد قبل المحال عقلا" [212]"والذين عبدوا ما عبدوا من دون الله ما قصدوا بعبادتهم إلا المظاهر التي حصروا الحق فيها وهي الصور المشهودة لهم وما عرفوا الحق الظاهر بتلك الصور وبغيرها فضلوا وأضلوا"[213].

أن فهم الاختلاف في فلسفة الأمير ينبغي أن يمر عبر تفهم وظيفة الصورة باعتبار أن الصورة في خطاب الأمير هي جسد برزخي خيالي وهي علامة كثرة ومغايرة ،لأنها محل وإحالة إلى غيرها،فهي مكان لتجلي الاختلاف والتنوع والتعدد بسبب الاختلاف والتنوع والتعدد الكائن في أسماء الله التي لا تحصى كثرة.

[212] - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ، الموقف ثلاثمائة وثمانية وخمسين.ج2ص254.
[213] - نفسه، الموقف الرابع والعشرون ،ج1ص76 .

قاعدة: التأويل المفتوح كآلية منهجية لشرعنة الاختلاف.

الألسنيات الحديثة و فتح الدلالة بين المدلول و الدال واعتبار اعتباطية العلاقة بينهما / تقاطع نظرية المعنى عند الصوفية مع نظرية النص الحديثة /الأمير يحرر النص المقدس من إحتكار المعنى ويفتح تأويل القرآن والسنة و يصحح كل القراءات والتأويلات / الأمير يتجاوز السياج الدوغمائي الفقهي المغلق المربوط بالمواضعة اللغوية / الأمير يُنَّظر للامحدودية التأويل و يعطى الشرعية الدينية والعلمية لاختلاف التأويلات.

لعل أهـــم إنجاز وأكبر طفرة معرفية أنجزتها العلوم الإنسانية الأنتروبولوجية والألسنية المعاصرة هي إرساء قاعدة اعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول"[214] وفتح المعابر بين اللفظ والمعنى وبين الكلمات والأشياء"وهي مسألة صار متفقا على وجودها في أي سيستام لغوي منذ سوسير" كما يقول كلود ليفي ستراوس[215] لأن"المعنى لا يكمن في الدال.إن تأويل المعاني إذن حركة لا تنتهي ولا تستطيع أن تصل إلى مدلول نهائي مطلق وهكذا فـــ"حركة المعنى"لا نهاية لها إن الصفة "اللعوب *playful*" أصبحت كلمة محببة ومستحسنة لدى النقد في فترة الثمانيات من هذا القرن"[216]

إن المعنى غير موجود أو متضمن في اللغة إنما هو متماد مع حركة اللغة ذاتها ويبين جاك دريدا بان معاني النص متناثرة عبر مساحته كلها ولكنها ستبقى وعلى نحو صاف معالم السنية لا احد يضمن المعنى الذي يسكن النص والذي يشكل حضوره،فالصلة بين المعنى والنص مقطوعة وان قصد المؤلف يذوب في حركة الدوال *Signifièes* والنص يرى كمدمر لمعناه الظاهري[217]. فالمعنى مبعثر وموزع عبر سلسلة كل الدوال ولا يستطيع وبسهولة أن يثبت في مكان ما،وليس حاضرا تماما وابدأ في أية علامة منفردة بل هو إلى حد ما نوع من الحضور والغياب المتحركين المرفرفين معا وبشكل دائم قراءة نص تشبه كثيرا اقتفاء اثر عملية هذه الرفرفة الدائمة أكثر من عملية تعداد حبات العقد[218] وتتضح الفوارق بين الدلالات في الفلسفة الكلاسيكية – والتراث الإسلامي عامة– وبين الدلالات في الفكر الألسني الحديث من خلال هذا المخطط .

---

[214]-كلود ليفي ستراوس،الإناسة البنيانية ،ترجمة حسن قبسي،مركز الإنماء العربي،1990،القسم الثاني،ص 129. خاصة كتاب فردناند دو سوسير دروس في الألسنية العامة.

[215]- كلود ليفي ستراوس،الإناسة البنيانية ،ترجمة حسن قبسي ،مركز الإنماء العربي،1990 ،القسم الثاني ،ص 24.

[216]- مارتن غراي،معجم المصطلحات الأدبية ،ترجم أزراج عمر، مجلة التبيين ، العدد، 6، 1993، ص25.

[217]- مدان ساروب *Madan sarup*،ما بعد البنيوية ما بعد الحداثة ،ترجمة أزراج عمر،مجلة التبين، العدد، 6، 1993، ص26.

[218]- نفس المرجع، ص28.

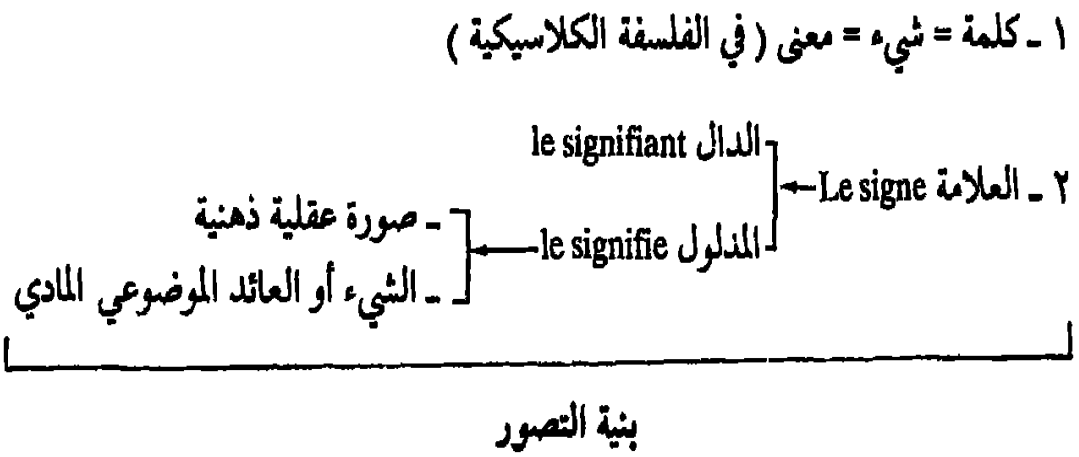

إن البحث في دلالات الخطاب وفق النظرية الألسنية الحديثة لم يصبح على أساس المؤلف ولا على أساس النص،بل طبقا لوعي القارئ،فشاعت تفكيكية جاك دريدا ومفاهيم الغراماتولوجيا[219] *Grammatologie*.، وانتعشت جماليات الاستقبال ونظرية التلقي على يد هولب، وبلغ هذا المنهج ذروته التفتيتية في شعار"النص رياضياً يساوي عدد القراء".فالتأويل هو بحث عن احتمالات المعنى،هو صرف اللفظ إلى معنى يحتمله[220]،وهذا ما فعله ابن عربي في تأويل شعره. غير أن مفهوم صرف اللفظ هذا هو في الحقيقة"اعتراف بأهمية اللفظ ودوره في إنتاج المعنى، وهذا هو مسوغ التأويل،كون اللفظ لا يحيل مباشرة إلى مرجعه،كون النص لا ينص على المراد بالتمام،وكون الكلام يخدع ويلعب من وراء المؤلف وعلى حساب الشيء الذي يتكلم عليه" [221].

ومن هنا نبذ اليقين المعرفي برفض المنطق التقليدي القائم على تطابق الدال والمدلول أي تطابق الأشياء والكلمات.وكما يقرر الدكتور هاشم صالح أن" فلسفة اللغة الحديثة المؤسسة على علم الألسنيات تختلف جذريا عن فلسفة اللغة الكلاسيكية المرتبطة بفقه اللغة التقليدي فالمجاز بالنسبة للنظرية التقليدية وقشرة أو حلة وغطاء خارجي لا أهمية له من الناحية المعنوية الأساسية فالكلمات تحيل مباشرة إلى الأشياء ولكل اسم مسمى خاص به دون غيره أما نظرية اللغة الحديثة فلا تعتقد

---

[219]- *terminologie propre au philosophe Jacques Derrida, qui serait comme une science générale de l'écriture .*

[220]- وردت لفظة في القرآن الكريم (17) مرة، منها قوله تعالى " وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ " سورة يوسف الآية 6. وهنالك فوارق بين تفسير الكلام وبين تأويله ا يقول السيوطي التفسير" من الفسر وهو البيان والكشف، ويقال هو مقلوب السفرُ، تقول أسفرَ الصبح إذا أضاء،وقيل هو مأخوذ من التفْسِرة، وهي اسم لما يعرف الطبيب به المريض،أما التأويل أصله من الأول، وهو الرجوع فكأنه صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني، وقيل من الإيالة وهي السياسة كأن المؤول للكلام ساس الكلام ووضع المعنى في موضعه" جلال الدين السيوطي،الإتقان في علوم القرآن، المكتبة الثقافية،بيروت،ج2، 1973، ص 173.

[221] -علي حرب،الممنوع والممتنع،نقد الذات المفكرة، الطبعة الأولى،المركز الثقافي العربي،بيروت،الدار البيضاء، 1995م،ص53.

بإمكانية إقامة علاقة مباشرة بين الكلمات والأشياء وإنما هي علاقة وسائطية فالشئ قد يكون له أكثر من اسم في أكثر من لغة ثم إن الاسم يحيل إلى صورة الشئ في الذهن (أي المرجع) لا الشئ ذاته وبالتالي فالمجاز لا يمكن أن يحول بمثل هذه السهولة إلى لغة أحادية المعنى أو أحادية الجانب كما فعل الفقهاء الأرثوذكسيون عندما فسروا القرآن وحولوه إلى قوانين وأحكام وقوالب جامدة وثابتة وجوهرانية قالوا أن هذا هو المعنى الوحيد وما عداه باطل"[222]

أما المدرسة الصوفية فإنها تتقاطع مع نتائج وأبحاث الألسنية الحديثة في مسألة فتح العلاقة بين الدال والمدلول،يقول الإمام أبو حامد الغزالي "والذي تنكشف له الحقائق يجعل المعاني أصلا والألفاظ تبعا وأمر الضعيف بالعكس إذ يطلب الحقائق من الألفاظ "[223].

لأن اللغة الصوفية لغة تجاوزية منفتحة على هاجسها الإلهي،والإلهي يحضر في كل شيء، فاللغة عند المتصوفة صارت تجربة وليست مجرد وسيلة إبلاغ فقط يقول نصر حامد أبو زيد" وإذا كان فهم الفقهاء–أهل الظاهر– للخطاب القرآني لا يتجاوز حدود الدلالة الوضعية للغة في بعدها الإنساني،فالعارفون وحدهم (الصوفية) هم القادرون على النفاذ إلى ما يشير إليه الخطاب الإلهي من معان ودلالات عميقة باطنه"[224] ويقول"ومن هنا تأكيد أن المتصوفة لا يتصورون انفصالا تماما بين أو تعارضا بين الظاهر والباطن أو بين العبارة والإشارة في بنية الخطاب بل التعارض وهم من أوهام أهل الظاهر والفقهاء"[225]

فالمدرسة الصوفية تخالف المدارس الإسلامية الأخرى التي تضع حدا صارما للتأويل النصوص وتربطه بحد المواضعة اللغوية وهذا ما يفسر الصراع القديم الجديد بين المتصوفة والفقهاء. يقول أبو العلا عفيفي:« التأويل شيء،والتفسير شيء آخر. التفسير شرح معاني الألفاظ وتوضيحها.والتأويل: توجيه ألفاظ النصوص إلى معانٍ غير تلك التي يدل عليها ظاهرها... المفسر يأخذ من اللفظ معناه الحقيقي،في حين يعطيه المؤول معنى مجازياً، ويعتبره مجرد إشارة أو رمز لهذا المعنى»[226]

في الاصطلاح الصوفي يشرح الشريف الجرجاني معنى التأويل بأنه « في الأصل الترجيع،وفي الشرع صرف الآية عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقا

---

[222]- محمد أركون،الفكر الإسلامي نقد واجتهاد،ترجمة وتعليق هاشم صالح،دار الساقي،1990،ص 206. ولو أن الشيخ الأكبر والأمير عبد القادر ينكران معا وجود المجاز في اللغة العربية.

[223] - أبو حامد الغزالي مشكاة الأنوار، تحقيق أبو العلا عفيفي، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، 1964،ص65.

[224] - نصر حامد أبو زيد،هكذا تكلم ابن عربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،2003م،ص 140.

[225] - نفس المرجع، ص141.

[226]- إبراهيم بيومي مدكور،الكتاب التذكاري (محي الدين بن عربي) في الذكرى المئوية الثامنة لميلاده،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1969م،ص 8،9.

بالكتاب والسنة،مثل قوله تعالى(يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ)[227] إن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيرا،وإن أراد إخراج المؤمن من الكافر أو العالم من الجاهل كان تأويلا»[228].

وبهذا المنظار تعامل الصوفية مع النص،فاعتبروا القرآن الكريم نصا كأبدع ما تكون عليه النصوص،ولم يربطوا حدود تأويل كلام الله كما فعل الفقهاء بالمواضعة اللغوية أو بما تواطأ عليه أهل لسان العرب إنما جعلوا دلالات الكلام مرتبطة مباشرة بمقاصد المتكلم وفرقوا بين فهم الكلام والفهم عن المتكلم .

يقول الشيخ الأكبر في الفتوحات المكية" واتَّقُوا الله وَيُعَلِّمُكُمُ الله معناه أن يفهمكم الله معاني القرآن فتعلموا مقاصد المتكلم به لأن فهم كلام المتكلم ما هو بأن يعلم وجوه ما تتضمنه تلك الكلمة بطريق الحصر مما تحوي عليه مما تواطأ عليه أهل ذلك اللسان وإنما الفهم أن يفهم ما قصده المتكلم بذلك الكلام هل قصد جميع الوجوه التي يتضمنها ذلك الكلام أو بعضها فينبغي لك أن تفرق بين الفهم للكلام أو الفهم عن المتكلم وهو المطلوب فالفهم عن المتكلم ما يعلمه إلا من نزل القرآن على قلبه وفهم الكلام للعامة فكل من فهم من العارفين عن المتكلم فقد فهم الكلام وما كل من فهم الكلام فهم عن المتكلم ما أراد به على التعيين إما كل الوجوه أو بعضها"وبهذا أصبح كلام الله تعالى مفتوحا على جميع التأويلات،لأن كلام الله هو علمه تعالى وعلم الله مطلق لا نهاية له فكلام الله لا نهاية لتأويله.وجميع التأويلات صحيحة وشرعية في موضعها" [229] .

ففي نظرية الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي إن فهم معاني- كلام أي متكلم- ليس محصورا في وجوه الدلالة اللغوية التي اتفق عليه أهل ذلك اللسان.

إنما الفهم الحقيقي لمعاني كلام المتكلم- عند الشيخ – هو أن يفهم القارئ ما قصده المتكلم بذلك. فالمعنى ليس بالضرورة متضمن داخل جسد اللغة،فقد يكون المعني يسكن في قلب المتكلم، والقارئ العارف هو من يفهم عن المتكلم وليس الكلام فحسب.

وداخل هذه النظرية يتأطر الأمير الجزائري فقد صرح هو أيضا قائلا " كلام الحق تعالى وكلام رسوله بحرٌ زاخرٌ ما له ساحل، فكل ما فهمه الخلق في كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه واله وسلم الذي هو كلام الله على لسانه لأنه (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى)[230]هــو

---

[227]- الأنعام الآية 95 .

[228]- الشريف الجرجاني،التعريفات، تحقيق جماعة من العلماء بإشراف الناشر،دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى. 1403هـ-1983م. ص 52 .

[229]- وتكاد أقوال محققي الصوفية تجمع على هذا المعنى وأذكره هنا نصين رائعين يلخصان لا محدودية التأويل ولانهائيته في النظرية العرفانية الصوفية .

"Le mot est comme le nid et l'oiseau en est le sens "- Djalal Eddine Erroumi

"Chaque fleur a son parfum et chacun a sa force d'odorer. Celui qui nie que la fleur exhale une odeur serait plus sage de reconnaître que c'est lui qui n'a pas d'odorat" Cheikh Adda Bentounès.

[230] - سورة النجم الآية 3/4.

مـــراد ومقصود وان خالف الحق ظاهرا فانه كما قال (يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا)[231] .فالضلالة مقصودة وما يطلق عليه اسم الخطأ مقصود فالكل عطاء الله (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا)[232] " [233].

في هذا النص يتجاوز الأمير عبد القادر ألية إنتاج المعنى وقواعد تشكيل الخطاب ويخرق سلطة النظرية البيانية التي يؤمن بها الفقهاء أهل الظاهر،ويدشن أكـــبر عملية تفجير للأنساق المغلقة والمحدودة بحدود المواضعة اللغوية،مشبها القرآن الكريم بالبحر المتلاطم الذي لا حد له ولا ساحل،فاتحا تأويل النص القرآني على مصرعيه،ومعتبرا أن كل ما فهمه الناس في- كلام الله تعالى وكلام رسوله–هو فهم صحيح ومراد لله ومراد لرسوله،حتى ولو كان هذا الفهم والتأويل مخالف للحق ظاهرا، وذلك كي لا تتعطل أسماء الله تعالى الحسنى التي من ضمنها الاسم الإلهي الضال والمضل،فالخطأ عطاء الله كما الضلالة تماما،وعطاء الله ليس محظورا،فالله يمد الكل بعطائه حتى للضالين وللمخطئين.

وهذه النظرية هي الخاصية الأكثر أهمية وخطورة في مشروع الأمير لأنه يضع بها حدا فاصلا لصراع التأويلات التي أنهكت تاريخ المسلمين المذهبي والسياسي[234].

ويصالح بين تلك التأويلات كلها ويعتبرها شرعية وصحيحة ومرادة للشارع المقدس.لأن احتكار المعنى يؤدي حتما إلى ظهور السياجات الدوغمائية وينتج الديكتاتوريات بكل أنواعها. إحتكار المعنى وتحديده معناه احتكار القراءة والمرجعية التي مآلها في الأخير إلى الاستبداد والتعصب وادعاء امتلاك كل الحقيقة "إذا كانت أحادية المعنى هي خداع على المستوى المعرفي فان مالها الاستبداد السياسي والاضطهاد الديني والإرهاب العقادي أو الفكري كما يشهد على ذلك تاريخ الأديان والإيديولوجيات قديما وحديثا وكما يقرا النصوص أهل العقائد والمذاهب والباحثون عن الأصول من النص الديني الإنجيلي أو القرآني حتى النص الماركسي فالتعامل مع النصوص بوصفها مساحة مقفلة ونظاما مغلقا على ذاته وجد ترجمته في الأنظمة الكليانية التوتاليتارية وذلك حيث يتماهى الكل مع الواحد الأحد ويطغى الجمعي على الفردي وأحادية المعنى تعنى حقا امبرياليته من هنا فان قراءة النصوص قراءة أحادية تبحث عن معنى وحيد هو المعنى الأصلي الذي يحتمله الكلام والذي ينبغي العثور عليه والتماهي معه وتجسيده قد وجدت ترجمتها في الحروب الدينية والفتن المذهبية والتصفيات العقائدية"[235]

---

[231] - سورة البقرة الآية 26.

[232] - سورة الإسراء الآية 20.

[233]- الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ،الموقف الخامس والثمانون، ج 1ص147.

[234]-"وإجمالا يمكن القول بأن وجوه التأويل في تاريخ الإسلام الإيديولوجي قد تشكلت حول جدلية الصراع بين الظاهر والباطن " يخلص الباحث سالم بنحميش ،في كاتبه التشكيلات الإيديولوجية في الإسلام الاجتهادات والتاريخ ،تقديم ماكسيم ردنسون وعبد عزيز الحبابي،دار المنتخب العربي للدراسات والنشر،الطبعة الأولى،1993،ص13.

[235]- على حرب، نقد الحقيقة، المركز الثقافي العربي،الطبعة الثانية1995،ص 27.

والأمير بنظريته في فتح النص الإلهي على جميع التأويلات يرفع التنازع بين التأويلات ويشرع للتنوع وللاختلاف ويقر التمايزات في القراءات والفهوم، ولا يجعلها فقط حقّا من حقوق الإنسان،بل يجعل الأمير جميع التأويلات مقصدا من مقاصد من الله.

الخلاصة الأمير عبد القادر الجزائري استعاب جيدا أهمية الاختلاف على المستوى الأنطولوجي،أما على المستوى الإبستمولوجي فان الأمير اعتبر أن اللغة هي بحد ذاتها نظام من الاختلافات.ويكون الأمير بذلك قد أسس قراءة النص القرآني على قاعدة الاختلاف.

قاعدة: تسويغ وتبرير الاجتهاد في أصول العقائد والديانات.

إنفراد الصوفية بتجويز الاجتهاد في أصول العقيدة وفروعها / الأمير عبد القادر يؤسس للاختلاف العقائدي والثقافي من خلال إقرار قاعدة تعميم الاجتهاد.

تعتبر قاعدة تجويز وتبرير الاجتهاد في أصول العقيدة من أهم القواعد التي يتأصل فيها الاختلاف في الفكر الصوفي الأكبري،وتتأسس عليها فلسفته،خلافا لباقي الفرق الإسلامية الأخرى التي تحرم الاجتهاد في العقيدة وفي أصولها. يقول الشيخ الاكبر محي الدين ابن عربي في الفتوحات المكية شارحا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم المتفق عليه الذي يقول فيه" إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر" [236]–: "و لهذا قرر صلى الله عليه و سلم حكم المجتهد سواء أصاب أو أخطأ بعد توفيته حق الاجتهاد جهد طاقته وما رزقه الله من قوة النظر في ذلك و قرر له الأجر مرة واحدة إن أخطأ و مرتين إن أصاب فاعلم أن المجتهد قد يخطئ ما هو الأمر عليه في نفسه و مع هذا قد تعبده به وأعطاه على ذلك أجر الاجتهاد لما فيه من المشقة لأنه من الجهد والجهد بذل الوسع خاصة فإن الله ما كلف عباده إلا وسعهم في نفس الأمر و لم يخص صلى الله عليه و سلم في الاجتهاد فرعا من أصل بل عم فمن خصص ذلك بالفروع دون الأصول فهو من الاجتهاد أيضا تخصيص ذلك وتعميمه وكلاهما مأجور في اجتهاده" [237] .ويقول ابن عربي"وحكم الاجتهاد في الأصول والفروع واحد"[238].

---

[236]- رواه البخاري في صحيحه باب الاعتصام بالكتاب والسنة (7352), ومسلم في صحيحه باب الأقضية (1716), وأبو داود باب الأقضية (3574), وابن ماجه في باب الأحكام (2314), وأحمد في مسنده 4/204.

[237]- ابن عربي،الفتوحات المكية ،دار صادر،بيروت، تصوير دار صادر بيروت عن طبعة بولاق ، القاهرة ،سنة 1293هـ الباب الثامن و التسعون و مائة.ج2ص132.

[238]- نفسه ،الباب الثامن و الثمانون في معرفة أسرار أصول أحكام الشرع،ج1ص245.

واستعاد الأمير عبد القادر قاعدة شيخه ابن عربي الحاتمي من أن المجتهد في الأصول العقائدية مأجور إن أصاب ومعذور إن أخطأ إذا بذل كل وسعه في صدق الاجتهاد وأكد الأمير هذه الفكرة وبسطها شرحا وبيانا حين يقول" إن المجتهد إذا أصاب ما هو الحكم عند الله في النازلة ووافق ما في نفس الأمر، كان له أجران، أجر الاجتهاد وأجر الإصابة،وان اخطأ ما هو الحكم عند الله تعالى وما وافقها في نفس الأمر كان له اجر واحد،وهو اجر الاجتهاد،فليست الإصابة إلا في الباطن،وهي موافقة ما عند الله تعالى في النازلة،وليس الخطأ إلا في الباطن وهو عدم الموافقة لما هو الحكم عند الله تعالى في النازلة،وأما في الظاهر فالكل مصيب لان الشارع قرر حكم كل مجتهد ولو كان خطأ المجتهد في الظاهر ما قرره الشارع،ولما جعله دينا مشروعا يتدين به المجتهد ومن قلده،ولما كان له أجر،بل يكون عليه وزر،فكل مجتهد مصيب في الظاهر، حيث انه بذل وسعه وأدى ما كلف به في طلب الحكم الحق في النازلة،وأما في الباطن فالمصيب واحد لا بعينه من المختلفين"[239].وقال معلقا على حديث الحاكم المجتهد أنه" أعم في الحاكم المجتهد في الفروع الشرعية،أو الأصول العقلية الإعتقادية،إذ لا فرق بينهما عند العارفين بالله تعالى،أهل الكشف والوجود،فإن كل واحد من المجتهدين في الفروع والأصول فعل ما كلف به، وبذل وسعه، فوصل إلى ما أداه اجتهاده " لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا"[240] و"لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا" [241].وقد أنكر عامة أهل السنّة والمعتزلة،غير أهل الكشف،القول بأن كل مجتهد في الأصول الإعتقادية مصيب،ونسبوه إلى الكفر،وقرره العارفون بالله،وهو الحق،وقالوا المجتهد في العقليات،إذا وفىّ النظر حقّه وأخطأ فهو معذور،ويريدون المجتهد نفسه لا من قلّده ووافق العارفين بالله تعالى أبو الحسين البصري والجاحظ من المعتزلة"[242], يؤكد الأمير أيضا هذه القاعدة الأساسية المزيلة لكل تعصّب قائلا "وأهل الله العارفون به مجمعون على أن المجتهد في الأصول وهي المسائل التي لا تكفي فيها إلا القطع أعنى العقائد العقليات معذور، كما هو في الفروع، وهي المسائل التي لا تكفي فيها غلبة الظن،وهي العمليات،ووافق أهل الله حجة الإسلام الغزالي نظرا في كتابه" التفرقة بين الإيمان والكفر والزندقة"، وإلا فهو من أكابر أهل الله، ووافقهم أبو الحسين العنبري والجاحظ من المعتزلة" [243].وإذن الأمير عبد القادر الجزائري يؤيد نظرية المحققين الصوفية الكبار في تعميم قاعدة الاجتهاد،ويرى أن الكل مجتهد مصيب. وتبني قاعدة جواز الاجتهاد في الأصول وفي الفروع معناها قبول جميع التأويلات واحترام جميع الاجتهادات،والنظر إلى المختلف ثقافيا ودينيا ومذهبيا مجتهدا مأجورا،ومن النتائج المباشرة لهذه القاعدة،اعتبار أن كل فرق المسلمين،وكل فرق النصارى،وكل فرق اليهود،وكل أصحاب الإيديولوجيات والمذاهب والأفكار،وكل

---

[239] - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ،الموقف الواحد والعشرون بعد المائة،ج1ص224.
[240] - سورة الطلاق الآية 7.
[241] - سورة البقرة الآية 286
[242] - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق الموقف الواحد والعشرون بعد المائة،ج1ص224.
[243] - نفسه،ج1ص407.

أصحاب الثقافات والحضارات الأخرى مجتهدون مأجورون بأجرين إن أصابوا، وهم مجتهدون مأجورون أجرا واحدا أيضا إن أخطؤوا.بل الأمير عبد القادر يذهب بعيدا في إقرار الاختلاف والقبول بالأخر المختلف حينما يعتبر حتى المشركين الوثنيين أيضا مجتهدون،فحتى ذلك المشرك يعتبر مجتهدا معذورا يقول الأمير"وإذا كان الشرك بعد النظر والاجتهاد وبذل الطاقة فاداه نظره القاصر إلى الشرك فهذا لا نص في القطع انه لا يغفر له قال تعالى ومن يدع مع الله اله أخر لا برهان له به عند ربه[244]وهذا برهان في زعمه وان كان ليس ببرهان في نفس الأمر فان النظر الصحيح المستوفي الشرائط لا يصل به صاحبه إلى الشرك كيف وقد قال تعالى لا يكلف الله نفسا إلا وسعها [245]وقال تعالى لا يكلف الله نفسا إلا ما أتاها[246] وهذا عمل جهده وبذل وسعه"[247]. وقاعدة تسويغ وتبرير وتعميم الاجتهاد تحيلنا مباشرة إلى قاعدة أخرى متفرعة عنها هي قاعدة مشاهدة الحق في الاعتقادات والثقافات الأخرى.

قاعدة: مشاهدة الحق في اختلاف العقائد والثقافات.

الله عند الأمير متجلى في عقائد جميع الخلق وفي كل ثقافاتهم / العارف الصوفي هو وحده من يشاهد الحق في اختلاف الديانات والثقافات.

وهي القاعدة المتوجة للقواعد السابقة وهي مشاهدة الحق تعالى في كل اعتقاد، انطلاقا من أن متصوفة وحدة الوجود يعتقدون في الله كل معتقد إذ لا يخلو عندهم منه تعالى وجه في كل شيء هو حق ذلك الوجه فخلو وجه الحق عن شيء من العالم محال عندهم.متكئين على قوله تعالى" وَلِلَّهِ المَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ "[248].وقد عبر عنها الأمير عبد القادر في الموقف السادس والأربعون بعد المائتين الذي افتتحه بقوله تعالى: "قُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ"[249]

يقول الأمير" فإلهنا وإله كل طائفة من الطوائف المخالفة لنا واحد وحدة حقيقية ... وإن تباينت تجلياته ما بين إطلاق وتقييد وتنزيه وتشبيه. وتنوعت ظهورا ته، فظهر للمحمديين مطلقا عن كل صورة في حال ظهوره في كل صورة من غير حلول ولا اتحاد ولا امتزاج،وظهر للنصارى مقيدا بالمسيح والرهبان،ولليهود في عزير والأحبار،وللمجوس في النار،وللثنوية في النور والظلمة،وظهر

---

[244] - سورة المؤمنون الآية 117.
[245] - سورة البقرة الآية 286.
[246]- سورة الطلاق الآية 7
[247]- الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق الموقف الثامن والعشرون بعد المائتين ،ج1ص407.
[248] - سورة البقرة الآية 115.
[249] - سورة العنكبوت الآية 46.

لكل عابد شيء من ذلك الشيء من حجر وشجر وحيوان ونحو ذلك،فما عبد العابدون الصور المقيدة لذاتها، ولكن عبدوا ما تجلى لهم في تلك الصورة من صفات الإله الحق – تعالى– فالمقصود بالعبادة واحد من جميع العابدين، إلاّ أنّ تجليه يتنوع بحسب استعداد المُتَجَلىَّ لهُ،والمتجلي تعالى واحد في كل تنوع وظهور ما تغير من الأزل إلى الأبد. فاتفقت جميع الفرق في المعنى المقصود بالعبادة، فالكل مسلمون للإله الواحد فليس في العالم جاحد للإله مطلقا من طبائعي ودهري وغيرهما،وإن فهمت عباراته غير هذا فإنما ذلك لسوء التعبير. فالكفر في العالم كله إذن نسبي" [250].

ويقول الأمير الجزائري في مشاهدته للحق متجليا في اختلاف العقائد وتعدد الديانات والملل والنحل.

أنا العابد المعبود في كل صورة فكنت أنا ربا وكنت أنا عبدا
فطورا تراني مسلما أي مسلم زهودا نسوكا خاضعا طالبا مدا
وطورا تراني للكنائس مسرعا وفي وسطي الزنار أحكمته شدا
أقول باسم الابن والأب قبله وبالروح روح القدس قصدا لا كيدا
وطورا بمدارس اليهود مدرسا أقرر توراة وابدي لهم رشدا
فما عبد العزيز غيري عابد ولا اظهر التثليث غيري ولا ابدا
أنا عين كل شئ في الحس والمعنى ولا شئ عيني فاحذر العكس والطردا[251]

ومعاني هذه الأبيات مطابقة لأبيات أخرى مشهورة للشيخ الأكبر محي الدين في ديوانه" ترجمان الأشواق" وهي قوله :

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي إذا لم يكن ديني إلى دينه دان
وقد صار قلبي قابلا كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت ركائنه فالحب ديني وإيماني [252]

وعند الأمير عبد القادر"لا يكون العارف كاملا حتى يشهد الإطلاق في التقييد والتقييد في الإطلاق في آن واحد"[253] " والعارف بالتجليات الإلهية الأسمائية يعرف تجلى الحق ولم تجلى وبم تجلى "[254] .

أي لا يكون العارف عارفا كاملا متحققا بالعلوم والمعارف حتى يشاهد الحق متجليا في اختلاف العقائد والديانات، كما أن مشاهدة الحق في اختلاف العقائد ليس معناه الإيمان تكافؤ الأديان

[250]- الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق،الموقف السادس والأربعون بعد المائتين، ،ج1ص443.
[251]- نفسه ،ج1ص 36 .
[252]- محيي الدين بن عربي الحاتمي،ترجمان الأشواق،بيروت،1966م،ص165.
[253]- الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ،الموقف الواحد والخمسون،ج1ص 103.
[254]- نفسه،ج2ص471.

الناسخة والمنسوخة والعقائد القويمة مع غيرها عنده،إنما قاعدة مشاهدة الحق متجلى في اختلاف العقائد هي تعبير عن شهود القهر الإلهي العام والإرادة النافذة للحق تعالى في خلقه سعيدهم وشقيهم،فهو الذي خلقهم وما يعملون وما يعتقدون،وجاعل كل حزب بما لديهم فرحين،فهو الهادي وهو المضل،وهو جاعل الظلمات والنور.وينبغي التمييز الواضح بين نظرية تكافؤ كل الأديان،وهو ما لا يقول به مسلم ولا متدين بدين آخر، ونظرية قبول الله تعالى لعبده المجتهد والباذل وسعه في طلب الحق ورضوانه،فهو مأجور إن أصاب ومعذور إن أخطأ،سواء في الأصول والفروع، وهذا ما يقول به الأمير وأمثاله من العارفين لأن القرآن يقرره، حسب فهمهم وكشفهم.[255] .

قاعدة: نسبية الحقيقة ورفع الخطأ المطلق والكفر المطلق.

رفع الخطأ المطلق وإقرار الخطأ الإضافي/الحقيقة مطلقة من وجه ونسبية من أخر في نظرية الأمير/ داخل نظرية المعرفة الصوفية الكفر المطلق والخطأ المطلق غير موجود في هذا العالم.

من أهم ما تميّزت به التجربة الصوفية،أنها تجربة استجلاء معرفي عن الحقيقة وبحث دؤوب عن الحق،والحقيقة عند صوفية وحدة الوجود ليست هي إلا الله جل جلاله،فالله عندهم هو الحقيقة المطلقة من حيث ذاته المقدسة المحجوبة عن الخلق،والله تعالى أيضا هو الحقيقة النسبية المتجلية الظاهرة في عالم الخلق من حيث صفاته الكثيرة المتعددة "فالحقيقة رب والصورة عبد" كما يؤكد الأمير[256]، لذلك فالمعرفة المطلقة لذات الله متعذرة أما صفات الله فيمكن مشاهدتها" في قوله تعالى لا يحيطون به علما[257]،وقوله تعالى ويحذركم الله نفسه[258]،فأراحنا من طلب ما يستحيل الوصول إليه...ولا يعلم تعالى،إنما يعلم ما منه من حيث أثار أسمائه"[259].ويضيف الأمير أن الله" الهو هو الحقيقة،الذي لا يدرى ولا يعرف ولا يسمى ولا يوصف،وهو غيب كل شهادة وحقيقة كل حق،لا يزول

[255] - عبد الباقي مفتاح،مقال،الأمير عبد القادر الجزائري والفتوة، المنشور في موقع .
-http://annales.univ-mosta.dz/ar4/meftah.htm
[256]- الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق المواقف، ج 1 ص 399.
[257] - سورة طه الآية 111.
[258] - سورة أل عمران الآية 28.
[259] - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ،الموقف التاسع والخمسون بعد الثلاثمائة ج2 ص424.

ولا يحول،ولا يذهب ولا يتغير» [260]،ويستطرد الأمير موضحا أن" الصفات هي المدركة،لأنها الظاهرة بآثارها فليس المدرك المشهود إلا الصفات لا الذات"[261].

فالحقيقة عند الصوفية وعند الأمير الجزائري هي مطلقة من وجه،وهي نسبية من وجه أخر،وهذا الإقرار بنسبية الحقيقة يؤدي حتما إلى التشريع للممارسة الحق في الاختلاف في فهم الحقيقة وفي تأويلها وتحقيقها.

وهذه النظرة المتميزة إلى الله والى العالم والى الإنسان،هي التي قادت الصوفية إلى تبني نوعية خاصة في المعرفة،معرفة قائمة على رفع الخطأ المطلق في العالم،وكل شئ فيها نسبي، وقابل للصواب والخطأ معا،هي معرفة لا خطأ مطلق فيها،الموجود فقط،هو الخطأ إضافي،لأنه منسوب إلى مقابله بمعنى انه خطأ بالتقابل وليس بخطإ مع عدم التقابل يقول الشيخ الاكبر محي الدين ابن عربي عن نظرية المعرفة الصوفية " وهذه المعرفة عزيزة المنال فإنها تؤدي إلى رفع الخطأ المطلق في العالم ولا يرتفع الخطأ الإضافي وهو المنسوب إلى مقابله فهو خطأ بالتقابل وليس بخطأ مع عدم التقابل فالكامل من أهل الله من نظر في كل أمرعلى حدة حتى يرى خلقه الذي أعطاه الله و وفاه إياه ثم يرى ما بين الله لعباده مما خرج عن خلق كل شيء فينزل موضع البيان من قوله ثُمَّ هَدى موضعه وينزل كل خلق على ما أعطاه خالقه فمثل هذا لا يخطئ ولا يخطئ بإطلاق في الأصول والفروع فكل مجتهد مصيب إن عقلت في الأصول والفروع"[262].

لذلك لم يُخّطئ الأمير عبد القادر تخطيئا مطلقا كل المخالفين بل كان يقر ويعترف إن إدراك الحقائق الإلهية ممكن" وعلى أي نحلة كانت من النحل لكن لا على الكمال ولا على ما يعطى السعادة " [263].

ويقول " فاتفقت جميع الفرق في المعنى المقصود بالعبادة، فالكل مسلمون للإله الواحد فليس في العالم جاحد للإله مطلقا من طبائعي ودهري وغيرهما،وإن فهمت عباراته غير هذا فإنما ذلك لسوء التعبير. فالكفر في العالم كله إذن نسبي" [264].فالحقيقة صورة الحق،والحق يرى في كل صورة والحقيقة تتعدد وتتباين تبعا لاجتهاد المجتهد فما أدَّى إليه اجتهادُه فهو الحقُّ في الأصول والفروع. في كل معتقد وفي كل ثقافة وفي كل حضارة و في كل دين.

---

[260] - نفسه،ج 2 ص 488.

[261]- نفسه، الموقف العاشر بعد المائتين ،ج1ص 377.

[262] - الفتوحات المكية،مصدر سابق، الباب السابع و السبعون و مائة في معرفة مقام المعرفة،ج2ص456.

[263] - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ،الموقف السابع والستون بعد المائتين،ج2ص49.

[264]- نفسه ،الموقف السادس والأربعون بعد المائتين، مرجع سابق،ج1ص443.

- **قاعدة:** شمول الرحمة ورفع العذاب عن الخلق كلهم يوم القيامة.

طمئنة الأمير للخلق كلهم أنهم إلى الرحمة الإلهية في النهاية سائرون.

من القواعد الرافعة والمخففة لحدة وشدة الاختلافات العقائدية والمذهبية والدينية بين بني البشر،قاعدة عموم الرحمة ونجاة الخلق كلهم يوم القيامة ورفع عذاب جهنم عنهم في نهاية المطاف،وهذه القاعدة متفرعة عن الرؤية العقائدية واللاهوتية التي انفرد بها الأمير عبد القادر وجماعة وحدة الوجود عن الله وعن الألوهية،التي تنطلق من أن لله تعالى صفات جمال وصفات جلال،وإن صفات الجمال هي المعبرة عن الحُسن والبهاء والسناء والرحمة والفيض والتجلي بالبركة والخيرات والبر والإحسان،مثل الرحمن الرحيم البر الغفور العفو العليم القادر الصادق العدل وغيرها.وصفات الجلال وهي المعبرة عن القهر والغضب الإلهي والشدة على المعاندين ،مثل المنتقم،شديد العذاب،القهار،والمتكبر والجبار.

وفي عقيدة الأمير عبد القادر ومحققي الصوفية أن صفات الجمال هي الأصل وهي التي تغلب وتنتصر وتسبق صفات الجمال في الأخير،متكئين على فهمهم وكشفهم وعلى ما جاء في الحديث القدسي الصحيح أن الله تعالى قال "وسبقت رحمتي غضبي[265].

ويربط الأمير بين فكرته في شمول الرحمة لجميع الخلق بنظريته في الأسماء الإلهية وتقابلها وغلبة أسماء الجمال للأسماء الجلال فيقول" من أراد أن ينظر إلى تبشير الحق تعالى عباده بسعة رحمته وإخبارهم تلويحا بل تصريحا لمن عقل بعموم عفوه وشمول رحمته فلينظر فيما جعله الله فاتحة لكلامه....والحمد هوهو الثناء على المحمود بصفاته الجميلة وليست إلا صفات الجمال كالحلم والعفو والستر والرحمة والكرم والإحسان لا صفات الجلال كالانتقام وشدة البطش والغضب فان الحمد من كونها صفات كمال"[266]. يقول الأمير شارحا قوله تعالى " والله يدعو إلى دار السلم ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم[267]" اخبر تعالى انه يدعو عباده من إنس وجن ،في الحال والاستقبال إلى دار السلام بمعنى السلامة وهي الرحمة المحضة العامة التي تعم العباد كلهم بعد نهاية الغضب الإلهي" [268].ويؤكد الأمير أن أكابر المحققين من الصوفية " تكلموا بشمول الرحمة وعموم السعادة لكل من دخل النار

---

[265]- صحيح البخاري, كتاب التوحيد, باب قول الله ويحذركم الله نفسه, رقم:6969 ، صحيح مسلم, كتاب التوبة, باب في سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه, رقم:2751 ، سنن الترمذي, كتاب الدعوات عن رسول الله, باب خلق الله مائة رحمة, رقم:3543 ،سنن ابن ماجه, كتاب الزهد, باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة, رقم:4295 ، مسند أحمد بن حنبل, 2/433 , رقم:9595.

[266]- الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ،الموقف التاسع والخمسون،ج1ص 112.

[267]- سورة يونس الآية 25.

[268]- الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ،الموقف الواحد والستون،ج1ص116.

كمظهر الصفة العلمية محي الدين الحاتمي وعبد الكريم الجيلي والقطب على وفا واضرابهم رضي الله عنهم ولا يظن أن القول بعموم الرحمة اختص به أهل الكشف فيكون قولهم خرقا للإجماع بل لا إجماع في هذه المسالة كما ستراه قال شرف الدين المناوي قال الحافظ شيخ الإسلام ابن تيمية انه قد جاء في بعض الآثار ما يدل على خلاص الكل أخرا وان النار تفنى ويزول عذابها نقل ذلك عن ابن عمر وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم واخرج عبد بن حميد بإسنادين رجالهما ثقاة لو لبث أهل النار كعدد رمل عالج لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه. وتداوله أئمة مقابلين له بالإنكار.قال (ابن تيمية) إنما أرادوا جنس أهل النار الذين هم أهلها أما قوم أصيبوا بذنوبهم فقد علموهم أنهم لا يلبثون قدر رمل عالج ولا قريبا منه ولفظ أهل يختص بمن عدا المؤمنين كما يشير إليه عدة أحاديث ولا يناقضه خالدين فيها وما هم منها بمخرجين بل ما اخبر به الحق هو الحق الذي لا يقع خلافه ولكن إذا انقضى اجلها وفنيت كما تفنى الدنيا لم تبق نار فلم يبق عذاب وورد في عدة طرق عن ابن عمر رضي الله عنهما ليأتين على جهم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها احد" وذلك بعد يلبثون فيها أحقابا وجاء نحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه واخرج عبد بن حميد عن الثقاة جهنم أسرع الدارين عمرانا وأسرعهما خرابا" واخرج ابن مردويه عن جابر رفعه في قوله تعالى فأما الذين شقوا ففي النار[269] قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان شاء الله أن يخرج أناسا من الذين شقوا من النار فيدخلهم الجنة فعل " اهـــ. فأين الإجماع، فما ظن الإجماع إلا من جهل الخلاف والنزاع،وقد ذكر ابن القيم هذه الأحاديث وصحح طرقها ورد طعن الطاعن فيها وهو من أئمة الحنابلة مشهور بالعلم والدين"[270] .ويبين الأمير الجزائري" أن عذابهم له نهاية مع بقاء جهم على حالتها من الأغلال والأنكال والنار والزمهرير،فما انفرد به رضي الله عنه(يقصد محي الدين ابن عربي)،بل قال به جماعة من أهل الحديث وأهل الكشف والأدلة في تسرمد العذاب على أهل جهنم كلها ظواهر وما هي نصوص لا تحتمل التأويل ولا إجماع في ذلك ولو ادعاه بعضهم فبقي الأمر محتملا والعلم عند الله "[271]، وأما عن أية " إن الله لا يغفر أن يشرك به[272]،يعلق الأمير ويشرح هذه الآية متأولا نصها قائلا " ما هو دليل نص على أن المشرك مطلقا يتسرمد عليه العذاب ابد الآبدين،وإنما دلت الآية على انه لا يغفره، بمعنى انه لا يستره ،بل لابد من عقوبته وتعديه ،وهل بعد التعذيب والعقوبة عفو وسماح أو لا ؟ وليس في الآية دليل على احدهما وما ثم نص يرجع إليه في تسرمد العذاب على أهله، كما هو في تسرمد النعيم لأهله، فلم يبقى إلا الجواز ودعوى الإجماع باطلة "[273]

---

[269] - سورة هود الآية 106.

[270] - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ،الموقف الخامس بعد المائتين،ج1ص360. وأشار الأمير إلى رفع العذاب في الموقف الثالث والخمسون بعد المائة ج1ص 286 .

[271]-نفسه،الموقف الثامن والتسعون بعد المائتين،ج2ص 183.

[272]- سورة النساء الآية48.

[273]- الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ،الموقف الثامن والعشرون بعد المائتين، ج1ص406.

الفصل الثالث

تجليات "فلسفة الاختلاف" عند الأمير ونتائجها

أولا – الألوهية كمظهر ... للاختلاف الأنطولوجي.
ثانيا – الحقيقة المحمدية كمحدد للاختلاف.
ثالثا – الإنسان الكامل...كإستراتجية لفلسفة الاختلاف عند الأمير.
رابعا – الهوية والاختلاف عند الأمير.
خامسا – في اختلاف الأديان والمعتقدات (نظرية اله المعتقدات).
سادسا – الاختلاف في حياة الأمير العملية.

أولا- الألوهية كمظهر للاختلاف الأنطولوجي:

الألوهية في التصور الصوفي مرتبة للذات الإلهية وما هي عين الذات/التعدد والاختلاف والتنوع والتباين في الوجود كله يكون في مرتبة الألوهية لا في مرتبة الذات.

في البراديغم الصوفي الأكبري[1] يظهر الاختلاف الأنطولوجي في عالم الطبيعة أو في عالم الإنسان أو النبات أو الحيوان في مرتبة الألوهية لا في مرتبة الذات[2] .لأن" الألوهية هي مرتبة للذات وما هي عين الذات"[3] و"هي منشأ العالم جميعه ،المقتضية لإيجاده ولكل ما يصدر عنه فان الألوهية تطلب مألوها وعابدا"[4] .

فمرتبة التعدد والاختلاف والتنوع والتباين في الوجود كله، تكون في مرتبة الألوهية، والألوهية هي مناط مرتبة المعرفة والتحقق،عكس مرتبة الذات التي هي مجهولة ولا يستطيع احد معرفة كنهها.ففي" الألوهية تظهر الأسماء والصفات بحكم ما يستحقه كل واحد من الجميع، ويظهر فيها أن المنعم ضد المنتقم،والمنتقم فيها ضد المنعم،وكذلك باقي الأسماء والصفات[5].

لذلك يؤكد الأمير أن" الألوهية هي مرتبة الأسماء تطلب ظهور أثارها فتتقد الشمعة،لان الألوهية هي استتار الذات الأحدية بظهورها بصورة الغير،الألوهية مرتبة للذات الأحدية ليس لها رتبة العينية ولا رتبة الغيرية والمخلوقات دائما بين هذين المقتضين مقتضى الأحدية ومقتضى الألوهية فهي دائما بين إيجاد وإعدام وهذا معنى الخلق الجديد الذي الناس في لبس منه"[6].فالعالم بكل اختلافاته وتنوعاته في رؤية الأمير عبد القادر ظهر من خلال طلب الأسماء الإلهية الوجود لأن"أسماؤه تعالى تطلب

---

[1] - والأمير أحد أكبر شارحيه ومريديه ومتبنيه.والبراديغم *paradigme* مصطلح استعمله أول مرة توماس كوهن في كتابه بنية الثورات العلمية سنة 1962 و يعني به "النمط الفكري" أو هو و حسب تعريف إدغار موران *Edgar Morin* رؤيـة العالم ،و كل بناء نظري يوجّه الخطاب والبحث، أو هو مجموع مبادئ توجّه الفكر في رؤية الوجود.راجع كتاب بنية الثورات العلمية،توماس كوهن،ترجمة، تحقيق :حيدر حاج إسماعيل - محمد دبس،الطبعة الأولى،المنظمة العربية للترجمة،2007.

[2] - يتفق المسلمون كلهم على التميز بين ذات الله وصفاته وأفعاله ،والذات الإلهية عند الصوفية مجهولة لا يعلمها إلا الله ذاته،فهي تشهد ولا تعلم،أما الصفات فهي تعلم ولا تشهد.انظر الموقف،مرجع سابق،الموقف التاسع والخمسون بعد الثلاثمائة ج2ص424.

[3] - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق،الموقف السادس والتسعون،ج1ص179.

[4] - نفسه،الموقف التاسع والتسعون،مرجع سابق،ج1ص187.

[5] - الجيلي،عبد الكريم،الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل،تحقيق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمّد عويصة، الطبعة الأولى،بيروت،لبنان 1997م،ج 1 ص 27 .

[6] - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق، الموقف التاسع عشر بعد المائة، ج1ص221.

ظهورها بظهور أثارها وهو مقتضى الكثرة فالكون دائما بين مقتضى الأسماء وهو ظهور الكثرة وان كان ظهور الكثرة بظهور الأسماء بآثارها"[7] .

الاختلاف والتعدد في الوجود يفسره الأمير من خلال إثبات الكثرة في مرتبتين اثنين الأولى مرتبة الوجود المعقول،هي كثرة معقولة (كثرة الأسماء الإلهية). والثانية مرتبة الوجود الظاهر الحسي،وهي هنا كثرة مشهودة (كثرة صور الموجودات وكثرة المظاهر).

فالكثرة المشهودة الظاهرة للأعيان، سببها الكثرة المعقولة،وهي كثرة الأسماء الإلهية والصفات،أما كثرة الخلق فمنشؤها كثرة الحق أي كثرة أسمائه.كل من قال بالكثرة. فقد نظر إلى الحقيقية الوجودية: من حيث ظهورها في العالم،وهي كثرة في الأعيان. ومن حيث تجليها في الأسماء الإلهية،وهي أيضاً كثرة معقولة.

وأما من قال بالوحدة، فقد نظر إلى الحقيقة الوجودية من حيث ذاتها التي لا كثرة فيها، بوجه من الوجوه،فهي تتعالى،حتى عن الكثرة الاعتبارية العقلية،التي هي كثرة الاتصاف بالأسماء،فهي غنية حتى عن الأوصاف.إذن كل من قال بالكثرة وحدها،فهو محجوب،لأنه لا يرى سوى وجه واحد من الحقيقة وكذلك كل من قال بالوحدة،دون الكثرة،لأنه لا يرى سوى الوجه الآخر من الحقيقة. أما العارف بالأمر،على ما هو عليه، فيشاهد الوحدة في الكثرة،والكثرة في الوحدة. أو وحدة الكثرة وكثرة الوحدة.وإن كان في خاتمة الأمر يقرر الوحدة فقط،من حيث أن الكثرة لا وجود لها في ذاتها إنما هي نسب وإضافات اعتبارية.

وتقول الدكتورة سعاد الحكيم إن فكرة الألوهية عند ابن عربي وتلامذته (كالأمير عبد القادر) هي برزخ بين الذات والخلق،إنها الأسماء الحسنى السارية في الخلق جميعاً»[8].

وعن أوجه الألوهية يقول الباحث أبو العلا عفيفي« لكل من الحق والخلق ظهور في الألوهية فظهور الحق في الألوهية يكون في أعلى مرتبة. وظهور الخلق في الألوهية يكون على حسب ما يستحقه الخلق من تنوعاته وتغيراته وانعدامه ووجوده. للألوهية إذن وجهان: ظاهر وباطن،وظاهرها هو الخلق،وباطنها هو الحق،والفرق بين الاثنين كالفرق بين الثلج والماء: فالثلج ظاهر والماء باطن، والثلج غير الماء في ظاهره وعين الماء في حقيقته»[9]ويضع متصوفة وحدة الوجود (الكثير الواحد) في مقابل (الواحد الكثير) ففي الأولى ينظر إلى الوحدة في الكثرة،على حين أنه في الثانية ينظر إلى

---

[7] - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ، الموقف الثاني والستون،ج1ص117.

[8] - سعاد الحكيم،المعجم الصوفي، دندرة للطباعة والنشر،الطبعة الأولى،1981م،ص 86.

[9] - إبراهيم بيومي مدكور،الكتاب التذكاري (محي الدين بن عربي) في الذكرى المئوية الثامنة لميلاده، الهيئة المصرية العامة للكتاب،الطبعة الأولى، 1969م،ص 28 – 29 .

الكثرة في الوحدة.ويطلقون عبارة (الكثير الواحد) على الحق،وعلى الإنسان. فهي تنطبق على الحق، إذا نظرنا إلى وحدة ذاته،من خلال كثرة أسمائه وصفاته.

وتنطبق على الخلق،إذا نظرنا إلى وحدة عينه من خلال كثرة صوره. ومثلوا النسبة بين العين الوجودية الواحدة،والصور المتكثرة المتغايرة،بالنسبة بين النفس الواحدة الشخصية،وبين بدنها المتكثر بصور أعضائه. فزيد مثلاً الكثير بصور أعضائه،هو حقيقة واحدة فهو (الكثير الواحد). يقول ابن عربي« فكما أن للكثرة أحدية تسمى: أحدية الكثرة كذلك للواحد كثرة تسمى: كثرة الواحد... فهو(الله) الواحد الكثير،والكثير الواحد» [10]ويقول« فمعلوم أن زيداً حقيقة واحدة شخصية،وأن يده ليست صورة رجله،ولا رأسه،ولا عينه،ولا حاجبه،فهو الكثير الواحد الكثير بالصور،الواحد بالعين وكالإنسان: واحد بالعين بلا شك، ولا نشك أن عمراً ما هو زيد، ولا خالد،ولا جعفر،وأن أشخاص هذه العين الواحدة،لا تتناهى وجوداً. فهو وإن كان واحداً بالعين،فهو كثير بالصورة والأشخاص »[11].يتضح في النص الثاني أن ابن عربي،أعطى تمثيلين يفسر في ضوئهما كثرة الوحدة الحقية الأول زيد وأعضاؤه.والثاني الإنسان وأشخاصه [12].

فالذات الإلهية المقدسة في تصور الأمير عبد القادر الجزائري وفي تصور كافة المتصوفة هي منزهة عن الانقسام والتعدد.

لكن التعدد والاختلاف والتنوع يظهر فقط في مرتبة هذه الذات الإلهية التي تسمى الألوهية والتي فيها تعدد الأسماء والصفات التي بدورها تتجلى في الكون وفي الإنسان.

[10]- محي ابن عربي،الفتوحات المكية ، مصدر سابق،ج 4 ص 232 .
[11]- محي الدين ابن عربي ، فصوص الحكم ، مصدر سابق،ج 1 ص 183 – 184 .
[12]- سعاد الحكيم،المعجم الصوفي،دندرة للطباعة والنشر،الطبعة الأولى،1981م،ص 959 – 960.

ثانيا :الحقيقة المحمدية كمحدد للاختلاف.

الحقيقة المحمدية هي أصل المخلوقات كلها عند الأمـــــير الجزائري / الحقيقة المحمدية هي برزخ البرازخ كلها / هي حجاب العزة الإلهية وهي التعيين الأول وأول صادر عن الحق/ ما في الجنس الإنساني أحد إلا وهو مظهر هذه الحقيقة المحمدية / فالطبيعة ظاهرة و باطنها الحقيقة المحمدية/ الحقيقة المحمدية متعددة الأسماء والوجوه والاعتبارات/ الاختلاف الإنساني والوجودي يتحدد بتجلي الحقيقة المحمدية وظهورها.

يتأطر فكر الأمير عبد القادر الجزائري داخل الرؤية الصوفية الأكبرية ،التي يلعب داخلها مفهوم" الحقيقة المحمدية" دورا كبيرا لتفسير الوجود وتعليل الاختلافات الانطولوجية،وذلك لأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم في عقيدة متصوفة وحدة الوجود وكما يصرح المنظر الأكبر لهذه العقيدة الشيخ محي الدين ابن عربي" هو الأول بالقصد والآخر بالإيجاد،والظاهر بالصورة والباطن بالسورة (المنزلة) "[13] . فأول مخلوق هو النور المحمدي أو الحقيقة المحمدية[14] التي لها أسماء كثيرة باعتبار وجوهها واعتباراتها،منها التعيّن الأول،العقل الأول،القلم الأعلى،والإنسان الكامل،والتجلّي الثاني،وحقيقة الحقائق، والبرزخ الجامع،وواسطة الفيض والمدد،وحضرة الجمع،ومركز الدائرة،ونور الأنوار وغيرها من المصطلحات التي أطلقها عليها الصوفية و لهم في تأصيل هذه العقيدة أدلة من الكتاب والسنة[15]،فالحقيقة المحمدية هي أول مرتبة وتنزّل للذات العليّة. والصورة الإنسانية هي آخر تعيّن

---

[13]- محي الدين ابن عربي،نقش الفصوص، حققه وضبطه وقدم له: عبد الرحمن مارديني،الطبعة الأولى، دار المحبة بدمشق ودار آية ببيروت 2002/2003 م،ص 40.

[14]-"الحقيقة المحمدية يناظرها في رؤيا هرمس الكلمة أي الابن الأول للمتعالي أي الإله الصانع وهو العقل الأول عند الإسماعيلة " انظر الدكتور محمد عابد الجابري ، بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية ،مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثالثة ،بيروت،أيار مايو،1990، ص360.

[15]- نجملها في استدلالهم بالآية 15 من سورة المائدة " قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ " والنور في الآية عندهم هو محمد(ص) وذاك ما يؤكده شيخ المفسرين وإمامهم الإمام الطبري في تفسيره للآية الكريمة الذي يقرر" يعني بالنور محمداً صلى الله عليه وسلم" بل حتى شيوخ السلفية المعاصرة يفسرون النور في الآية انه محمداً عليه السلام يقول أبو بكر الجزائري في كتابه أيسر التفاسير "- نور وكتاب مبين- النور محمد صلى الله عليه وسلم، والكتاب القرآن الكريم. "كما يستدل المتصوفة بالآية 46 من سورة الأحزاب في قوله عز وجل: " يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ ، بِإِذْنِهِ ،وَسِرَاجًا مُنِيرًا " فالسراج المنير هو النور المحمدي أو الحقيقة المحمدية " قال ابن عجيبة في تفسيره البحر المديد " قُلتُ: لأن نوره صلى الله عليه وسلم أول نور ظهر من نور الحق،فمَن شَهِدَه شَهِدَ الحق. ثم قال: ومَن نظر إليك فقد نظر إلينا. قال صلى الله عليه وسلم: " فقد عرف الحق، ومَن رآني فقد رأى الحق " ثم قال: { وسراجاً منيراً} أسرجت نورك من نوري، فتُنور بنوري عيون عبادي المؤمنين،فيأتون إليّ بنورك. ثم أمره بأن يُبشر المؤمنين بأنهم يصلون إلى مشاهدته، بلا حجاب ولا عتاب. هـ "كما يستدلون بأحاديث كثيرة.ويمكن الرجوع إلى كتاب الولاية والنبوة عند

وتنزل لها على أرض الكثرة والحدوث. فما صدر عن الله تعالى بغير واسطة إلا هذه الحقيقة. يقول الأمير«الحقيقة المحمدية هي الذات مع التـــعين الأول الذي ما اطلع عليه نبي مرسل غيره صلى الله عليه وسلم ولا مـــلك مقرب. وقد ورد لا يعلم حقيقتي غير ربي»[16].

ولولا سريان الوجود من خلال الحقيقة المحمدية،ما كان للعالم من ظهور،ولا صح وجود لموجود، لبعد المناسبة،وعدم الارتباط.

وخلاصة القول لا تصح نسبة وجود الموجودات،إلا بواسطة هذه الحقيقة الشريفة،وتعد مسألة الحقيقة المحمدية من المسائل المضنون بها على غير أهلها وقد حرص أئمة التصوف القدامي على عدم البوح بجميع تفاصيلها إلا بالإشارات. يقول الباحث الدكتور حسن مظفر الرزو« ميز الشيخ الأكبر في فتوحاته المكية بين زمانين، زمان بدأ عند اللحظة الأولى لدوران الأفلاك لكي تتعين المدة المعلومة عند الله تعالى،وتسري تأثيراته الكونية على الأرض التي نعيش عليها. وزمن دشّن بدايته مولد فخر الكائنات محمد صلى الله تعالى عليه وسلم. فعند الزمن الأول خلقت الروح المدبرة،وبرزت الحقيقة المحمدية بوصفها الحقيقة الكونية الجامعة. وأما في الزمن الثاني فقد نال محمداً صلى الله عليه وسلم مقام النبوة،وختمت بنبوته الرسالات حتى قيام الساعة.وبمعنى آخر فإن الزمن الأول هو مرحلة بطون الحقيقة المحمدية أما الزمن الثاني فهو زمن ظهورها وسريان تأثيرها الكوني على عالم الشهادة. وكان لها (الحقيقة المحمدية) في الزمان الأول الحكم الباطن في جميع ما ظهر من الشرائع على أيدي الأنبياء والرسل سلام الله عليهم أجمعين،أما في الزمان الثاني فصار الحكم لها ظاهراً عبر الذات المحمدية،فنسخ كل شرع أبرزه الاسم الباطن بحكم الاسم الظاهر،لبيان اختلاف حكم الإسمين،وإن كان المشرِّع واحداً، وهو صاحب الشرع»[17].

وعلى نفس نهج الشيخ الأكبر سار الأمير عبد القادر الجزائري الذي شرح كيف لعبت الحقيقة المحمدية دور الواسطة بين الحق والخلق إذ قال : « الله تعالى لما توجه لخلق العالم خلق روحاً كلياً سماه: حضرة الجمع والوجود، لكونه جامعاً لحقائق الوجود،وسماه بالحقيقة المحمدية،لكون محمد صلى الله عليه واله وسلم أكمل مظاهرها. على أنه ما في الجنس الإنساني أحد إلا وهو مظهر هذه الحقيقة... ثم خلق الله العماء .. في العماء الأرواح المهيمة والعقل والنفس الكلي لها،هم مخلوقون

محي الدين ابن عربي،لعلي شودكيفيتش،ترجمة الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر الحالي،دار القبة الزرقاء،فصل الحقيقة المحمدية،ص 65،77.

[16]- ا الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق، ج 2 ص 133 .

[17] - د.حسن مظفر الرزو،مقال مواقف عند الحقيقة المحمدية والتجليات الأسمائية على الكون،المنشور على موقع الطريقة الكسنزانية، *http://www.kasnazan.com/article.php?id=604*.

من حضرة الجمع والوجود،وهم مظاهر لها،لكن دون مظهرية الإنسان الكامل صلى الله عليه واله وسلم ،الإنسان الأكمل ... فهو عين الوجود الصادر من الله تعالى بلا واسطة سوى الأمر،فهو صورة الأمر الإلهي الذي لا صورة له في نفس الأمر. وكلما فعلت الطبيعة الكلية صورة نفخ فيها روحاً على قدر قابليتها واستعدادها. فالطبيعة ظاهرة وهو باطنها ، بل ليست الطبيعة غير الروح إلا باعتبار كثافة بعض الصور ولطافة بعضها،فقيل الطبيعة مغايرة للروح»[18].

يقول الأمير«حجاب العزة هو التعيين الأول المسمى بالحقيقة المحمدية،وبالعماء،والروح الكل،والإنسان الكامل،والثوب،والرداء،وغير ذلك من الأسماء الكثيرة ، تعددت أسماؤه لتعدد وجوهه واعتباراته» [19].ويقول" النفس الواحدة هي الحقيقة المحمدية أصل المخلوقات كلها،وهي التي قال فيها الحق تعالى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ[20]»[21].ويقول« برزخ البرازخ كلها وجمعها هو الحقيقة المحمدية»[22].

فاختلاف الجنس الإنساني حسب تصور الأمير الجزائري هو مظهر من مظاهر الحقيقة المحمدية، حتى الطبيعة نفسها والعالم أجمع من ناحية الباطن هو مظهر أيضا لهذه الحقيقة المحمدية.التي هي أصل المخلوقات كلها.

[18] - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ،ج 2 ص 289 .
[19] - نفسه، ج 2 ص 324 .
[20] - سورة النساء الآية 1 .
[21] - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ،ج 1 ص 349.
[22] - نفسه،ج 2 ص 527 .

ثالثا-الإنسان الكامل كإستراتجية لفلسفة الاختلاف عند الأمير.

ارتباط فلسفة الاختلاف عند الأمير بنظرية الإنسان الكامل/الفوارق بين بني البشر هي فقط فوارق في معرفة الله.

ترتبط فلسفة الاختلاف عند الأمير عبد القادر الجزائري بفكرة الإنسان الكامل، وذلك من خلال تمييزه بين نموذجين من البشر،النموذج الأول ما يسميه "الإنسان الحيوان" والنموذج الثاني ما يطلق عليه اسم"الإنسان الكامل".

ويضع الأمير- و كعادة كبار الصوفية- فكرة الإنسان الكامل كإستراتجية عليا وكهدف وجودي غائي لخلق الإنسان،ووفق المنظور الصوفي إن الإنسان خلق لان يكون كاملا بالفعل،لأنه مخلوق على صورة الله والمخلوق على صورة الكمال الإلهي لابد أن تكون فيه القدرة والإمكانية على أن يصير كاملا وله القدرة على التماهي مع صورة الكمال الإلهي.

ويطلق لفظ الإنسان (عند الصوفية كما يقول الشيخ مصطفى العلاوي المستغانمي):" على معنيين أحدهما هو هذا الإنسان الذي نعتبره أحد أنواع الحيوان المشهود بالحس المدرك باللمس المخصص بالفصل من الجنس.والثاني: له لوازم وخصائص تجعله في الحيز المقابل للأول المسمى بالإنسان المحسوس،والثاني بالإنسان المنقول،أو نقول الأول يسمى بالإنسان الحيواني،والثاني يسمى بالإنسان الرباني.وليس الشأن أن يكون الإنسان حيوانياً،ولكن الشأن أن يكون ربانياً قال تعالى:كونوا رَبّانيّينَ بِما كُنْتُمْ تُعَلِّمونَ الْكِتابَ وَبِما كُنْتُمْ تَدْرُسونَ[23]»[24].

ولا فرق بين الكامل والحيوان إلا في تفاوت مراتب الكمال لآن في نظر الأمير« الإنسان الكامل هو الكون الجامع للحقائق الإلهية والكونية،فهو المثل الذي لا مثل له،قال تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ[25]»[26].

---

[23] - سورة آل عمران الآية 79.

[24] - الشيخ مصطفى بن عليوة المستغانمي،منهل العرفان في تفسير البسملة وسور من القرآن،المطبعة العلاوية، سنة 1997م، ص11.

[25] - سورة الشورى الآية 11.

[26] - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ،ج 2 ص 369 .

وفي سبب تسميته بالإنسان الكامل يقول الأمير الجزائري: « وصف الإنسان الحقيقي بالكامل ليس للاحتراز من الإنسان الحيوان،فإن التمييز بينهما ظاهر بديهي،حيث أن الإنسان الكامل له الظهور بالاقتدار التام،تتكون الأشياء عند قوله (كن) أو قوله (بسم الله) يحيي ويميت،ويذل ويعز... الخ. ومع هذا الاقتدار الذي أعطيه فهو في نفسه العبد الذليل،الذي لا تشوبه عبوديته ربوبية بوجه ولا حال،لا يظهر لأحد بما أعطاه الله وخصه به من التصرف في العالم أعلاه وأسفله. والإنسان الحيوان لا شيء له من هذا،فلا مشاركة ولا مشابهة بينهما...وإنما ذلك للاحتراز من الإنسان الناقص حساً ومعنى،وهو الدجال فإنه يظهر الاقتدار،يعطى التكوين بقول (كن مثل الإنسان الكامل...أما المعنى فلنقصه السعادة الأخروية. وأما الحس: فلأنه أعور العين اليمنى... فلهذا الاشتباه في الاقتدار التكويني،والإنسانية،جاء الوصف بالكامل،لتمييز الإنسان الكامل السعادتين،الصادق الولي،من الإنسان الناقص السعادة الأخروية الكذاب العدو»[27].

الخلاصة أن الفوارق بين بني البشر لا تنطلق من فوارق عرقية أو جغرافية أو لغوية أو طبقية، التمايز الوحيد بين الناس في فلسفة اختلاف الأمير عبد القادر الجزائري قائمة فقط على الفوارق بين معرفة الله. و" معرفته تعالى حاصلة لكل مخلوق من وجه،وهي معرفة الفطرة. وغير حاصلة لمخلوق،أي مخلوق كان من وجه،وهي معرفة الكنه. وحاصلة لبعض دون بعض من وجه،وهذا الوجه الحاصل لبعض دون بعض من لم يحصل له في الدنيا حصل له في الآخرة،ولو كان لا على الكمال. فمن حصلت له المعرفة في الدنيا فهو سعيد في الدنيا والآخرة. ومن لم تحصل له المعرفة إلا في الآخرة فهو سعيد في الآخرة والكل تحصل له في الآخرة" [28].

[27] - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ،ج 2 - ص 574 .
[28] - نفسه،ج 1 ص 119 .

رابعا : الهوية والاختلاف عند الأمير.

أزمة الهوية وعصر حروب الهويات /تعريف الهوية إيتيمولوجيا وأنثروبولوجيا/ معاني الهوية عند الصوفية/ الهوية التي يطرحها ويقترحها الأمير عبد القادر هوية متعالية جامعة للحق والخلق.

الهوية اليوم هي في أشدّ أزماتها،وإننا نعيش في عصر حروب الهويات يقرر الاستراتيجي الأمريكي صامويل هنتغتون *Samuel Huntington* [29] "حيث نجد تركيا تعيد تأكيد دورها كحامية للبلقان وتدعم البوسنة،في يوغوسلافيا السابقة،وروسيا تساند الصرب الأرثوذوكسية،وألمانيا تساعد كرواتيا الكاثوليكية،والدول الإسلامية تهرع لمساعدة الحكومة البوسنية،والصرب يحاربون الكروات ومسلمي البوسنة ومسلمي ألبانيا[30]".إنها الهوية كحاضر وعامل ولاعب في العلاقات الدولية.

وأكبر دليل على تفاقم أزمة الهوية في العصر الحاضر حرص الغرب على تثبيت هويته،وحرصه أكثر على ذوبان المهاجرين في مجتمعاته،بل إن هناك مؤسسات ووزارات خاصة ومتخصصة في إدماج وتذويب الهويات[31] .وأوروبا ترفض تركيا بسبب الهوية ليس إلا،وكما قال الرئيس التركي تورجوت أوزال في سنة 1992م"سجل تركيا بالنسبة لحقوق الإنسان سبب ملفق لعدم قبول طلب انضمامها إلى الاتحاد الأوروبي،السبب الرئيسي هو أننا مسلمون وهم مسيحيون".[32]إن الأوروبيين يظهرون صراحة أنهم لا يريدون دولة مسلمة(تركيا) في الاتحاد الأوروبي،ولا يسعدهم أن تكون دولة مسلمة أخرى (البوسنة) منهم في المجموعة الأوروبية والسبب معلن واضح لا لبس فيه،هو اختلاف هوية المسلمين عن هوية الغرب. ولقد كان القرن الماضي- كما يقول الباحث فتحي التريكي- هو القرن الأشد دموية الذي عاشته البشرية. فغالبا ما لحقت الحروب التي صارت كلية وعالمية،مجازر جماعية ومعسكرات اعتقال وحشد وإبادة عرقية وعنصرية من كل نوع،وحظر وانسداد للأفق واستعمار جديد وغزو وبربرية. وبداية هذا القرن ليست أفضل،إذ أن عدد الضحايا والدمار يفوقان

---

[29]- صامويل هنتغتون،صراع الحضارات إعادة صنع النظام العالمي،ترجمة طلعت الشايب تقديم صالح قنصوه،الطبعة الثانية،1999م،ص431.

[30]- نفس المرجع، ص204-205.

[31]- *Ministère de l'immigration, de l'intégration, de l'identité nationale et du développement solidaire française. http://www.immigration.gouv.fr/*

[32]- صامويل هنتغتون، صراع الحضارات ،ص 433.

الخيال تعيش الإنسانية الآن،في نفس الوقت،حياة قصوى من الضغط تخيم عليها الحروب،والصراعات العرقية،والإرهاب،وعدم الاستقرار والعنف[33].

وشكلت اختلاف الهويات بؤرة هذه الصراعات والاختلافات" وبحسب المقول الثقافي السائد،الهوية كينونة مغلقة،وليس الآخر موجودا،بالنسبة إليها،إلا بقدر ما يتخلى عن هويته ويتحول إليها– ينصهر في إنيتها. فهي إما أنها تقرب الآخر لتتماهي معه،وإما أنها تنبذه لكي تنفصل عنه. وهذا مما يجعل الكون مستودعا لركام التنابذ والتنافي،فيخلق على المستوى الإنساني كونية زائفة،وكونية سيد وعبد،نابذ ومنبوذ،ويخلق على المستوى التاريخي كونية استغلال وتقنية استهلاكية،وعلى المستوى الحضاري كونية تماثلية تلغي الحرية والإبداعية كما يقول المفكر السوري أدونيس[34].

و"هوية أية أمة هي صفاتها التي تميزها من باقي الأمم لتعبر عن شخصيتها الحضارية"[35].وفي الثقافة الشعبية تطلق كلمة "هوية" على البطاقة التعريفية والتي يقصد بها المعلومات التي تميز شخصية هذا الإنسان عن ذاك،والهوية مأخوذة من "هُوَ.. هُوَ" بمعنى أنها جوهر الشيء،وحقيقته،لذا عرفها الجرجاني في كتابه"التعريفات" بأنها الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب"[36].

أما "من ناحية الدلالة اللغوية، مفهوم" الهوية "كلمة مركبة من ضمير الغائب"هو"مضاف إليه ياء النسبة، لتدلَّ الكلمة على ماهية الشخص أو"الشيء"المعني كما هو في الواقع بخصائصه ومميزاته التي يُعرفُ بها. والهوية بهذا المعنى هي اسم الكيان أو الوجود على حاله،أي وجود الشخص أو الشعب أو الأمة كما هي بناء على مقومات ومواصفات وخصائص معينة تمكن من معرفة صاحب الهوية بعينه، دون اشتباه مع أمثاله من الأشباه"[37].فمن الصعب مثلا أن يشكك أحد في أوروبية الأوروبي وصينية الصيني أو أمريكية الأمريكي أو هندية الهندي أو إفريقية الإفريقي،فالهوية إذن هي منظومة العناصر المكونة لشعب من الشعوب أو مجموعة سكانية،وهذه العناصر تتضمن الحضاري والاجتماعي والثقافي والبيولوجي العرقي،ويمكن إن يكون الشعب المعني محدداً بحيز جغرافي واجتماعي وتربطه قواسم مشتركة.

---

[33]- فتحي التركي،التنوع والتثاقف والتحالف الثقافي،وقائع الندوة الدولية التي عقدتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة *ISESCO*..بالتعاون مع وزارة الثقافة التونسية المنشور بالموقع الرسمي للمنظمة.

http://www.isesco.org.ma/arabe/publications/Hadart%20Tunis/p17.php

[34]- أدونيس،الصوفية والسوريالية،دار الساقي للطباعة والنشر،الطبعة الثالثة،2006م، ص114.

[35]- ندوة الهوية العربية عبر حقب التاريخ، للمدة 25-26/6/1997م، المجمع العلمي بغداد، الكلمة الافتتاحية للندوة، ص7.

[36] - التعريفات،الشريف الجرجاني،دار عالم الكتب، بيروت،الطبعة الأولى 1407هـ - 1987م، ص 314.

[37] - أحمد بن نعمان، الهوية الوطنية، الحقائق و المغالطات، دار الأمة للطباعة و الترجمة، 1996م، ص146.

إن الهوية كما يقول الأنتروبولوجي العربي محمد الجوهري معطى موضوعي: " له عناصر ومقومات،وهي إحساس بكيانات وذاتيات تتصاعد من الأسرة إلى الإنسانية،وبالعكس في أحوال معينة .فالإنسان ينتمي بحكم كونه عضوا في مجتمع إلى أشياء" تكوينات– هويات"عديدة هي مكونات شبكة العلاقات التي يدخل فيها بشكل مباشر أو غير مباشر،فهو ينتمي إلى أسرة معينة،والى أشياء كثيرة"[38].فإن الشخص(هو) أو الجماعة(هم) بضمير الكينونة لا يتحددون إلا إزاء(آخر)أو(آخرين)، فالهوية تتحد أصلا بالاختلاف.وسؤال الهوية لا يخرج عن سؤال"مـــــا الإنسان"؟وسؤال ما الإنسان؟؟ سؤال يحيل إلى سؤال "ما الله "؟ وما علاقته بالإنسان والعالم؟.

كما خلص الأستاذ علي حرب إلى أن "الهوية ليست في النهاية سوى حد نظري كما يقول ليفي ستراوس،حد يفترض من أجل تفسير مجموعة من الأشياء والعناصر،وانه لا وجود لواقع عياني مقابل ما يتصوره الذهن من أمر معنى الهوية،وإذا صحت قراءتنا لمفهوم الهوية عند ابن عربي ،يتضح بجلاء أن الهوية ليست أيضا أكثر من حد من حدود الحق،وما دام كل حد هو مرآة للحق ،فان الهوية إذ تميزنا عن الأخر من وجه، فإنها تقربنا منه من وجه أخر، فليس من شرط الهوية نفي الأخر أو إقامة سد يمنع الحوار بين الأنا والعالم "[39]

ومبحث الهوية أهم وأعظم مبحث عند الصوفية على الإطلاق فـــ" الهوية عين الجمع" كما يقول مؤرخ التصوف أبو عبد الرحمن السلمي[40].أوهي"الحقيقة في عالم الغيب"[41] أو"الحقيقة الغيبية [42]" كما يقول الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي.وتعددت تعارف مشايخ التصوف لمصطلح الهوية بتعدد مشاربهم.فالشيخ عبد القادر الجيلاني يقول إن" الهوية بحر يغرق فيه كل سابح عقل،وتنكسر في طلب علمه كل سفينة فكر"[43].والهوية عند عبد الكريم الجيلي"هي الوجود المحض الصريح المستوعب لكل كمال وجودي شهودي،لكن الحكم على ما وقعت عليه الغيبة هو لأجل أن ذلك غير ممكن بالاستيفاء،فلا يمكن استيفاؤه،ولا يدرك،فقيل إن الهوية غيب لعدم الإدراك لها "[44] "ويضيف"هوية الحق غيبه الذي لا يمكن ظهوره ... وهي مأخوذة من لفظة هو الذي للإشارة إلى الغائب،وهي حق الله

---

[38]- الجوهري محمد ،العولمة والهوية ،رؤية أنتروبولوجية ،العولمة والهوية الثقافية القاهرة المجلس الأعلى للثقافة ،2001م، ص79.

[39] - علي حرب،الهوية والغيرية في المقال الفلسفي،دراسات عربية ع/4 فبراير 1982، ص.85.

[40] - أبو عبد الرحمن السلمي،حقائق التفسير، تحقيق: سيد عمران،دار الكتب العلمية ،2001م، ص 1288 .

[41] - ابن عربي،محيي الدين،اصطلاح الصوفية، بتحقيق غوستاف فلوغل،بيروت،1985م،ص 14 .

[42] - ابن عربي،الفتوحات المكية،مصدر سابق، ج 2 ص 130 .

[43] - ظهير الدين القادري،الفتح المبين فيما يتعلق بترياق المحبين،المطبعة الخيرية مصر،الطبعة الأولى 1306هـ، ص 73.

[44] - عبد الكريم الجيلي،الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل،مرجع سابق، ج 1،ص 58 – 59.

تعالى إشارة إلى كنه ذاته باعتبار أسمائه وصفاته... واعلم أن هذا الاسم أخص من اسمه الله،وهو سر للاسم الله ... اسم هو أفضل الأسماء"[45].وعرفها الشريف الجرجاني بأنها "هي الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق[46]".

أما الباحث في التراث الصوفي يوسف زيدان فالهوية عنده "هي غيب الله،إذ أنها مأخوذة من لفظة (هو) للإشارة إلى الغائب،فهي إشارة إلى كنه ذاته[47]".

ولم يخرج الأمير عبد القادر الجزائري عن هذا التحديد الصوفي الأكبري لمصطلح الهوية ومصاديقها .حتى ولو لم يكن الأمير عبد القادر الجزائري منظرا فيلسوفا، كما لم يكن أنثروبولوجيا أكاديميا متخصصا بالمعنى الاحترافي الاصطلاحي للكلمة، لكن قراءة حفرية لما دَوَّنه خاصة في كتابيه "المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف"و" ذكرى العاقل وتنبيه الغافل" تجعلنا نستخلص معالم هوية انتمائه ونحدد معالم الهوية التي يقترحها كحل في سوق الهويات المطروحة.

إن الهوية التي تبناها الأمير الجزائري ليست هوية وجه أو سنة الولادة أو علامات فارقة... وليست هوية عرق أو دم،أو هوية جغرافية أو تاريخ...كما أنها ليست هوية وطن أو لغة أو نص.....إن إستراتجية الهوية التي طرحها واقترحها الأمير هي هوية متعالية وعابرة للتيارات والإيديولوجيات والمذاهب والأديان.

في تصور الأمير" الهوية عند الطائفة كناية عن الغيب المغيب"[48] و" الهوية السارية هي معيته تعالى بذاته من غير سريان ولا حلول ولا اتحاد ولا امتزاج ولا انحلال[49] .

لقد رفض الأمير كل الهويات التي تبعده عن الله، باختصار إن هوية الأمير هي الله، لكن هوية الله عنده ليس ذاك الإله المفارق كما عند المعتزلة والأشاعرة،أو ذاك الإله الغاضب القاهر كما عند قاصدي التسلط ممن يأدلجون فكرة الله.

هوية الله عنده يتغلب فيها صفات الجمال على صفات الجلال لذا جاءت هويته كلها رحمة وجمال

---

[45]- الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل ، مرجع سابق،ج 1 ص 58 .

[46]- الجرجاني ،التعريفات، مرجع سابق،ص 278.

[47]- يوسف زيدان،الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي،دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع،الطبعة الأولى،1988م،ص 82 .

[48]- الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ،الموقف الثامن والخمسون بعد الثلاثمائة،ج2 ص369 .

[49]- نفسه ،ج 1ص291.

ومحبة[50]. الهوية التي تبناها الأمير تمحى فيها عموما كل التصنيفات المألوفة للبشر أفرادا وجماعات ويتمثل الاختلاف فيها نسيج الوجود كله قال الأمير الجزائري[51]

ففي أنا كل ما يؤمله الورى فمن شاء قرآنا ومن شاء فرقانا
ومن شاء توراة ومن شاء إنجيلا ومن شاء مزمارا زبورا وتبيانا
ومن شاء مسجدا يناجيه ربه ومن شاء بيعة ناقوسا وصلبانا
ومن شاء كعبة يقبل ركنها ومن شاء أصناما ومن شاء أوثانا
ومن شاء خلوة يكن بها خاليا ومن شاء حانة يغزل غزلانا
ففي أنا ما قد كان أو هو كائن لقد صح عندنا دليلا وبرهانا

ومن هنا جاء طرح الأمير خارج الأنساق المغلقة التي تخنق الهوية الإنسانية،كما جاءت نظرة الأمير إلى المختلف هي أكثر رحابة وأصالة فنحن نتقل معها بالمغايرة والاختلاف من المستوى المعرفي إلى المستوى الوجودي الأنطولوجي،الغيرية تخترق الهوية في الخطاب الصوفي الأميري،والذاتية تتقوم بالاختلاف،والأمير يجترح إمكانيات جديدة من خلال زحزحته لمسالة الهوية وفتح أفاق جديدة لها رابطا إياه بالله المطلق اللانهائي واللامحدد. وكل هذا فيه رد مباشر على كل ما كتبه كلود ليفي ستراوس عن الإسلام والمسلمين [52].

---

[50] -إشارة إلى الحديث القدسي الذي يقول فيه الله تعالى " إنَّ اللّه تَعَالى لمَّا قَضَى الْخَلْق كَتَبَ عِنْده فَوْق عَرْشه إنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي" رواه البخاري في كتاب التوحيد، انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ، طبعة دار التراث ،1407هـ-1986م ،ج13ص129.

[51]- المواقف،الأمير عبد القادر،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر،1996،ص 7-8.(الكتاب مصور من النسخة الأصلية المحفوظة بالمكتبة الوطنية الجزائرية)

[52]-"*En face de la bienveillance universelle du bouddhisme, du désir chrétien de dialogue, l'intolérance musulmane_adopte une forme inconsciente chez ceux qui s'en rendent coupables ; car s'ils ne cherchent pas toujours, de façon brutale, à amener autrui à partager leur vérité, ils sont pourtant (et c'est plus grave) incapables de supporter l'existence d'autrui comme autrui". -Cl. Lévi-Strauss, Tristes tropiques, éd. 10/18, 1955, p. 364.*

— «les brefs contacts que j'ai eus avec le monde arabe m'ont inspiré une indéracinable antipathie » - Cl. Lévi-Strauss, de Près et de loin. Editeur : Le Grand Livre Du Mois : 1988.

— " nous sommes contamines par l'intolérance islamique "
-Claude Lévi-Strauss, le nouvel observateur du jeudi 10 octobre 2002.

خامسا: في اختلاف الأديان والمعتقدات (نظرية اله المعتقدات).

الأديان كلها قدمت تصورات بشرية عن الله يسميها الأمير إلَهُ المعتقدات أو الإله المجعول أو الحق الإعتقادي... / تاريخ الأديان واختلافها وصراعاتها هو صراع هذه التصورات / نظرية التجلي تصحح كل العقائد وتخطئها معا / خصوصية التجلي الإلهي للأمة المحمدية/ الأمير يتخطى نظريا السياجات اللاهوتية الدوغمائية و يتجاوز كل المعتقدات وكل التصنيفات الإيديولوجية الدينية المتوارثة في اليهودية والمسيحية والإسلام/ الأمير الجزائري يؤسس دينيا لفكرة التسامح .

إذا كان تصور"معنى الله" هو البنية الأساسية للكل دين، فان تاريخ الأديان كله في نظر الأمير عبد القادر الجزائري ليس سوى تاريخا لتمثلات الناس العفوية عن الله، ليس إلا تاريخا لتصورات ونظريات المؤسسة الدينية والفلسفية لفكرة الألوهية، ويعتقد الأمير أن الأديان كلها قدمت تصورات بشرية عن الله أو ما يسميه بـــ"إله المعتقدات" و"إله المعتقدات" هو صورة أو تصور *Représentation* أو فكرة الله التي يخلقها عقل العبد أو تقليده فيسعها قلبه.إنها صورة صفاتية يسعها كل إنسان على قدر طاقته وعلمه.

لقد لاحظ ابن عربي (قبل الأمير عبد القادر) انه لابد لكل إنسان من عقيدة في ربه يرجع بها إليه ويطلبه فيها كما لا حظ تعدد هذه العقائد بعدد معتقديها.وإذن لا يمكن إن يتعدد الله بعدد عبيده فليس للعبد إلا صورة وهكذا بعدما عزل عملية خلق الإنسان لصورة إلهه الذي يعبده سمى هذا الإله أو بالأحرى هذه الصورة باله المعتقدات،فالله حقيقة لا يصل إلى أعتاب إطلاقه مخلوق فهو المجهول ولا يزيد نصيب العبد منه إلا عن صورة مخلوقة فالإنسان في الحقيقة لم يعبد سوى نفسه لان الصورة من خلق نفسه هو فما ثم إلا عابد وثن"[53]

وفي نص صريح طويل مركز يقول الأمير عن الله : " وان تباينت تجلياته ما بين إطلاق وتقييد وتنزيه وتشبيه وتنوعت ظهوراته فظهر للمحمدين مطلقا عن كل صورة في حال ظهوره في كل صورة من غير حلول ولا اتحاد ولا امتزاج وظهر للنصارى مقيدا بالمسيح والرهبان كما اخبر عنهم في كتابه واليهود في العزير والأحبار وللمجوس في النار والثنوية في النور والظلمة وظهر لكل عابد

[53]- سعاد الحكيم،المعجم الصوفي،مرجع سابق،ص 87.

شئ في ذلك الشئ من حجر وشجر وحيوان ونحو ذلك فما عبد العابدون الصور المقيدة لذاتها ولكن عبدوا ما تجلى لهم في تلك الصور من صفات الإله الحق تعالى وهو الوجه الذي لكل صورة من الحق تعالى فالمقصود بالعبادة واحد من جميع العابدين ولكن وقع الخطأ في تعيينه،فإلهنا واله اليهود والنصارى والصابئة وجميع الفرق الضالة واحد كما اخبر تعالى إلا أن تجليه لنا غير تجليه في نزوله إلى النصارى غير تجليه في نزوله لليهود غير تجليه لكل فرقة على حدتها بل تجليه في تنزله للأمة المحمدية متباين متخالف ولذلك تعددت الفرق فيها إلى ثلاث وسبعين فرقة وفي نفس هذه الفرق فرق بينها تباين وتخالف كما لا يفي على من توغل في علم الكلام وما ذلك إلا لتنوع التجلى بحسب المتجلي له واستعداه والمتجلي واحد في كل تنوع وظهور ما تغير من الأزل إلى الأبد،ولكنه تعالى ينزل لكل مدرك بحسب إدراكه والله واسع عليم فاتفقت جميع الفرق في المعنى المقصود بالعبادة حيث كانت العبادة ذاتية للمخلوق وان لم يشعر بها إلا القليل من حيث العبادة المطلقة لا من حيث أنها كذا وكذا واختلفت في تعينه فنحن للإله الكل مسلمون و به مؤمنون كما أمرنا أن نقول وما شقي من شقي إلا بكونه عبده في صورة محسوسة محصورة وما عرف ما قلنا إلا خواص المحمديين ومن سواهم من الطوائف فليس في العالم جاحد للإله مطلقا من طبائعي ودهري وغيرهما وان أفهمت عباراته غير هذا فإنما ذلك لسوء التعبير فالكفر في العالم كله نسبي وهنا نكتة إن شعرت بها فمن لم يعرف الحق تعالى المعبود هذه المعرفة عبد ربا مقيدا في اعتقاده محجرا عليه أن يتجلى لأحد بغير صورة اعتقاد هذا المعتقد وكان المعبود الحق تعالى بمعزل عن جميع الأرباب وهذا من جملة الأسرار التي يجب كتمها عن آهل طريقتنا ويكون مظهره من الفتانين لعباد الله تعالى فالحذر الحذر ولا ذنب على من كفره مظهره من العلماء أو نسبه إلى الزندقة حيث لا تقبل منه توبة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل"[54]

فخصوصية الأمة المحمدية حسب الأمير تكمن فقط في طبيعة ونوعية التجلى الإلهي الذي انفردت به هذه الأمة من خلال خواص أوليائها المحمدين،فالله تعالى يتجلى لهم تجليا كاملا مطلقا إرثا ووراثة للنبي محمد الخاتم الكامل بالأصالة،عكس الأمم الأخرى التي عرفت الله محصورا مقيدا إما في المسيح كما هو الأمر عند المسيحين أو في عزير أو الأحبار كما هو الشأن عند اليهود أو عرفوا الله متجليا في النار كما عند المجوس أو متجلي في النور والظلمة عند الثنويين وحتى عبدة الأحجار

[54] - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ،الموقف السادس والأربعون بعد المائتين،ج1 ص443-444.

والأشجار والحيوانات ما عبدوا إلا الله متجلي لهم في تلك الصور المقيدة المحصورة" فإن عبادة الأوثان مثلا،تجل منه –تعالى– عليهم،أي العابدين"[55] .

ومها كانت عبادتهم. بل حتى تجليه في تنزله للأمة المحمدية متباين متخالف أيضا ولذلك تعددت الفرق فيها إلى ثلاث وسبعين فرقة من معتزلة وأشاعرة وشيعة وغيرها من الطوائف.فالمقصود بالعبادة واحدٌ من جميع العابدين وهو الوجه الذي لكل صورة من الحق تعالى.

ويتكئ الأمير هنا على تأويل أية" ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم"[56] فوجه الله ظاهر ومتجلي في كل صور عبادات الخلق مهما كانت.فالله تعالى واحدٌ واســـعٌ في تجليه، ما تغير منذ الأزل إلى الأبد،واحد من ناحية ذاته المقدسة متعدد متنوع في ظهورات صفاته وتجلياتها لكنه جل جلاله يتجلى ويتنزل بحسب إدراك المتجلي له واستعداه "والأمر بطونا ذاتيا وظهورا اسمائيا"[57].

فإله اليهود وإله النصارى وإله الصابئة وإله المجوس والثنويين والوثنيين بل وإله كل الأديان التي عرفتها البشرية هو إله واحد احد.

لكن المشكلة والخطأ الأكبـــــر وقع في التعيين وفي المعرفة وما شقي من شقي إلا بكونه عبده في صورة محسوسة محصورة.

فالأمير هنا يصحح كل الاعتقادات والديانات والعبادات يعطيها شرعيتها لأنها في الأصل ما عبدت إلا الله الواحد الأحد لكنه ومن جهة أخرى يخطئها في الحصر والتقييد والتحديد فالله عنده لانهائي ولا محدد ومطلق إطلاقا تاما بل منزه حتى عن الإطلاق لان الإطلاق من وجه تحديد بالإطلاق.

فليس في الوجود ملحدٌ أبدا وليس في الوجود جاحد مطلقا من طبائعي ودهري والكفر في العالم كله نسبي داخل نظرية الأمير. المشكلة فقط في اللغة والتعبير.

يقول الأمير" وان خطر ببالك انه تعالى كما قالت واعتقدت جميع الطوائف من إسلام ونصارى ويهود ومجوس ومشركين وغيرهم فهو كذلك وبخلاف ذلك وان خطر ببالك واعتقادك انه كما يقول العارفون المحققون من الأنبياء والأولياء والملائكة فهو كذلك وبخلاف ذلك فما عبده احد من خلقه من كل وجه ولا كفر به احد من كل وجه ولا عرفه احد من خلقه من كل وجه ولا جهله احد من كل وجه قال الذين هم من اعلم الخلق بالله تعالى فهو المعبود لكل مخلوق من وجه المعروف لكل مخلوق من

---

[55] - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق ،الموقف الخامس والخمسون بعد المائتين،ج2 ص 23.

[56] - سورة البقرة الآية 115.

[57] - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق،ج2ص57.

وجه المجهول لكل مخلوق من وجه فما خلق الخلق إلا ليعرفوه فيعبدوه فلابد أن يعرفوه من وجه فيعبدوه من ذلك الوجه فلا خطأ في العالم إلا بالنسبة ومع هذا من خالف ما جاءت به الرسل – عليهم الصلاة والسلام– هلك ولابد ومن وافقهم نجا ولابد والله واسع عليم [58].وسع اعتقادات جميع مخلوقاته كما وسعتهم رحمته وسع كل شئ رحمة وعلما عزيز منيع أن يعرفه احد من مخلوقاته كما يعرف نفسه أو يعبد عابد كما تستحق عظمته وجلاله لطيف ظهر بما بطن وبطن بما به ظهر لا اله إلا هو حيرة الحيرات لا يحيط هو تعالى بذاته فكيف يحيط به عجز المخلوقات"[59]

عقائد النصارى واليهود والمجوس والمشركين وكافة الطوائف عقائد صحيحة من وجه وبخلاف ذلك من وجه أخر.

وواضح جدا هنا أن الأمير عبد القادر الجزائري قد تجاوز بهذا الطرح كل المعتقدات وكل التصنيفات الإيديولوجية الدينية المتوارثة من اليهودية والمسيحية والإسلام وتخطى نظريا السياجات اللاهوتية الدوغمائية ورفع القطائع الإبستمولوجية الحادة التي وضعها رجال الدين فيما بين أديانهم. وفتح الأمير باب التسامح الديني على مصرعيه.لان تنظيره هذا يقع خارج العقليات الدوغمائيات الدينية و الأرذوثوكسيات العقائدية المحكومة بمنطق الثنائيات الضدية – الإيمان واللا إيمان *disbielief systeme- le bielief systeme*.[60]

لقد شق الأمير طريقا ملكيا إلى التسامح العقائدي فمذهب وحدة الوجود يوصلنا إلى " أن كل المعبودات التي توجه إليها البشر في كل مكان وزمان لم تكن في واقع الحال إلا مجالي أسماء الله وان التوجه إليها بالعبادة لم يكن إلا طريقا لمعرفة الذات الإلهية الحقة لأن الله تعالى قال في كتابه " وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه"ولم يقل وأمر ربك أن لا تعبدوا إلا إياه فكل عبادة تتوجه والحالة هذه لغير الله مآلها إليه "[61].

وهذه النتيجة أكدها الباحث فراس سواح حين قال " إن الدرس الأخير الذي يعلمنا إياه المعتقد الصوفي هو أن تصور الله في صورة ما وصنع منحوتات له ورسوم ليس الفيصل في التفرقة بين

---

[58] - البقرة الآية 247.

[59] - الأمير عبد القادر،المواقف الروحية،مرجع سابق، الموقف الربع والخمسون بعد المائتين،ج2ص 20 .

[60]- لعل أهم طرح أكاديمي فكك ذهنية الإنسان المتعصب وشرح آليات اشتغال العقل الدوغمائي المتعصب" *dogmatisme"* هو طرح الباحث ملتون روكيش *Milton Rokeach* والباحث جون بيار دوكنتشي *Jean-Pierre Deconchy* في كتابه " نظام الاعتقادات والتمثلات الايديولوجية "

- Systèmes de croyances et représentations idéologiques, In: S. MOSCOVICI (Ed.): Psychologie Sociale, 1996 (5° édition), Paris, Presses Universitaires de France.

[61] - فراس السواح، دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، منشورات دار علاء الدين ،الطبعة الرابعة،2002م ،ص 306.

التنزيه والتشبيه، لأن الصورة الفكرية لله قد ترفع في بعض الأحيان وثنا ذهنيا قد يفوق في صلابته أي وثن مصنوع من الجلمود بل ربما فتحت الصورة الحجرية أفاق الذهن والروح معا إلى ما وراء الحجر الذي يشف عن أكثر المعتقدات تنزيها في الوقت الذي تصير فيه الصورة الذهنية لله إلى ما هو أقسى من الصخر"[62].

الأديان في نظر الأمير لم تقدم صورة كاملة شاملة عن الله، الصورة التي كونتها الأديان عن الألوهية هي صورة صاغها وصنعها رجال الدين عن الله وهي التي يسميها ابن عربي اله المعتقدات أو الإله المجعول أو الحق الإعتقادي...وصورة المعتقد هذه هي بشكل من الإشكال وثن يوضع بين الحق والخلق لذلك قال الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي" فما ثم إلا عابد وثن" وهكذا نعود من رحلتنا في معتقدات الإنسان إلى نقطة المبتدئ . فالوثن الذي يراه ابن عربي قائما بين الإنسان والذات الإلهية ما هو إلا شارة القداسة التي أقامها إنسان العصر الحجري في محاربه ورسمها على جدران كهوفه[63] .

لذلك يمثل كتاب المواقف للأمير الجزائري دعوة صريحة من الأمير إلى المسلمين والمسيحيين واليهود لمراجعة تصوراتهم التاريخية النمطية عن الله والإنسان والعالم.

[62] - فراس السواح، دين الإنسان،مرجع سابق،ص 292 .
[63] - نفس المرجع،ص307 .

سادسا- الاختلاف في حياة الأمير العملية.

السؤال الذي يقفز إلى ذهن الباحث،بعد هذه الجولة مع مفاهيم الأمير ومع نظرياته النظرية والتنظيرية.-هل طبــق الأمير في مواقفه العملية ما أعلنه في مواقفه العرفانية؟

ولمحاولة الإجابة على هذا السؤال الكبير نكتفي بالإشارة إلى شهادات من كانوا أعداء ألداء للأمير الجزائري،ونذكر حوادث في حياته في مراحلها الثلاثة: الجهاد ثم السجن ثم الاستقرار في الشام،وهذه الشهادات تبين بجلاء أن الأمير كان يعيش فكره ويطبقه فعلا، وان أكبر من يستطيع أن يوضح لنا احترام الأمير للمخالف،هم المخالفون أنفسهم الذين دخلوا في حروب ضارية مع الأمير،وعاشوا معه وخبروا حياته ومواقفه وعرفوه عن قرب.و لعل الحروب هي أشرس ميدان يتجلى فيه عمق الاختلاف وخطورته وفيها يظهر جليا خبايا الرجال وحقيقة ثقافاتهم وقناعاتهم.

ونبدأ بحادثة غريبة طريفة تبين أن فلسفة الاختلاف عند الأمير لم تكن شعارات جوفاء،ولا أفكارا طائرة،ولم تكن إيديولوجيات للاستهلاك الأدبي أو الفكري أو الدبلوماسي.إنما كانت قناعات حقيقة تشبع بها الأمير واستقاها من الإسلام ومن تعاليمه ومن منبع التصوف الأكبري. إن الدوافع التي جعلت الأمير نموذجا للسماحة المطلقة،والتفتح العاقل،والإطلاع الواسع، والرحمة بجميع الخلق،هي تخلقه بالقرآن الكريم،وتربيته الروحية في أحضان الصوفية.

1- يقول الأمير في بيت شعري، مسجلا أحداث معركة خلق النطاح

ويوم قضى تحتي جوادا برمية و بي أحدقوا لولا أولو البأس والقوى

ويعلق المؤرخ الفرنسي إتيان برينو *Bruno Étienne* على سبب قول هذا البيت فيقول"في هذا البيت إشارة إلى حادث غريب جدا من نوعه....كان الأمير قد أطلق جماعة من أسرى الفرنسيين،بعد أن عاملهم معاملة حسنة جدا ولما عادوا إلى قطعهم والتحقوا بجيشهم سيرتهم فرنسا راغمين إلى قتال الأمير،على اعتبار أنهم أعرف به من سواهم،وباستطاعتهم أن يكشفوه في المعركة ويباغتوه بالقتل أو الأسر، ولكنهم حينما واروا الأمير قد سقط عن فرسه وهو يحاول الدفاع عن جثة ابن أخيه الشهيد ريثما يحمله المجاهدون إلى الخطوط الخلفية ،وحينما رأوا أن رفاقهم من الجنود الفرنسيين الأخرين

يهاجمونه بشدة،أحدق به هؤلاء الأسرى الطلقاء كالحلقة ودافعوا عنه وحموه ريثما آتي له بفرس فركبه وأتم القتال وربح المعركة"[64].

فلم يحدثنا تاريخ الحروب،أن رجلا مقاتلا لما يسقط في معركة،يتحلق حوله أعدائه حامين له ومدافعين عنه،ريثما يؤتى له بفرس ويتمم معركته،إلا مع رجل استثنائي مثل الأمير الجزائري الذي احترم أسراه وأحسن معاملتهم،فاحترموه وعرفا قدره، لأنه كان فعلا مؤمنا بالاختلاف.

2- وخلال جهاده البطولي الطويل الذي دام خمس عشرة سنة،فحتى أشرس أعدائه اعترفوا بوسع رحمة إنسانيته ومثالية معاملاته خصوصا مع الأسرى والمغلوبين والمستضعفين،فهذا السفاح الجنرال بيجو يشبهه في إحدى رسائله بالمسيح[65].

3- قصده مرة أحد الأساقفة الفرنسيين للتفاوض معه قصد إرسال رجل دين لخدمة الأسرى من الجنود المسيحيين،فيستجيب الأمير لطلبه ويضيف قائلا: " إنني متأكد من أنّ عملي هذا يرضي ربي إذ أتيح لبعض عباده ذكر ربهم وإتباع شرائع دينهم،لأن كل فرد يتبع دين آبائه،والله يحب العباد الصالحين"[66].

4- حتى تحت وطأة شماتة الأعداء الذين نكثوا عهدهم فَعوَض تَركه حرا ليذهب إلى المشرق عند ما وضع حدا لكفاحه سجنوه مع أمه العجوز ونحو المائة من رفقائه الأوفياء،مات منهم نحو الخمسة والعشرين في الاعتقال،رغم تلك الشدائد،لم تتغير سماحة هذا الشهم أمير الجهادين الأصغر والأكبر،وإلى ذلك يشير الجنرال دو ماس الذي كان مكلفا بحراسته في السجن في رسالة بعثها إلى أسقف الجزائر" دو بوش" الذي كانت له مع الأمير مراسلات،فيخاطبه قائلا يصف حالة الأمير في السجن:" إنك ستجده أعظم وأجل في محنته منه في عزه، انه ما يزال كما عرف عنه يسموا إلى أعلى الدرجات. إنك ستجده معتدلا بسيطا جذابا متواضعا ثابتا لا يشكوا أبدا، معتذرا لأعدائه – حتى أولئك

---

[64]- برونو إتيان،عبد القادر الجزائري،ترجمة المهندس ميشيل خوري ، دار الفارابي *ANEP*، الطبعة الثانية، الجزائر،2001 م.ص150. وذكر الأمير محمد باشا هذه الواقعة في كتابه تحفة الزائر ج1ص92.

[65]-*M. Chodkiewicz, Ecrits Spirituels, Ed. Seuil 1982, p. 16. et Voici comment Bugeaud gouverneur général d'Algérie décrit l'Emir Abdelkader au lendemain de sa rencontre dans une lettre envoyée au comte Molé, Président du Conseil : « Il est pâle, dit il, et ressemble assez au portrait qu'on a souvent donné de Jésus-Christ ». Paul AZAN, L'Emir Abdelkader, Paris 1925. le jeune Abdelkader devient ce que Bugeaud tente de définir dans une lettre du 1er janvier 1846 : « C'est une espèce de prophète, c'est l'espérance de tous les musulmans fervents ». Cité par M. Habart (p. 36) dans son introduction à la traduction française de la « Vie d'Abdelkader » de Charles Henry Churchill, 2ème éd. Alger 1974.*

[66] - محمود بوعياد،عبد القادر والإنسان،مجلة الثقافة ،عدد خاص رقم 75، ماي- جوان 1983م، ص 282.

الذين ما زال يمكن أن يعاني على أيديهم كثيرا- ولا يسمح أبدا أن يذكروا بسوء في حضرته. ورغم أنه قد يشكوا عن حق من المسلمين أو المسيحيين،فإنهم سواء يجدون منه الصفح..."[67].

4- وفي سنة (1269هـ-1852م) يطلق سراح الأمير،ويلقاه بباريس الجندي الفرنسي أيبوليت لانغلوا *Hyppolyte Langlois* الذي كان أسيرا عند الأمير من قبل،وتحدث" لانغلوا "عن هذا اللقاء في كتابه" مذكرات أسير عند عبد القادر" فقال" إنني رأيت الرجل نفسه بوجهه الرصين،وبنظرته الملهمة،وكلامه القليل،عليه مسحة الأنبياء،فكأنه كان يعيش في عالم علوي مترفعا عن كل مبتذل" [68].

5- ومن أشهر الأحداث التاريخية موقف الأمير عبد القادر الشجاع حين تزعم المهاجرين الجزائريين في الشام لإنقاذ ما يربو على خمسة عشر ألف مسيحي من القتل في الفتنة التي اشتعلت في دمشق بين الدروز والنصارى سنة 1860م،ووقف متحديا جموعا هائجة مندفعة لقتلهم ودوَّى بصوته قائلا:" إن الأديان وفي مقدمتها الدين الإسلامي أجل وأقدس من أن تكون خنجر جهالة أو معول طيش أو صرخات بذالة تدوي بها أفواه الحثالة من القوم... أحذركم من أن تجعلوا لسلطان الجهل عليكم نصيبا،أو يكون له على نفوسكم سبيلا"وخطابه الحازم هذا ما كان إلاّ تطبيقا للحديث النبوي الشريف: "ألا من ظلم معاهدا أو ذميا أو أحدا من أهل الكتاب أو كلفه فوق طاقته أو أنقصه شيئا من حقه أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفسه فأنا خصمه يوم القيامة".[69]

6- وفي نفس الموضوع يكاتبه أسقف الجزائر بافي *Pavy*، شاكرا صنيعه فيجيبه الأمير برسالة يقول له فيها ما خلاصته "ما فعلناه من خير للمسيحيين،ما هو إلاّ تطبيق لشرع الإسلام واحترام لحقوق الإنسان،لأن كل الخلق عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله. إنّ كل الأديان من آدم إلى محمد عليهما السلام تعتمد على مبدأين : تعظيم الله جل جلاله والرحمة بمخلوقاته, وما عدا هذا ففرعيات ليست بذات أهمية كبيرة. والشريعة المحمدية، من بين كل الشرائع، هي التي تعطي أكبر أهمية للاحترام

---

[67] - شارل هنري تشرشل،حياة الأمير عبد القادر،ترجمة سعد الله بلقاسم،الجزائر 1982، الطبعة الثانية، ص 257.258.

[68]- محمود بو عياد،المرجع السابق، ص 284.

Hippolyte Langlois, ancien prisonnier de l'armée algérienne, revit en 1852 l'Emir à son passage à Paris, lorsque Napoléon III décida enfin de remplir les engagements de la France en libérant « l'illustre prisonnier ». « C'était toujours le même homme, » dit Langlois dans ses « Souvenirs d'un prisonnier d'Abdelkader» « avec sa figure grave, son regard inspiré, sa parole rare, son geste prophétique semblant vivre dans un monde surnaturel au-dessus du vulgaire ».

[69] - جواد المرابط ، الأمير عبد القادر والتصوف،مرجع سابق، ص 46.

والرحمة والرأفة وكل ما يعزز التآلف وينبذ التخالف. لكن المنتسبين للدين المحمدي ضيّعوه فأضلهم الله، فجزاؤهم من جنس عملهم[70].

7- وهنالك شخصية أخرى تشبه كثيرا الأمير عبد القادر في سيرته ومواقفه ومراحل حياته،وهو إمام الطريقة النقشبندية الشيخ شاميل (1799-1871) الذي قاد الجهاد ضد الروس دفاعا عن بلده القفقاز نحو الثلاثين سنة، ثم سجن، وسعى الأمير في سراحه إلى أن تحقق،نراه وهو معتقل عند النصارى الروس يسارع إلى إرسال رسالة إلى الأمير يهنئه ويشكره على دفاعه عن نصارى الشام لما ظلموا. ويجيبه الأمير بجواب،من جملة ما يقول فيه: [فإنه وصلني الأعز كتابكم، وسرّني الألذ خطابكم،والذي بلغكم عنا، ورضيتم به منا، من حماية أهل الذمة والعهد،والذب على أنفسهم وأعراضهم بقدر الطاقة والجهد،هو- كما في كريم علمكم- مقتضى أوامر الشريعة السنية والمروءة الإنسانية،فإن شريعتنا متممة لمكارم الأخلاق،فهي مشتملة على جميع المحامد الموجبة للائتلاف (...) والبغي في كل الملل مذموم، ومرتعه وخيم ومرتكبه ملوم (...) فإنّا لله وإنا إليه راجعون على فقد أهل الدين وقلّة الناصر للحق والمعين حتى صار يظن من لا علم له أن أصل دين الإسلام الغلظة والقسوة والبلادة والجفوة. فصبر جميل والله المستعان"....[71].

8- يصف الضابط الدنماركي المنخرط في الجيش الفرنسي أدولف ولهايم دننسن *Adolphe Wilhelm Dinesen*،والذي كان مقربا من محيط الجنرال بيجو طريقة حكم الأمير عبد القادر قائلا" الإنسانية والعدالة العميقة المتجذرتان في الاحترام الكامل للقوانين،هما أساس حكم الأمير عبد القادر...ولا نكون مخطئين إذا قارنا الأمير بصورة المسيح التي إنتقلت لنا عبر التقاليد أو الأعراف...." [72].

---

[70] - مجلة مسالك،العدد الثاني،جوان جويلية 1998، ص 21.

[71]-الامير محمد باشا ، تحفة الزائر،مصدر سابق،ج 2،ص 114-115، حول العلاقات والمقارنات بين الأمير عبد القادر والإمام شاميل ينظر كتاب بسائح بوعلام بالفرنسية *"L'Emir Abdelkader et l'imam Chamil"*

[72] *-Le Danois Adolphe Wilhelm Dinesen, officier engagé dans l'armée d'occupation française et appartenant à l'entourage du général Bugeaud écrit, jugeant sa manière de gouverner: « L 'humanité et la justice profondément ancrées dans le respect scrupuleux de la loi, sont les deux fondements de son règne... On n'a pas tort de le comparer au portrait du Christ que nous a transmis la tradition» Adolphe Wilhelm Dinesen, Abdelkader et les relations entre les français et les Arabes en Afrique du nord. Traduction : Fondation de l'Emir Abdelkader, (Copenhague, 1840), p.82-137*

9- ويصفه الجاسوس ليون روش *Léon Roche* قائلا عنه بأنه كان" يستسلم إلى تأملاته الروحية بعد كل صلاة ويقرأ أوراده يوميا في خيمته أو في المسجد حينما يكون في المدينة،ويعطي دروسا في علم التوحيد،وهو أحد أعظم رجال الدين في هذا العصر"[73] ويقول عنه " عيونه الزرقاء الجميلة وأهدابه السوداء،مع شفتيه المفتوحتين دائما على ذكر الله،رغم كونهما مغلقتين،لقد بلغ مرحلة الفناء الكامل في الله،حيث يشعر المرء انه فارق الأرض وإلتحق بالسماء،أحيانا كنت أتشرف بالنوم في خيمة الأمير،وكنت اندهش حين أراه مصليا مستغرقا في حالاته الصوفية الباطنية التي كانت تذكرني بصورة صلاة القديسين المسيحين الكبار"[74].

10- يبعث اللورد لندنبري إلى نابليون الثالث رسالة بتاريخ 25/أوت 1851م...يبين له فيها قدر الأمير عبد القادر الجزائري قائلا له فيها "صدقني إن معارضة تحرير الأمير عبد القادر سواء أتت من جيشك أو من برلمانك أو من حكومتك أو نتيجة للخسائر التي تعرض لها جيشكم الشجاع في الجزائر،لا يمكن أن تصمد لحظة أمام المقارنة مع الواجب التاريخي الراسخ الذي يسجله وطنكم والاسم الفرنسي ،وإذا قدر لعبد القادر أن يموت في سجون لويس نابليون فستكون هذه فضيحة لا تتمكن مياه نهر الليته *le fleuve Léthé* أن تغسله أبدا" [75].

---

[73] - *L'espion Léon Roche qui devient l'un des proches de l'Emir le décrit ainsi : « Il se livre à des méditations après chaque prière, égrène constamment son chapelet et fait chaque jour, dans sa tente ou à la mosquée quand il se trouve dans une ville, une conférence sur l'unité de Dieu. Il passe pour être un des théologiens les plus érudits de l'époque. Il jeûne au moins une fois par semaine. ». Mgr Henri Teissier .*
http://www.docstoc.com/docs/54940630/LEMIR-ET-LES-CHRETIENS

[74] - *Et au cours de l'une de ses prières, pendant le siège d'une ville, L. Roche le décrit ainsi : « Ces beaux yeux bleus, bordés de cils noirs, étaient relevés, ses lèvres légèrement entrouvertes semblaient encore réciter une prière et pourtant elles étaient immobiles : il était arrivé à un état extatique. Ses aspirations vers le ciel étaient telles qu'il semblait ne plus toucher à la terre. Admis quelquefois à l'honneur de coucher dans la tente d'Abdelkader, je l'ai vu en prière et j'avais été frappé de ses élans mystiques, mais cette nuit, il me représentait l'image la plus saisissante de la foi. C'est ainsi que devaient prier les grands saints du christianisme ».*

[75] - برونو إتيان،عبد القادر الجزائري،ترجمة المهندس ميشيل خوري ، دار الفارابي *ANEP*،الطبعة الثانية، الجزائر،2001 م.ص470. ونهر الليته *le fleuve Léthé* في الأساطير والمعتقدات المسيحية هو نهر في جهنم تحمل مياهه النسيان لأرواح الموتى.

الخاتمة

من خلال تتبعنا لحياة وأفكار ومواقف الأمير عبد القادر الجزائري،خاصة فيما يتصل بموضوع الاختلاف وفلسفته،أمكننا أن نخلص إلى النتائج التالية:

1- أن فكر الأمير عبد القادر يمثل امتداداً وتتمة وشرحا للطروحات المعرفية والروحية للشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي الحاتمي الأندلسي،الذي يتمحور نسق فكره كله على رؤية للوجود تنطلق من نظرية التجلي، لتثير بشكل واسع إشكالية الذات الإلهية وعلاقتها بالإنسان وبالعالم. وهي نظرية تتجاوز كل المتناقضات والثنائيات الأنطولوجية والعقائدية، ولها قدرة مدهشة على احتضان المختلف واستيعاب المغاير.

2- أن رؤية الأمير لمعنى الإنسان ارتبطت بخصوصية النظرة الصوفية إلى الإنسان،المرتبطة جدليا بخصوصية النظرة إلى الله، والمتجهة نحو نزعة لاهوتية- أنثروبو- مركزية واضحة *théo-anthropo-centrisme* ،يكون فيها الإنسان هو التجلي الإلهي الأكبر، وهو جوهر الكون ومحوره وغايته.

3- مع فكر الأمير عبد القادر- ومع التصوف الأكبري تحديدا- نقترب جدا من أحد المعاني الاصطلاحية التاريخية التي أعطيت لعلم الأنتروبولوجيا[1].

[1]- إن معنى الأنتروبولوجيا عند فلاسفة القرون الثلاثة المسيحية الأولى خاصة مع أباء الكنيسة ورجال الدين يحمل دلالة لاهوتية معناها- تشبيه الله بالإنسان *L'anthropo-morphisme* أو إسقاط صفات الإنسان على الله أو تجلى الله في الإنسان. (أنظر،الموسوعة العربية،دار الفكر،دمشق،سورية،المجلد الثالث،ص454)،وتجدر الإشارة كذلك إلى انه وفي القرن السابع عشر ارتبط المعنى التاريخي لعلم الأنتروبولوجيا بالتشبيهية ووجد هذا المعنى مع لايبنتز (حديث عن الماورائيات 1686م) *Leibniz* مع أن الكلمة غابت عن قاموس فورتيار وكان مالبنرانش *Malebranche* يقول بأنسنة الأشياء كلها (حورات في الغيبيات والدين 1688) (انظر معجم الإثنولوجيا والأنتروبولوجيا،بيار بونت ميشال ايزار،ترجمة وإشراف مصباح الصمد ،الطبعة الأولى،1427هـ 2006 م،ص 96)،واستمر هذا المعنى اللاهوتي مستعملاً عند مالبرانش وليبنتس حتى القرن السابع عشر وأوائل الثامن عشر. و"مع مالنبرنش أصبح الله والطبيعة شيء واحد،الكون المادي والإنسان ليسا إلا مظاهر للذات الإلهية"(ويل ديورانت،قصة الحضارة،ترجمة محمد بدران،جامعة الدول العربية،طبعة ثانية،الكتاب الحادي عشر،الفصل الحادي والعشر،الدين والعقل في فرنسا،ص 556).

4 ــ مشروع الأمير عبد القادر الفكري قائم على محاولة تحقيق الربط بين الاختلاف والوحدة. فالوحدة عنده ليست وحدة تطابق وتماثل بل هي التحقيقُ والتحققٌ للوحدة داخل الكثرة والكثرة داخل الوحدة. كل ذلك ضمن رؤية صوفية قوامها استشراف الحقائق الباطنية، وعبر منهج ذوقي كشفي منطلقه :أن لا موجود إلا الله، وما الكثرة الظاهرة الاختلاف في الوجود إلا وهم صنعته مداركنا، مردها في الأخير إلى وحدة الذات الإلهية من جهة ،وتعدد الأسماء المتجلية في الأكوان من جهة أخرى.

5- الأمير أسس لنموذج فكري تيولوجي عابر للتيارات و للإيديولوجيات و تتصالح فيه كل الديانات وكل المذاهب. ورسم الأمير سقفا أعلى لفهم الدين وطقوسه،وبَلْوَرَ كثيرا من المفاهيم والتصورات التي تعيد تشكيل التراث الديني والثقافي الإنساني كله في تصور صوفي غنوصي أنطولوجي شامل جامع للهوية والاختلاف.

6- الأمير عبد القادر يجترح قواعد مهمة لتدبير فلسفة الاختلاف بين بني البشر كلهم ،ويقترح مبادئ كلية للخروج من الأنساق العقائدية المغلقة، وللتحرر من النرجسيات الثقافية والدينية التي تلغم العيش المشترك بين بني البشر.مثل قاعدة الخيال كإجراء منهجي لفهم الاختلاف.وقاعدة الصورة كعلامة لتجليات الاختلاف.وقاعدة التأويل المفتوح كآلية منهجية لشرعنة الاختلاف.وقاعدة تسويغ وتبرير الاجتهاد في أصول العقائد.وقاعدة مشاهدة الحق في اختلاف الديانات.وقاعدة نسبية الحقيقة ورفع الخطأ المطلق والكفر المطلق.وقاعدة شمول الرحمة وإزالة العذاب عن الخلق كلهم يوم القيامة.

7- التمــيُزُ في فكر الأمير الجزائري،أن فكرة التسامح تنطلق عنده من الإطار الديني، بل هي من جوهر الدين،عكس فلاسفة الغرب الذين ولدت عندهم فكرة التسامح خارج الدين بل ضده ،كرد فعل لائكي علماني على التعصب الصراعات الدينية بين الكاثوليك والبروتستانت.

8- فلسفة الاختلاف عند الأمير تجد كامل مرجعيتها في عقيدته في وحدة الوجود،التي هي وحدة وتأحد،وهي أيضا اختلاف وتعدد...وحدة من ناحية الذات واختلاف من حيث تباين وتعدد الأسماء والصفات الإلهية. فالاختلاف عنده لا ينفي وحدة الهوية بل يتقوم ويتحدد بها.

9- مشروع الهوية التي يقترحه الأمير عبد القادر هو مشروع ديني لاهوتي يتجاوز إيديولوجيا الأعراق والإتنيات والقوميات،ويتخطى دوغما الهويات التي تنطلق من الانتساب إلى مركزيات الجغرافيا أو إلى التاريخ أو إلى اللغة. هويته المقترحة ترفض الحصر والتحديد في وطن أو في دولة أو في جنس أو لسان. هوية الأمير هي هوية صوفية مطلقة مرتبطة بالله، ولا يمكن القبض عليها أو

تحديدها بصفة نهائية،لأنها نسب وإضافات وشبكات ومواقف من العلاقات المتحولة المرتحلة في صيرورة دائمة باتجاه هذا الواحد الحق المطلق المتجلي في جميع الخلق والظاهر في جميع العقائد والملل والنحل والديانات.

10- قد يبدو أن تنظيرات الأمير عبد القادر وأفكاره مثالية وطوباوية وغارقة في التجريد والخيال ويتعذر تطبيقها العملي في دنيا صراع المصالح الإرادات، لكن يكفى لرفع هذا النقد حينما نعلم أن الأمير عبد القادر قد عاش حقيقة هذه الأفكار وطبقها في حياته العملية واعترف له بذلك حتى مخالفيه وأعدائه.

بالرغم من أن الباحث قد واجهته صعوبات جمة، أهمها إتساع مادة الموضوع المبحوث وتشعبها بشكل واسع جدا،إلا أنه حاول مخلصا معاشرة نصوص الأمير لاستيعاب مقاصدها وتلخيصها واستخلاص فلسفة الاختلاف منها. لكن يبقى ميراث الأمير دائما في حاجة إلى إعادة الحفر والقراءة والدراسة بشكل أعمق وتحليل أدق.

وفي الأخير أمكن للباحث الخلوص إلى نتيجة عامة مفادها،أن الأمير عبد القادر الجزائري يمثل قيمة ثقافية إنسانية نادرة من بقايا القيم الثقافية الإسلامية السامية ،المقدرة للأخر المختلف، والمحترمة للخصوصيات والمنفتحة على كل الثقافات وكل الديانات،[2].

والثقافة هي المدخل الرئيسي إلى معالجة الكثير من الأزمات التنموية والحضارية.

[2]- إتيان برونو يسمى الأمير بأنه الرجل الجسر..جسر بين الشرق والغرب...ويسميه أيضا برزخ البرازخ.

قائمة المصادر والمراجع

مصادر ومراجع البحث:

أولا: مصادر ومراجع خاصة بحياة وأفكار الأمير عبد القادر.

1- الأمير عبد القادر،المواقف في بعض إشارات القران إلى الأسرار والمعارف،تحقيق عبد الباقي مفتاح ،دار الهدى للطباعة والنشر،الطبعة الأولى،1426 هـ،2005م.
2- الأمير عبد القادر،المواقف،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر،1996، (الكتاب مصور من النسخة الأصلية المحفوظة بالمكتبة الوطنية الجزائرية).
3- الأمير عبد القادر،المواقف الروحية والفيوضات السبوحية،تحقيق عاصم الكيلاني،دار الكتب العلمية،2004م،1425هـ.
4- الأمير عبد القادر الجزائري،رسالة إلى الفرنسيين،ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، تحقيق عمار الطالبي،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية،2006م.
5- كتاب وشاج الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب تقديم وتحقيق الأستاذ محمد بن عبد الكريم،الجزائر، ايلول 1968 م.
6- الأمير عبد القادر الجزائري،المقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد، تحقيق، محمد بن عبد الله الخالدي المغربي، دار مكتبة الحياة،الطبعة الأولى،بدون تاريخ.
7- محمد بن عبد القادر الجزائري،تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر،ج1،ج2،السيرة السيفية،السيرة القلمية،المطبعة التجارية،الإسكندرية، 1903م.
8- جاك شوفالييه،مذكرات الأمير عبد القادر، تحقيق محمد الصغير بناني ومحفوظ سماتي ومحمد الصالح الجون، شركة دار الأمة، الجزائر 1998م .
9-عبد الرزاق البيطار،حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر،تحقيق محمد بهجة البيطار،الطبعة الأولى،1961م.
10- يوسف النبهاني،جامع كرامات الأولياء،تحقيق إبراهيم عطوة عوض،مركز اهلسنة بركات رضا(الهند)، الطبعة الأولى،2001م،1322هـ .
11- عبد المجيد بن محمد الخاني،الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية،دار رئاس للطباعة والنشر ،مطبعة وزارة التربية،الطبعة الثانية. أربيل،2002م.
12- جواد المرابط، التصوف والأمير عبد القادر،وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007.

13- فؤاد صالح السيد،الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا،المؤسسة الوطنية للكتاب،1985م.

14- تشرشل.شارل هنري،حياة الأمير عبد القادر، ترجمه وقدم له أبو القاسم سعد الله،الطبعة الثانية،الجزائر،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1982م.

15- برونو إتيان،عبد القادر الجزائري ،ترجمة المهندس ميشيل خوري،دار الفارابي ANEP، الطبعة الثانية، الجزائر،2001 م.

16- أبو القاسم سعد الله،الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900،دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،الطبعة الأولى،1992.

17- أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي،دار الغرب،بيروت، الطبعة الأولى،1998م،

18- محمد السنوسي،الرحلة الحجازية،الجزء الثالث،تحقيق علي الشنوفي،الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1978.

19- ناصر الدين سعيدوني. عصر الأمير عبد القادر، الطبعة الأولى،الكويت، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2000 م.

20- الأميرة بديعة الحسيني الجزائري، طائر في سماء المجد، دار الفكر، الطبعة الأولى، دمشق، 2007م.

ثانيا: مراجع في الأنتروبولوجيا:

1- كلود ليفي ستراوس،الإناسة البنيانية،ترجمة حسن قبسي ،مركز الإنماء العربي،1990،القسم الثاني.

2-حسين فهيم،قصة الأنتروبولوجيا فصول في تاريخ علم الإنسان، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت1986م،(سلسة عالم المعرفة 98).

3- جيرار ليكلرك،العولمة الثقافية الحضارات على المحك،ترجمة جورج كتورة،دار الكتاب الجديد المتحدة الطبعة الأولى،2004م.

4- دوني كوش،مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ،ترجمة قاسم المقداد ، منشورات اتحاد الكتاب العرب،2002م.

5- فراس السواح،دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، منشورات دار علاء الدين،الطبعة الرابعة ،2002.

6- فراس سواح،مغامرة العقل الأولى دراسة في الأسطورة ،سوريا ارض الرافدين. العربي للطباعة والنشر دمشق 1987.

7- علي عبد الله الجباوي،الفكر الأنتروبولوجي في التراث الفكري العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب ،دمشق،1996.

8-أنجر فـــوج،الانتخاب الثقافي،ترجمة شوقي جلال،المجلس الأعلى للثقافة العدد209،الطبعة الأولى،2005 .

9- عيسى الشمّاس،مـــدخـل إلـى عـلم الإنســان (الأنتروبولوجيا) ،من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،2004م.

10- رالف بيلز وهاري هويجر (ترجمة) د. محمد الجوهري،مقدمة في الأنتروبولوجيا العامة، دار نهضة مصر،القاهرة،1976م.

11- مرسيا إلياد،تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية ،ترجمة عبد الهادي عباس ،دار دمشق ،الطبعة الأولى،1987 م.

12- مرسيا إلياد،البحث عن التاريخ والمعني في الدين،ترجمة د سعود المولى،المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى،بيروت ديسمبر 2007.

13- محمد الجويلي،الزعيم السياسي في المخيال السياسي الإسلامي بين المقدس والمدنس ،المؤسسة الوطنية للبحث العلمي ،تونس،1992م.

14- محمد أركون،القرآن،من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني،ترجمة وتعليق هاشم صالح ،الطبعة الأولى،دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت،2001م.

15- محمد أركون،الفكر الإسلامي نقد واجتهاد،ترجمة وتعليق هاشم صالح،دار الساقي،1990م،

16- أحمد بن نعمان،الهوية الوطنية،الحقائق والمغالطات،دار الأمة للطباعة والترجمة، 1996م.

مراجع ومصادر في التصوف

1- ابن عربي،الفتوحات المكية ،دار صادر،بيروت، تصوير دار صادر بيروت عن طبعة بولاق،القاهرة ،سنة 1293 هـــ.

2- ابن عربي،فصوص الحكم،تحقيق أبو العلاء عفيفي،دار الكتاب العربي،بيروت، الطبعة الثانية، 1980م.

3- محيي الدين بن عربي الحاتمي،ترجمان الأشواق،بيروت،1966م،

4- أبو حامد الغزالي مشكاة الأنوار، تحقيق أبو العلا عفيفي، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، 1964.

5- الجيلي،عبد الكريم،الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل،تحقيق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمّد عويصة، الطبعة الأُولى،بيروت،لبنان 1997م

6- سعاد الحكيم،المعجم الصوفي الحكمة في حدود الكلم،دندرة للطباعة والنشر،1981م،

7- إبراهيم بيومي مدكور،الكتاب التذكاري (محي الدين بن عربي) في الذكرى المئوية الثامنة لميلاده، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1969م

8-الشريف الجرجاني،التعريفات،تحقيق جماعة من العلماء بإشراف الناشر،دار الكتب العلمية بيروت لبنان،الطبعة الأولى. 1403هـ-1983م.

9- الشيخ مصطفى بن عليوة المستغانمي،منهل العرفان في تفسير البسملة وسور من القرآن،المطبعة العلاوية،سنة 1997م.

10- أبو عبد الرحمن السلمي،حقائق التفسير، تحقيق: سيد عمران،دار الكتب العلمية ،2001م.

11- يوسف زيدان،الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي،دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع،الطبعة الأولى،1988م.

12- علي شود كيفيتش،الولاية والنبوة عند الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي،ترجمة وتقديم د. احمد الطيب،دار القبة الزرقاء للنشر والخدمات الثقافية، مراكش المغرب، بدون تاريخ.

13- محمد علي حاج يوسف ،شمس المغرب سيرة الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي ومذهبه ، تقديم الشيخ محمد رمضان صبحي الديب، فصلت للدراسات والترجمة والنشر،سورية حلب ،2006م-1427هـ.

مراجع في فكر الاختلاف والحداثة وما بعدها

1- سعد البازغي،الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف،المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب الطبعة الأولى،2008م.

2- صامويل هنتغتون،صراع الحضارات إعادة صنع النظام العالمي،ترجمة طلعت الشايب تقديم صالح قنصوه،الطبعة الثانية،1999م،ص 203.

3- محمد بن سعد التميمي،العولمة وقضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة،الطبعة الأولى، 1422هـ ،2001م

4- الجوهري محمد ،العولمة والهوية،رؤية أنتروبولوجية ،العولمة والهوية الثقافية القاهرة المجلس الأعلى للثقافة ،2001م.
5- روجيه غارودي،محاكمة الصهيونية الإسرائيلية،دار الشروق،الطبعة الثالثة 2002م-1434هـ.
6- مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة، حوارات منتقاة من الفكر الألماني المعاصر،ترجمة محمد الشيخ،ياسر الطائي، دار الطليعة، بيروت،1996م، ص12.
7- عادل عبد الله ،التفكيكية إرادة الاختلاف وسلطة العقل،دار الحصاد للنشر والتوزيع، سوريا دمشق، الطبعة الأولى،2000، ص13.
8- سهير لطفي،ندوة الهوية والتراث، المركز الإقليمي العربي للبحوث والتوثيق،بيروت،دار الكلمة،1984م.
9- عبد الرزاق الداوي،موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر،هيدغر ليفي ستراوس ميشيل فوكو،دار الطليعة للطباعة والنشر.
10- محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي،مركز دراسات الوحدة العربية،الطبعة الثامنة ،2002م. بيروت،الدار البيضاء،1995م.
11- علي حرب،الممنوع والممتنع،نقد الذات المفكرة،الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي،بيروت، الدار البيضاء،1985م.
12 - علي حرب،النص والحقيقة،الممنوع والممتنع ، نقد ألذات المفكرة،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء ،المغرب،الطبعة الأولى،1995م.
13- على حرب،نقد الحقيقة، المركز الثقافي العربي،الطبعة الثانية1995.
14- نصر حامد أبو زيد،هكذا تكلم ابن عربي،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،2003م.
15- أدونيس،الصوفية والسوريالية،دار الساقي للطباعة والنشر،الطبعة الثالثة،2006م.
16- صامويل هنتنغتون،صدام الحضارات،إعادة صنع النظام العالمي،ترجمة طلعت الشايب وتقديم د. صلاح قنصوة، الطبعة الثانية 1999م.
17- عبد الوهاب المسيري،اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود،دار الشروق،2002 م.

المجلات والدوريات و المقالات:

1- علي حرب،الهوية والغيرية في المقال الفلسفي،دراسات عربية ع/4 فبراير 1982، ص.76
2 - زكي الميلاد،الثقافة والأنتروبولوجيا،قراءة في نظرية الأنثروبولوجيين،مجلة الكلمة،الصادرة يوم 06أفريل 2004م،1425هـ،العدد44.

الموسوعات والمعاجم

1 – بيار بونت وميشال ايزار،معجم الإثنولوجيا الأنتروبولوجيا،ترجمة وإشراف محمد الصمد،الطبعة الأولى،1427هـ 2006م.

2– أندري لالاند،موسوعة لالاند الفلسفية،،منشورات عويدات بيروت باريس،الطبعة الثانية،2001 م.

3– ممدوح الزوبي،معجم الصوفية،دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع،الطبعة الأولى ،2004م– 1424هـ .

الرسائل الجامعية:

1– عائشة بن ساعد،البعد الروحي لمقامة الأمير عبد القادر الجزائري،رسالة ماجستير،كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية قسم التاريخ،جامعة الجزائر،2003 م–2004 م.

2– ملاح.أحمد، التصوف و الإصلاح عند الأمير عبد القادر،دراسة تحليلية نقدية، رسالة ماجستير،قسم الفلسفة، جامعة الجزائر،1987م.

مراجع باللغة الأجنبية

*1-**Michel Chodkiewicz** ,L'émir Abd el-Kader, Écrits spirituels, présentation, traduction et notes, Seuil, 1982, réédition 1994.*

*2-**Ahmed bouyerdene,** Abd- el-Kader, L'harmonie des contraires, édition du seuil,septembre 2008*

*3-**Régis Meyran,** Le mythe de l'identité nationale**,** Berg International, nov. 2008,*

*4-Bruno Latour **,** Nous n'avons jamais été modernes. Essai d'anthropologie symétrique Paris, La Découverte «Poche/Sciences humaines et sociales », 2006 (éd. originale, 1991).*

*5-**Christophe Wulf** – Traité d'anthropologie historique. Philosophie, cultures, histoire, Paris,L'Harmattan. (dir) (2002).*

*6- **Claude Lévi-Strauss**, la crise moderne de l'anthropologie, Le Courrier, revue de l'Unesco. novembre 1961. Date de publication: 12-02-2008.*

7-Claude Lévi-Strauss. Anthropologie structurale, Paris, Plon, 1958 , nombreuses rééd. Pocket, 1997.

*8-**Claude Lévi-Strauss,** Race et Histoire, Paris,Gonthier ,1977**.***

*9- **André Lalande** , la raison et les normes , Hachette Paris 1963.*

*10-**Pierre Bourdieu**, « Le capital social », Actes de la recherche en sciences sociales, n°31, 1980*

11-Dictionnaire de l'Académie française, 8e édition, 1932-1935,p210
*12-**L'identité**, Collectif Auteurs Claude Lévi-Strauss , Jean-Marie Benoist ,Michel Serres ,Françoise Héritier , Puf 2007*
*13-**M .Heidegger** ,Identité et différence, Gillimard.1979.*
*14- **Jacques Derrida** - L'écriture et la différence, 1967, Seuil.*
*15- **Gilles Deleuze**- Différence et répétition, Presses Universitaires de **France**, Paris, 1968.*
*16- **René guenon** , la crise du monde moderne, Paris, Gallimard, 1946.*
*17- **Dan super**, Le structuralisme en anthropologie , paris, seuil ,1973.*
*18-**Alex bellemare**, Abd-el-kader sa vie politique et militaire, librairie de l hachette et cie, paris, 1863.*
*19-**Gilbert Durand** , Les structures anthropologiques de l'imaginaire, Paris, 1960.*
*20- **Gilbert Durand** ,L'Imagination symbolique, Paris , PUF,1re édition en 1964.*
*21-**Georges Gusdorf** , Les Origines des Sciences Humaines , **(antiquité, moyen age renaissance** , Payot , Paris , Pub **1967.***
23 -***William, Jean-Paul**: Sociologie de la religion, PUF, 1995, Que sais-je?.*

مواقع الكترونية متخصصة

- موقع المنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة.
http://www.unesco.org/new/ar/unesco/about-us/

- موقع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. *Alecso*.
http://www.alecso.org.tn

- موقع المنظمة الإسلامية الدولية للتربية والثقافة والعلوم. . *isesco*
www.isesco.org.ma

- الموقع الرسمي للجمعية الفرنسية للأنتروبولوجيين.

*-AFA - L'**A**ssociation **F**rançaise des **A**nthropologues.*
- http://www.afa.msh-paris.fr/news.html

الفهرس

مقدمة

مدخل

أولا: الاخـتلاف: موقعيته و تاريخية المفهوم..... 2-9
ثانيا: الأنتروبولوجيا والاختلاف.....10-17

الفصل الأول: - بيبيوغرافيا حياة الأمير-

أولا:أهمية البعد الثقافي والروحي في فهم فكر الأمير ومواقفه 19-20
ثانيا:التاريخ الشخصي: كرونولوجيا محطات حياته الكبرى.....21-32
ثالثا:التاريخ الثقافي والفقهي للأمير..... 32-34
رابعا:التاريخ الروحي للأمير.....34-40
خامسا:مؤلفات الأمير.....40-44
سادسا- حول كتاب المواقف وصحة نسبته للأمير عبد القادر الجزائري.....44-52

الفصل الثاني: تفكيك بنية "فلسفة الاختلاف"عند الأمير.

أولا: دلائلية فلسفة الاختلاف عند الأمير.....54-58
ثانيا: جينيالوجيا فلسفة الاختلاف عند الأمير.....59-61
ثالثا: محددات" فلسفة الاختلاف" عند الأمير عبد القادر.
أ- تصور معنى"الله": - اللاهوت كأصل مرجعي للاختلاف.....62-81
ب- تصور معنى "الإنسان" - أنتروبولوجيا التصوف 81-86
رابعا : قواعد التأصيل الإبستمولوجي لفلسفة الاختلاف عند الأمير
قاعدة:الخيال كإجراء منهجي لفهم وتفهم الاختلاف.....88-93
قاعدة: الصورة كعلامة لتجليات الاختلاف.....94-97
قاعدة: التأويل المفتوح كآلية منهجية لشرعنة الاختلاف.....98-102
قاعدة: تسويغ وتبرير الاجتهاد في أصول العقائد والديانات.....103-105
قاعدة: مشاهدة الحق في اختلاف العقائد والثقافات.....105-106
قاعدة: نسبية الحقيقة ورفع الخطأ المطلق والكفر المطلق..... ...107-108
قاعدة: شمول الرحمة ورفع العذاب عن الخلق كلهم يوم القيامة.....109-110

الفصل الثالث: تجليات "فلسفة الاختلاف" عند الأمير ونتائجها

أولا: الألوهية كمظهر للاختلاف الأنطولوجي:.....112-114
ثانيا :الحقيقة المحمدية كمحدد للاختلاف.....115-117
ثالثا:الإنسان الكامل كإستراتجية لفلسفة الاختلاف عند الأمير.....118- 119
رابعا : الهوية والاختلاف عند الأمير.....119-123
خامسا: في اختلاف الأديان والمعتقدات (نظرية اله المعتقدات).....124-128
سادسا: الاختلاف في حياة الأمير العملية.....129-133
الخاتمة.....134-136
قائمة المصادر والمراجع.....140-147

- **ملخـــــص:**

ــ عـــــادة ما يبحث موضوع الاختلاف خارج أطر الدين ومبادئه، باعتبار أن الدين يقوم أصلا على التوحيد والتوحد والإطلاق، وعلى نفي النسبية والتعددية والاختلاف.

لكن الاستثناء والتميز من الناحية الأنتروبولوجية أن الأمير عبد القادر الجزائري إنطلق من الإطار الديني الصوفي الروحاني لكي يُنظر ويُؤسس للاختلاف وفلسفته.وهذه الرسالة محاولة استعراض لرؤية الأمير الجزائري في هذا الموضوع.

الكلمات المفتاحية: الهوية والاختلاف، وحدة الوجود، التجلي، الحقيقة المحمدية ، الإنسان الكامل.

-Résumer:

- Habituellement …. on aborde le thème de la différence en dehors des cadres et les principes de la religion, puisque la religion est basée à l'origine sur le Monothéisme et l'unicité et L'unification et L'absolutisme ,et à nier la relativité et la diversité et les différences.

Mais l'exception et l'exclusivité sur le plan anthropologique c'est que l'émir Abdel Qadir al jazzairi a démarré à partir du cadre religieux spirituelle et mystique, afin de fonder et Théoriser la différence.

- cette thèse est une tentative de présentation du point de vue de l'émir Abdel Qadir sur ce sujet.

-Mots clé

l'identité et différence, l'Unicité de l'Être, théophanie, la vérité mouhamedienne , L'Homme parfait .

-Abstract:

- The issue of difference is usually studied outside the framework of religion and its principles, as religion is based upon the monotheism, unification and perfection, and denies the relativity, the diversity and the difference. However, the exception and the very featured in anthropological perspective, was al-Amir Abdul Qadir who started from the mystic spiritual religious framework in order to consider and establish the difference and its philosophy. Accordingly, this thesis is an attempt to explore the view of al-Amir Abdul Qadhgtir regarding this issue.

Key words:

identity and difference, Oneness of Being, theophany, truth mouhamedienne,the perfect man.